JENNIFER NIVEN

جينيفير نيفين

حَمْلُ ثِقْلِ الكَوْنِ

رواية

HOLDING UP THE UNIVERSE

ترجمة: إيمان شاهين

عصير الكتب

مكتبة

حَمْلُ ثقْلِ الكَوْن

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

انقر هنا .. اتبع الرابط

telegram @soramnqraa

عصير الكتب
لتجارة الكتب

إدارة التوزيع
00201150636428

لمراسلة الدار:
email:P.bookjuice@yahoo.com
Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي:
HOLDING UP THE UNIVERSE
- العنوان العربي: حَمْلُ ثقلِ الكونِ
- طُبِع بواسطة:
Published by Random House Children's Books, a division of Penguin Random House LLC
- حُقوق النشر:
copyright © 2023 by Jennifer Niven
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب
- ترجمة: إيمان شاهين
- تحرير: مصطفى رزق
- تدقيق لغوي: د. محمد حماده جاد
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: مارس/ 2023م
- رقم الإيداع: 4539/2023م
- الترقيم الدولي: 978-977-6972-69-8

28 6 2024 مكتبة
t.me/soramnqraa

JENNIFER NIVEN

جينيفر نيفين

حَمْلُ ثِقْلِ الكَوْن

رواية

HOLDING UP THE UNIVERSE

ترجمة: إيمان شاهين

عَصِيرُ الكُتُب

إلى كيري

ولويس

وآنجلو

وإد

مَن أعانوني على حَمل ثقل كَوني،

وإلى كل قُرَّائي في كل مكان،

الذين هم عالمي.

«لقد كان في غاية اللُّطف يا أتكيوس».

«أغلب الأشخاص لُطفاء عندما تعرفينهم على حقيقتهم يا سكوت».

- ***أن تقتل طائرًا بريئًا، هاربر لي***

مكتبة
t.me/soramnqraa

أنا لستُ بشخصٍ مؤذٍ، إلا إني على وشك فِعل شيءٍ مؤذٍ. وأنتِ ستكرهينني، وسيكرهني بعض الآخرين، ولكني سأفعله على أي حال لأحميكِ، ولأحمي نفسي كذلك.

قد يبدو هذا مُبررًا أتعذر به من وجهة نظركِ، ولكني مصاب باضطراب «عمي الوجوه»، بمعنى ألا قدرة لي على تمييز الوجوه، ولا حتى وجوه مَن أُحبهم، لا أمي، ولا حتى نفسي.

تخيلي لو أنكِ تدخلين إلى غرفة تعج بالغرباء، أشخاص لا يعنون لكِ أي شيء، لأنكِ لا تعرفين أسماءهم، ولا ماضيهم. ثم تخيلي الذهاب إلى المدرسة، أو العمل، أو الأسوأ من ذلك، بيتكِ، حيث تعرفين من فيه جميعًا، ولا تجدين إلا غرباء.

هذه هي حالي: أدخل إلى غرفة ولا أعرف أيًّا من الموجودين فيها. هذه هي الحال في كل غرفة، هذه هي الحال في كل مكان. أتعايش مع الأمر بتمييز مِشية الشخص، أو إيماءاته، أو صوته، أو شَعرِه، فأنا أتعرف على الناس مستعينًا بمجموعة من السِّمات المُميِّزة، فأقول لنفسي: لداستي أذنان بارزتان، وشعرٌ بنيٌّ محمرٌّ مجعد بتسريحة الأفرو، ومن ثم أحفظ هذه المعلومة الثابتة حتى أستعين بها في التعرف على أخي الصغير، إلا إنه في الواقع يتعذر عليَّ استدعاء صورة له، ولأذنيه الكبيرتين، وتسريحة الأفرو في عقلي إلا بوجوده أمامي، إذ يبدو تذكر الأشخاص قوة خارقة يتمتع بها الجميع إلا أنا.

هل شُخِّصتُ طِبِّيًا تشخيصًا رسميًا؟ لا، وليس فقط لظني أن هذا خارج نطاق تخصص الدكتور بلوم، طبيب الأطفال في البلدة، وليس بداعي أن أبي وأمي قد فاض بهما الكيل وهما يتعاملان مع هذا الوضع

على مدار السنوات القليلة الماضية، وليس بداعي أنه يُستَحسَنُ ألا تكون الشخص غريب الأطوار، بل بداعي أن بعضًا مني يأمل ألّا يكون هذا حقيقيًّا، أن هذا الاضطراب ربما سيُشفى ويختفي من تلقاء ذاته. وفي الوقت الحالي، تلك هي الطريقة التي أتعايش بها مع الوضع:

أُومئ إلى الجميع وأبتسم لهم.

أتجمل بالجاذبية، والسحر.

أنغمس في أي شيء.

أتحلى بحسٍّ فكاهيٍّ ساخر.

أكون مسليًا ونشطًا للغاية في الحفلات، ولكن أمتنع عن الشرب، فلا أخاطر بفقدان السيطرة على نفسي. (كثيرًا ما يحدث عندما لا أكون مخمورًا).

أُولي الانتباه.

أفعل ما يتطلبه الأمر. أبالغ في التصرف بحقارة، أفعل أيَّ شيء لأحمي نفسي من أن أقع فريسة لأحد، فَدَيْدَنِي دومًا أن أكون الصياد أفضل من أن أكون الفريسة.

لا أُخبِرُكِ بكل هذه الأمور كي أبرر ما أنا على وشك فِعلِه، بل ربما لأنه بوسعكِ أن تنظري إلى هذا بعين الاعتبار مستقبلًا، فهذا هو السبيل الوحيد لوضع حَدٍّ يمنع أصدقائي من اقتراف شيء أسوأ، وهذا هو السبيل الوحيد لإيقاف هذه اللعبة الحمقاء. اعلمي فقط أن لا رغبة لي في إيذاء أي أحد. وهذا ليس مبررًا لفعلتي، حتى لو كان هو ما سيحدث.

خالص تحياتي،

جاك

ملاحظة: أنتِ الشخص الوحيد الذي يعرف ما بي.

• • •

اسم بيرسوفجنوزيا[1] (بير-سو-فج-نوزيا):

1. يعني عدم القدرة على التعرف على وجوه الأشخاص المألوفين، ويكون ناتجًا في العادة عن خلل في المخ.

2. عندما يكون الكلُّ غرباء.

(1) بالإنجليزية «Prosopagnosia»: المصطلح الطبي اللاتيني لاضطراب عمى التعرف على الوجوه. (المترجمة)

قبل 18 ساعة

ليبي

إذا خرج لي جِنِّيٌّ من المصباح المجاور لسريري، كنت سأتمنى هذه الأمنيات الثلاث: أن تعود أمي للحياة، وألا يقع مكروه أو حزن أبدًا، وأن أكون عضوة في فريق الفتيات الاستعراضي لمدرسة مارتن فان بورين الثانوية، أفضل فريق استعراضي على مستوى منطقة الولايات الثلاث.

ولكن ماذا لو كان فريق الفتيات لا يرغب في ضمِّكِ؟

حلت الساعة 3:38 فجرًا، هذا الوقت من الليل الذي ينطلق فيه عقلي جامحًا خارجًا عن السيطرة في كل الأرجاء، مثلما يفعل قِطِّي جورج عندما كان مجرد قطيط، فعلى حين غرة، ها هو ذا عقلي يشرع في تسلُّق الستائر، ثم ها هو ذا يتأرجح على رف الكتب، ثم ها هو ذا، يَمُدُّ مخلبه في حوض السمك، ويضع رأسه تحت الماء.

استلقيتُ في فراشي وأنا أحدق إلى الظلام، وأخذ عقلي يتنقل في سائر أنحاء الغرفة.

ماذا لو حُجِزتِ ثانيةً؟ ماذا لو أنهم اضطروا إلى كسر باب الكافتيريا أو جدار الحمام مرة أخرى لإخراجكِ؟ ماذا لو تزوج أبوكِ ثم مات وتركَكِ مع زوجته الجديدة وإخوتكِ غير الأشقاء؟ ماذا لو مِتِّ؟ ماذا لو أنه لا وجود للجنة ولن تري أمكِ ثانية؟

أقنعت نفسي بالخلود إلى النوم.

أغمضتُ عينيَّ واستلقيتُ بلا حراك.

دونما أي حراك.

عدة دقائق.

جعلتُ عقلي يستلقي معي حيث أنا، وقلت له: نَمْ. نَمْ. نَمْ.

ماذا لو ذهبتِ إلى المدرسة وأدركتِ أن الأمور مختلفة، والطلاب مختلفون، وبغض النظر عن مدى محاولاتكِ، فلن يكون بمقدوركِ أبدًا التواصل معهم؟

فَتَحتُ عينيَّ.

اسمي ليبي ستراوت. على الأرجح قد سمعت بي. وعلى الأرجح قد شاهدت مقطع الفيديو الذي يجري فيه إنقاذي من منزلي، إذ قد شاهده وفق آخر الإحصاءات 6345981 شخصًا، لذا، فهنالك احتمال كبير أنك واحدٌ من مشاهديه، فمنذ ثلاث سنوات كنتُ أسمَن مراهقة في أمريكا. كان وزني 296 كيلوجرامًا، وهو أكبر وزن بلغته، أي إن وزني كان زائدًا نحو 227 كيلوجرامًا. لم أكن بدينة منذ البداية، مختصر القصة أن أمي ماتت، ثم زاد وزني. ولكن بطريقة ما، لا أزال على قيد الحياة. وبأي حال من الأحوال، لا يقع اللوم في هذا على أبي.

بعد شهرين من إنقاذي، انتقلنا إلى حيٍّ آخر في الجانب المقابل من البلدة. وغدا بمقدوري هذه الأيام أن أغادر المنزل وحدي، فقد خسرتُ من وزني 137 كيلوجرامًا، أي وزن شخصين كاملين. وكان لا يزال يتبقى لي 86 كيلوجرامًا حتى يصبح وزني مثاليًّا، وأنا متصالحة مع هذا، فأنا أحب الشخص الذي أنا عليه، فلسبب من الأسباب، يمكنني الجري الآن، وركوب السيارة، وشراء الملابس من المركز التجاري بدلًا من طلب ملابس مُخصَّصَة. كما يمكنني أن أَلُفَّ في حركة دائرية. ناهيك بعدم الخوف من الفشل العضوي، وربما هذا هو المكسب الأفضل في هذه الفترة الحالية مقارنة بالماضي.

غدًا هو يومي الدراسي الأول منذ انتهاء الصف الخامس، وسيكون «طالبة الصف الثالث» هو لقبي الجديد في المدرسة الثانوية، وهو أفضل بكثير من لقب «أسمن مراهقة في أمريكا». ولكن تملكني الخوف لدرجة أنه تعسر عليَّ الشعور بشيء آخر.

فأخذت أنتظر قدوم نوبة الهلع.

جاك

مكتبة
t.me/soramnqraa

اتصلت بي كارولاين لاشامب قبل أن يرنَّ جرس منبهي، ولكني تركتها تنتقل إلى البريد الصوتي، فأنا أعرف أنه أيًّما كانت الحال، فلن تكون مُرضية، وسيكون الخطأ خطئي.

اتصلت كارولاين ثلاث مرات، غير أنها لم تترك إلا رسالة واحدة، وكنت على وشك أن أحذفها، ولكن ماذا لو كانت سيارتها مُعَطَّلة وهي واقعة في مشكلة؟ فرغم كل شيء، تلك هي الفتاة التي كنت في علاقة متقطِّعة معها على مدار السنوات الأربع الماضية. (إننا ذاك النوع من الثنائي. ذاك النوع الذي يدخل في العلاقة، ثم ينفصل، ثم يدخل، ثم ينفصل، الذي يظن الجميع أنه ستنتهي بهما الحال معًا إلى الأبد).

«هذه أنا يا جاك. أعرف أننا في استراحة، أو أيًّا كان ما نسمي هذا، ولكنها ابنة عمي، إنها ابنة عمي. أؤكد، ابنة عمي يا جاك! فإذا أردتَ أن تنتقم مني لانفصالي عنك، فإذن تهانينا، لقد فعلتَ ذلك أيها البغيض. فإذا رأيتني اليوم في الفصل، أو في الممرات، أو في الكافتيريا، أو أي مكان على وجه الأرض، فلا تتحدث إلي. وفي الحقيقة، أسد إليَّ معروفًا واذهب إلى الجحيم».

اتصلت ابنة عمها بعد ثلاث دقائق، وفي البداية حسبتها تبكي، إلا إني سمعتُ صوت كارولاين في الخلفية، ثم بدأت ابنة عمها بالصراخ، وكارولاين كذلك، فحذفت الرسالة.

أرسل ديف كامينسكي بعدها بدقيقتين رسالة نصية لتحذيري من أن ريد يونج يريد أن يُهَشِّمَ وجهي لمغازلتي حبيبته، فرددت عليه برسالة نصية

تقول: «*أنا مدينٌ لك*». وقد عَنَيتُ هذا. ولو أني أُحصي المعروف الذي يقدمه كام، فسيتفوق عليَّ بتقديمه العون لي.

دار هذا الصخب كله حول فتاة -إذا كنا صادقين- تشبه كارولاين لاشامب إلى حد كبير، ففي البداية على الأقل حسبتها هي، ما يدل بغرابة على أنه ينبغي لكارولاين أن تشعر بالإطراء لهذا، فالأمر أشبه بالاعتراف للعالم أني أريد أن أعيد أواصر علاقتنا. رغم أنها قد أنهت علاقتنا في الأسبوع الأول من الإجازة الصيفية حتى تتسنى لها مواعدة زاك هيجينز.

فكرت في إرسال هذا الكلام إليها، ولكني استعضتُ عن ذلك بإغلاق هاتفي، وأغمضت عيني لأرى إذا ما كان بمقدوري الانتقال بنفسي رجوعًا إلى شهر يوليو، فقد كان جل قلقي حينها هو الذهاب إلى العمل، وجمع الأغراض القابلة للاستخدام من ساحة الخردوات المحلية، وابتكار مشاريع (مذهلة) في ورشتي (الرائعة)، والتسكع مع أَخَوَيَّ. وكانت الحياة ستصبح أيسر إذا كانت تقتصر على جاك، وساحة الخردوات، والورشة الرائعة، والمشاريع المذهلة.

ما كان عليك الذهاب إلى الحفل قط، وما كان عليك احتساء مشروب قط، فأنت لست محل ثقة. لا تشرب الكحوليات! ابتعد عن التجمعات! إنأَ بنفسك *عن الناس، فالحال لا تنتهي بك إلا بإغضابهم.*

ليبي

حلت 6:33 صباحًا، وكنت قد نهضت من فراشي وأقف أمام المرآة. في وقت ما، منذ ما يزيد على عامين بقليل، حينما لم تكن لي القدرة ولا الرغبة في النظر إلى نفسي في المرآة، إذ جُلُّ ما كنت أراه هو وجه موسيز هانت الصغير المُكَشِّر وهو يصرخ في وجهي في الطرف المقابل من باحة المدرسة –ووجوه كل طلاب الصف الخامس الآخرين بينما يشرعون في الضحك– ويقول: «*لن يحبكِ أحدٌ أبدًا، لأنكِ بدينة! أنتِ ضخمة للغاية لدرجة أنكِ تحجبين عنا القمر، فلتذهبي إلى بيتكِ يا فلابي ستاوت!*[1] *فلتذهبي إلى بيتكِ وتنعزلي في غرفتكِ*».

في الوقت الحالي، غالبًا لا أرى إلا نفسي. كنت أرتدي فستانًا كُحليًّ اللون جذابًا، وأنتعل حذاءً برقبة عالية، وأُسدِلُ شعري البني متوسط الطول، الذي وصفته جدتي الجميلة التي أصاب الخرف عقلها بعض الشيء ذات مرة قائلة بأنه: «لون فراء ماشية الهايلاند[2] نفسه». كما أرى انعكاس قِطِّي جورج، الذي يشبه كرة قطنية متسخة كبيرة. حَدَّق إليَّ جورج بعينيه الصفراوين اللتين تنمَّان عن الحكمة، وحاولتُ تخمين رأيه في مظهري. كان جورج قد شُخِّصَ منذ أربع سنوات بالفشل القلبي، وأُعطِيَ مهلة مدتها ستة أشهر فحسب للعيش. ولكني أعرف جورج حق المعرفة، ومن هنا تنبع معرفتي بأنه هو وحده من يقرر متى يحين الرحيل. ثم رَمَشَ لي بعينيه.

---

(1) المقصودة هي ليبي ستراوت، وفلابي ستاوت هو جناس صوتي لاسمها، ويعني البدينة المترهلة. (المترجمة)

(2) سلالة من الماشية الإسكتلندية تتمتع بفراء بني. (المترجمة)

في هذه اللحظة الآنية، أظن أنه سينصحني بالتنفس.

لذا تنفست.

وقد تحسنت حالتي كثيرًا بالتنفس.

خفضت نظري إلى يديَّ، فوجدتهما ثابتتين، رغم أني قد قرضتُ أظفاري حتى اللحم. مع ذلك اعتراني شعورٌ غريب بالهدوء التام، وأدركتُ أن نوبات الهلع ما عادت تأتيني. وهذا جدير بالاحتفاء، لذا فقد شَغَّلتُ أحد ألبومات الأغاني القديمة الخاصة بأمي، وبدأت في الرقص. الرقص هو أحَبُّ الأشياء إلى قلبي، والرقص هو ما أخطط لفعله في حياتي. ورغم أني لم أتلقَّ دروسًا فيه منذ أن كنت في العاشرة من عمري، فإن الرقص كامنٌ بداخلي، وليس لقلة التدريب أن تنسيني هذه الحقيقة.

رحت أقنع نفسي قائلة: عسى *أن تتسنى لكِ فرصة الاشتراك في تجارب الأداء لفريق الفتيات الاستعراضي هذا العام.*

تنقل عقلي بسرعة واهتياج على الحائط، حيث بقي عالقًا مرتجفًا مرتبكًا. *ماذا لو لم يتحقق ذلك أبدًا؟ ماذا لو مِتِّ قبل أن تشهدي تحقيق أي شيء جيد أو رائع أو مذهل في حياتك؟* كان بقائي على قيد الحياة هو كل ما ينتابني القلق حياله على مدار العامين الماضيين والنصف، فقد كان تركيز كل فرد في حياتي –بمن فيهم أنا– هو: *لا نريد إلا أن نجعلكِ بحال أفضل.* والآن حالي أفضل. *لذا، ماذا لو خذلتهم بعد كل الوقت والجهد الذي منحوني إياه؟*

رقصت بانفعال أكبر حتى أطرد تلك الأفكار من خاطري، إلى أن طرق أبي الباب بقوة، ومَدَّ رأسه وقال: «تعلمين أني أحب سماع أغنية عذبة لبات بيناتار[1] كبادرة في الصباح، ولكن سؤالي هو: كيف هو شعور الجيران حيال ذلك؟».

خفضتُ الصوت قليلًا، ولكني واصلتُ الرقص. وعندما انتهت الأغنية، بحثتُ عن قلم خطاط، ونقشتُ على إحدى فَرْدَتَي الحذاء هذا الاقتباس: «ما دُمتَ حيًّا، فثمة شيء ينتظرك دومًا. وحتى لو كان هذا الشيء لا يَسُرُّ، فأنت تعلم قَبلًا أنه لا يَسُرّ، فما حيلتك؟ لا يَسعُك التوقف عن الحياة». (بدم بارد، ترومان كابوت).[2] ثم مددتُ يدي لأحضر أحمر الشفاه الذي أعطتني إياه جدتي بمناسبة عيد ميلادي، ومِلتُ باتجاه المرآة وخضبت شَفَتَيَّ بالحُمرة.

---

(1) مغنية وشاعرة غنائية أمريكية. (المترجمة)

(2) بالإنجليزية «In Cold Blood»: رواية تستند في حبكتها إلى جريمة قتل شنيعة حقيقية، وقعت في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1959، راحت ضحيتها عائلة هربرت كلاتر المكونة من أربعة أفراد. (المترجمة)

جاك

تناهى إلى سمعي صوت المياه يتدفق من الدُّشّ، وأصوات تأتي من الطابق السفلي، فسحبتُ الوسادة على وجهي، ولكن بلا طائل. كنت قد استيقظت بالفعل.

شَغَّلت هاتفي وراسلت كارولاين أولًا، ثم بعدها كام، ثم ريد يونج. والشيء الذي أجمعت على قوله لهم هو أني كنت مخمورًا للغاية (مبالغة)، وأن الظلام كان حالكًا (كان كذلك فعلًا)، ولا أذكر أيًّا مما جرى، لأني لم أكن مخمورًا فحسب، بل مستاءً كذلك. «*هنالك مشكلة في المنزل لا يمكنني التحدث عنها الآن، لذا إذا تحليتم بالصبر واتسعت صدوركم لمسامحتي، فإنني سأكون مدينًا لكم بهذا الجميل ما حييت*». بالنسبة إلى الجزء المتعلق بالمشكلة التي تحدث في المنزل، فهو حقيقيٌّ تمامًا.

أما كارولاين، فقد أرسلت إليها بعض عبارات الإطراء، وطلبتُ منها راجيًا الاعتذار لابنة عمها نيابة عني. وقلت إني لا أريد التواصل معها مباشرة لأني قد خَرَّبتُ الأمور بالفعل، ولا أريد أن أقترف شيئًا يفاقم الوضع بيني وبين كارولاين. ورغم أن كارولاين كانت هي من انفصلت عني، ورغم أننا في فترة الانفصال من علاقتنا، ورغم أني لم أرَها منذ شهر يونيو، فإني ببساطة تحامَلتُ على نفسي وأقررت بخطئي، ثم أمسكت بالهاتف وأرسلت إليها هذا الكلام. وهذه هي ضريبة محاولة إسعاد الجميع.

جررت نفسي نحو نهاية الممر حتى أصل إلى الحمام، وكان جُلُّ ما أريده في هذا العالم هو دُشٌّ ساخن طويل، وبدلًا من ذلك، حصلتُ على قطرات من الماء الفاتر، تبعتها لفحة من الهواء شديد البرودة. استمر هذا الاستحمام مدة

ستين ثانية (لأن هذا مقدار تحملي)، ثم خرجتُ ونَشَّفتُ جسدي، ووقفت أمام المرآة.

هذا أنا إذن.

تَرِد هذه الجملة في خاطري كلما رأيتُ انعكاس صورتي في المرآة. ولا تَرِد بطريقة إقرارية، مثل: *تبًّا، هذا أنا!* بل ترد أكثر بطريقة استفهامية، مثل: *هاه، حسنًا، ماذا لدينا هنا؟* مِلتُ نحو المرآة بشدة محاولًا أن أستجمع صورة واضحة لملامح وجهي.

لم يكن الشخص الظاهر أمامي في المرآة سيئ المظهر، فهو يتمتع بعظمَتَي خَدٍّ بارزتين، وفَكٍّ مشدود، وفم مرفوع من ناحية واحدة كما لو أنه قد انتهى من إلقاء نكتة لتوه. وهو أقرب ما يكون إلى وصف وسيم، فالطريقة التي يُميلُ بها رأسَه إلى الخلف وينظر بجفنين شبه مفتوحين تجعله يبدو كأنه معتاد التعامل مع الآخرين بتعالٍ، كأنه ذكيٌّ ويعرف أنه ذكي. ثم أُدرِكُ فجأة أنه أشبه في الحقيقة بأخرق محض. باستثناء العينين، فهما تتسمان بالجدية الصارمة، وتحيط بهما هالات من الأسفل، كما لو أن عينيه لم تذوقا النوم. وكان يرتدي قميصًا عليه رسمة السوبرمان نفسه الذي داومتُ على ارتدائه طوال الصيف.[1]

ما هي الصورة النهائية التي يرسمها هذا الفم (ورثته من أمي) مع هذا الأنف (ورثته من أمي كذلك) وتَينِ العينين (خليط ما بين عيني أمي وعيني أبي)؟ أما حاجباي، فهما أغمق في اللون من شعري، ولكنهما ليسا بقدر حاجِبَي أبي الداكنين. ولون بشرتي عبارة عن لونٍ بنيٍّ متوسط، فلا هو أسود كبشرة أمي، ولا فاتح كبشرة أبي.

والشيء الآخر الذي لا يتسق مع ملامح وجهي هو الشعر. إنها تسريحة الأفرو التي تشبه لبدة الأسد الهائلة، التي يبدو أنه مسموح لها بفعل أيٍّ ما تريد. إذا كان الشخص الموجود في المرآة يشبهني بدرجة ما، فإنه يحسب لكل شيء حسابه. ورغم أن هذا الشعر لا يمكن السيطرة عليه، فإنه قد رَبَّاه لغرض ما. حتى يتمكن من التعرف على ذاته.

---

(1) يتحدث جاك عن نفسه كأنه شخص آخر لا يعرفه. (المترجمة)

وإحدى المزايا الإضافية للملامح هي الطريقة التي يتعرف بها الناس على بعضهم في هذا العالم، فثمة شيء في هذا الخليط من الملامح يجعل الناس تقول: *هذا هو جاك ماسيلين.*

سألتُ انعكاسي في المرآة: «ما سِمتك المُميِّزة؟». وقصدتُ سِمةً مُميِّزة حقيقية، وليست تسريحة الأفرو الضحمة هذه. كنت أحظى بلحظة جدية حقيقية، إلى أن سمعت صوت ضحكة مكتومة استطاعت أذناي أن تُميِّزَاها، ولمحت عيناي طيفًا طويلًا نحيلًا مَرَّ سريعًا. لا بد أنه كان أخي ماركوس.

كان ماركوس يغني وهو ينزل الدَّرَج: «اسمي جاك، وأنا وسيم للغاية».

أكثر خمسة مواقف مُحرِجة في حياتي

كتبها جاك ماسيلين

1. تلك المرة التي أتت فيها أمي لتأخذني من الروضة –بعد قصة شعرها الجديدة– واتهمتها بأنها تحاول اختطافي، وكان ذلك أمام المعلم، والطلاب الآخرين، وأولياء الأمور الآخرين، ومدير الروضة.
2. تلك المرة التي لَعِبتُ فيها في مباراة كرة القدم المفتوحة غير النظامية[1] (بلا زيٍّ رسميٍّ مُخَصَّص) في متنزه رينولدز بارك، ومَرَّرتُ كل كرة إلى الفريق الخصم، مُحَقِّقًا الرقم القياسي في الظهور الأول الأسوأ، والأكثر إهانة على الإطلاق في تاريخ المتنزه.
3. تلك المرة التي كنت أعمل فيها مع المعالج الرياضي لمدرستنا الثانوية بسبب إصابة في كتفي، ثم في متجر وول مارت، قلت للرجل الذي حسبته مدربي في كرة السلة: «*يمكنني استخدام نوعٍ آخر من التدليك*». فقط لأجده السيد تيمبل، رئيس أمي في العمل.
4. تلك المرة التي تَودَّدتُ فيها إلى جيسيل فيليجاس، ثم تبين أنها الآنسة أربولاتا، المعلمة البديلة.
5. تلك المرة التي غازَلتُ فيها كارولاين لاشامب، وكانت في الواقع ابنة عمها.

(1) لعبة كرة قدم أشبه بكرة قدم الشوارع، تضم لاعبين من مختلف المستويات المهارية والفئات العمرية، ولا تخضع لإشراف مدرب. (المترجمة)

ليبي

أَقَلَّني أبي بالسيارة لأني لم أحصل على رخصة القيادة بعد. وأحد أكثر الأشياء التي تطلعت إليها في هذا العام الدراسي هو الاشتراك في دورة تعليم القيادة. وانتظرتُ أن يمدَّني أبي بنصائح حكيمة، أو كلام حماسي مشجع، ولكن كل ما قاله كان: «تقدرين على القيام بهذا يا لبس[1]. سآتي إلى هنا لأخذك عندما ينتهي يومك الدراسي». وامتزجت الطريقة التي قال بها هذا الكلام بنبرة مشؤومة، كأننا في المشهد الافتتاحي من فيلم رعب، ثم ابتسم في وجهي ابتسامة تشبه تلك التي يلقنونك إياها في مقطع فيديو عن تربية الأبناء. كانت ابتسامة متوترة ومفتعلة، كأنها مثبتة بلاصق عند جوانب الفم. بادلته الابتسام.

ماذا لو عَلِقتُ خلف المقعد؟ ماذا لو اضطررتُ إلى تناول الغداء وحدي ولم يتحدث معي أحد بقية العام الدراسي؟

كان أبي شخصًا طويلًا ووسيمًا، وأمينًا، وطيبًا. كما إنه ذكي (يقوم بمهام أمن تكنولوجيا المعلومات في شركة حواسيب ذائعة الصيت)، وصاحب قلبٍ عطوف حساس، فبعدما أخرجوني من المنزل، قاسى فترة عصيبة جراء الأمر. وكما كانت فترة مروعة لي، أظن أنها كانت أسوأ بالنسبة إليه، خصوصًا بعد الاتهامات بالإهمال وسوء المعاملة التي طالته، فلم تتخيل الصحافة بأي شكل من الأشكال كيف تركني أصل إلى هذا الحجم الضخم، فهم لا علم لهم بالأطباء

---

(1) استخدمت الكاتبة هذه الكلمة على وجهين: الأول، التشابه اللفظي مع اسم ليبي، والآخر معنى الكلمة الذي يُقصَدُ به الفتاة الذكية المرحة الجديرة بالثقة، كتشجيع من أبيها لها. (المترجمة)

الذين أخذني إليهم، والحميات الغذائية التي جربنا اتباعها، حتى في ظل حزنه على فقدان زوجته. وهم كذلك لم يروا الطعام الذي أُخَبِّئه منه تحت سريري، وفي خبايا خزانتي. ولا علم لهم بأني بمجرد أن أعزم على فعل شيء، فإني أفعله، وقد عزمتُ على تناول الطعام.

رفضتُ الحديث إلى المراسلين الصحفيين في البداية، إلا إني أحببتُ في وقت ما أن أبيِّنَ للعالم أني بخير، وأن أبي ليس الشرير الذي رسموه، فلم يطعمني أبي جبرًا كميات هائلة من الحلوى والكعك حتى يبقيني بجانبه، وحتى لا أنفصل وأستَقِلَّ بعيدًا عنه كحال الفتيات في رواية انتحار العذراوات[1]. ولذا، على غير رغبة من أبي، أجريتُ مقابلة مع محطة إخبارية من خارج شيكاغو، وقد لاقت تلك المقابلة رواجًا قاطعةً طريقها ذهابًا وإيابًا في كل أنحاء أوروبا وآسيا.

وكما رأيتم، انقلبت حياتي بأكملها عندما كنت في سن العاشرة، فقد ماتت أمي، وهو ما سبب لي صدمة كافية، ثم بعدها بدأتُ أتعرض للتنمر. وما زاد الطين بلة هو أني قد بَلَغتُ في وقت مبكر، وشعرت فجأة أن جسدي ضخم جدًّا بما لا يتناسب معي. ولا أقول إني ألقي باللائمة على زملائي في الفصل، فقبل كل شيء، كُنَّا صغارًا. ولكني أردتُ فقط أن أوضح وجود عوامل عدة أسهمت في ذلك، بمعنى: التنمر، مصحوبًا بفقدان أهم شخص في حياتي، متبوعًا بنوبات الهلع التي تصيبني متى اضطررتُ إلى مغادرة المنزل. وقد كان أبي الشخص الذي دعمني في خضم هذا كله.

عدت إلى الحاضر، وقلت لأبي: «أتعرف أن بولين بوتر –أسمن امرأة في العالم– قد فقدت من وزنها 44 كيلوجرامًا بالدخول في علاقات حميمية؟».

- العلاقات الحميمية ممنوعة عنكِ بأي شكل من الأشكال إلى أن تبلغي الثلاثين.

فكرت: *سنرى*. فقبل كل شيء، تحدث المعجزات كل يوم. بمعنى أن أولئك الأطفال الذين عاملوني بكراهية في باحة المدرسة ربما قد نضجوا، وأدركوا سلوكياتهم المسيئة، أو ربما يكونون قد تحولوا إلى أشخاص لطفاء في الواقع،

(1) بالإنجليزية «The Virgin Suicides»: رواية تتحدث عن انتحار خمس أخَوَات في عمر المراهقة لدوافع وأسباب مجهولة. (المترجمة)

أو ربما ساءت أخلاقهم أكثر، فكل كتاب طالَعتُه أو فيلم شاهدته استخلصتُ منه الرسالة ذاتها: المدرسة الثانوية هي التجربة الأسوأ التي قد تمر بها.

ماذا لو أهنتُ أحدهم عن غير قصد بسبب كلامهم حتى أكون الفتاة البدينة الوقحة؟ ماذا لو أن بعض الفتيات النحيفات حسنات النية ضممنني إليهن كواحدة منهن وأصبحت الصديقة المقربة البدينة؟ ماذا لو بدا واضحًا للجميع أن تعليمي المنزلي لم يؤهلني إلا للصف الثامن، وليس الحادي عشر، لأنه يستعصي عليَّ فهم الواجب الدراسي لشدة غبائي؟

قال أبي: «كل ما عليكِ فعله هو قضاء اليوم فحسب يا لبس. وإذا ساء اليوم كليةً، فإنه يمكننا العودة إلى التعليم المنزلي، امنحيني يومًا واحدًا فحسب. وفي الواقع، لا تمنحيني أنا، بل امنحي نفسكِ يومًا واحدًا».

رحت أقنع نفسي: *اليوم*. ثم رحت أقنع نفسي ثانية: *هذا هو الحلم الذي راودكِ عندما كانت تفزعكِ فكرة الخروج من المنزل، هذا هو الحلم الذي راودكِ عندما كنت تلزمين فراشك مدة ستة أشهر. هذا هو ما أردتِه، الخروج إلى العالم مثل الجميع*. أقنعت نفسي: *لقد استغرق الأمر منكِ مدة سنتين ونصف، قضيتِها في معسكرات خسارة الوزن، والمرشدين، والاختصاصيين النفسيين، والأطباء، والمرشدين السلوكيين، والمدربين، للاستعداد لهذا اليوم. لقد مشيتِ عشرة آلاف خطوة في اليوم على مدار العامين والنصف الماضِين، كل خطوة منها كانت توجهكِ نحو هذه اللحظة.*

ولكني لا أستطيع قيادة السيارة.

لم أذهب قط إلى حفل راقص.

وفَوَّتُّ المدرسة الإعدادية بأكملها.

لم أحظَ قط بحبيب، رغم أنه قد تغزل بي أحد الأولاد في المعسكر ذات مرة. كان اسمه روبي، وهو يعيد سنته الأخيرة في المرحلة الثانوية في مكان ما في ولاية آيوا.

لم أحظَ قط بصديقة مقربة، باستثناء أمي، إلا إذا احتسبنا أولئك الذين اتخذتهم أصدقاء بيني وبين نفسي، أعني الإخوة الثلاث القاطنين في الجهة المقابلة من منزلي القديم. هؤلاء من أسميتهم: دين، وسام، وكاستيل، لأنهم كانوا يرتادون مدرسة خاصة، ولم أعرف أسماءهم الحقيقية، هؤلاء الذين تظاهرت بأنهم أصدقائي.

بدا أبي متوترًا جدًّا، ويحدوه الأمل، حتى إني أخذت حقيبتي وغادرت السيارة مسرعة، وانطلقت ماشيةً على رصيف المشاة، ثم وقفت أمام المدرسة بينما يمر بي الناس.

ماذا لو تأخرتُ عن كل حصة دراسية لأنه ليس بمقدوري المشي بسرعة كافية؟ ماذا لو احتُجِزتُ كإجراء عقابي، فالتقيتُ الفِتيان الوحيدين الذين سيُبدون اهتمامًا بي -وهم المدمنون والمهملون- وأحببتُ أحدهم وحملتُ بطفله وتخلفتُ عن الدراسة قبل أن أتخرج وأعيش مع أبي ما تبقى من حياتي أو حتى يصبح الطفل في عمر الثامنة عشرة؟

كدت أقفل عائدة إلى السيارة، ولكن كان أبي لا يزال جالسًا في مكانه، وتعلو وجهه ابتسامة تحمل في ثناياها الأمل، وقال: «يمكنك القيام بهذا». ولكنه قالها هذه المرة بصوتٍ أعلى من سابقتها و -أؤكد لكم- أشار رافعًا إبهامه من باب التشجيع لي.

وكان هذا ما دفعني إلى الانضمام إلى الحشد وتركه يحملني معه، حتى أجد نفسي منتظرة دوري عند بوابة الدخول، ثم فتحتُ حقيبتي حتى يتسنى للحارس فحصها، ومررتُ عبر بوابة الكشف عن المعادن، التي قادتني إلى الدخول إلى ممر طويل يتفرع في كل الاتجاهات، في حين كانت تصدمني مرافق وأذرع الطلاب الآخرين وتدفعني إلى الداخل. قلت في نفسي: *ربما في مكان ما في هذه المدرسة يوجد فتى أقع في حبه. لعل واحدًا من أولئك الشباب الجذابين يكون هو الفائز بي وبقلبي بعد طول انتظار. أنا أمثل بولين بوتر بالنسبة إلى مدرسة مارتن فان بورين الثانوية، وسأدخل في علاقات حميمية إلى أن أخسر بقية الوزن الزائد، وأكون في وزني المثالي.* نظرت إلى جميع الفتيان المارين بي. *يمكنه أن يكون هذا الشخص، أو ذاك. وهنا يكمن جمال العالم، ففي اللحظة الحالية، الفتى الواقف هنا، أو ذاك الفتى هناك لا يعني لي شيئًا، ولكن عما قريب سنلتقي ونغير العالم: عالمه، وعالمي.*

هتف أحدهم: «تحركي أيتها البلهاء البدينة». شعرتُ بوخز الكلمة كأنما قد وُخِزتُ بدبوس، كأنما تحاول الكلمة أن تطيح بي مثلما أطاحت بفقاعة أفكاري. فرُحتُ أتقدم إلى الأمام، وميزة حجمي هي أنه يمكنني أن أفسح طريقًا واسعًا.

تُعد السيارة جزءًا من الصورة التي أكوِّنها عن الشخص، مثل الشعر تمامًا. كانت لاند روفر 1968 مُجَدَّدَة، اشتريتها أنا وماركوس من صديقٍ عجوز للعائلة، كان استخدامها الأصلي في أعمال الزراعة، قبل أن تُترك للصدأ يأكلها مدةً تقترب من أربعين سنة. ولكن حاليًّا، يتركب نصفها من قِطَع سيارة الجيب، والنصف الآخر مركبة صالحة لجميع التضاريس، ما يجعل منها سيارة ممتازة كليةً.

جلس ماركوس عابسًا في مقعد الراكب، وقال بصوت منخفض موجهًا كلامه إلى النافذة: «أحمق». لسوء حظي أنه قد حصل على رخصته للقيادة منذ شهر.

- أنت رائع. آمُلُ ألا يفسد الصف الحادي عشر سحرك الصبياني. يمكنك قيادة السيارة العام القادم، عندما ألتَحِقُ أنا بالجامعة.

إذا التحقت بالجامعة، إذا بَرِحت هذا المكان من الأساس.

أشار إليَّ إشارة بذيئة، ومن الخلف، ركل أخونا الأصغر داستي المقعد، وقال: «كُفَّا عن التشاجر».

- إننا لا نتشاجر أيها الرجل الصغير.

- إنكما تبدوان مثل أبي وأمي. ارفع صوت الموسيقى.

كانت الأمور تسير على ما يُرام بين أبي وأمي منذ بضع سنوات، ثم شُخِّصَ أبي بمرض السرطان. وكنت قد اكتشفتُ خيانته لأمي في الأسبوع السابق لتشخيصه، ولم يعرف أني أعرف، ولست متأكدًا مما إذا كانت أمي

على علم بذلك، ولكن يخطر لي هذا السؤال في بعض الأحيان. وعلى أي حال، لقد شُفي الآن من السرطان، ولكن الأمر لم يكن سهلًا، خصوصا لداستي، الذي في العاشرة من العمر.

رَفَعتُ صوت الأغنية، كانت أغنية قديمة لجاستن تيمبرليك «سيكسي باك»[1]، ثم شعرتُ أني عدت إلى ما أحب فعله. لدي أربع أغنيات تصويرية أتمنى لو أسمعها مدوية كلما دخلت أي مكان، وهذه واحدة منها.

***

توقفنا خارج أسوار مدرسة داستي، ثم انطلق داستي مُسرِعًا قبل أن أتمكن من إيقافه، فخرجت مسرعًا لألحق به، وأخذت المفاتيح معي حتى لا يتمكن ماركوس من الرحيل بالسيارة.

بدأ داستي في حمل حقيبة يدوية منذ بداية هذا الصيف، ولم يتحدث أحد عن الأمر، ولا حتى أمي، أو أبي، أو ماركوس.

وصل داستي إلى منتصف الممشى قبل أن ألحق به، فقد كان عليَّ أن أُبقيَ عينيَّ عليه حتى لا أُضيعه. كان داستي يتمتع بأغمق لون بشرة بين ثلاثتنا، وكان شعره بُنِّيًّا كلون عملة نحاسية. في الواقع، أمي نصف سوداء، ونصفها الآخر ينتمي إلى شعب لويزيانا الكريول[2]، وأبي أبيض اللون يهودي. وداستي داكن اللون مثل أمي، كما إن ماركوس ليس أبيض هو الآخر. وأنا؟ أنا جاك ماسيلين فحسب، مَن هو بحق الجحيم.

قال داستي: «لا أريد أن أتأخر».

- لن تتأخر، أردتُ فقط أن... هل أنت متأكد من أمر الحقيبة اليدوية أيها الرجل الصغير؟

- إنها تعجبني، يمكنني أن أضع فيها كل شيء.

قلت: «وتعجبني كذلك، إنها غاية في الروعة. ولكني لست متأكدًا من تَقَبُّلِ الجميع لها بقدرنا، فقد تعتمل الغيرة في صدور بعض الفتيان من

(1) بالإنجليزية «SexyBack». (المترجمة)

(2) شعب يرجع أصله إلى سكان لوزيانا الاستعمارية قبل أن تنضم إلى الولايات المتحدة الأمريكية. (المترجمة)

تلك الحقيبة، لدرجة أنهم سيسخرون منك». ورأيتُ نحو عشرة منهم يمشون مارين بنا الآن.

- لن يَغاروا، سيظنون أنها غريبة الأطوار.
- لا أريد أن يُسيء أحدهم معاملتك فحسب.
- إذا كانت لي رغبة في حمل حقيبة يدوية، فإنني سأحملها. ولن أمتنع عن فعل ذلك لأنها لا تعجبهم.

أصبح في هذه اللحظة بالتحديد هذا الفتى الهزيل صاحب الأذنين الكبيرتين بطلي. وقفتُ أراقب طريقته في التحرك بينما يمشي مستقيمًا كالسهم رافعًا رأسه. أردتُ أن أتبعه طوال طريقه إلى المدرسة لأضمن عدم وقوع أي شيء له.

7 وظائف مناسبة لشخص مصاب بعمى التعرف على الوجوه

كتبها جاك ماسيلين

1. راعي أغنام. (بافتراض أن عمى التعرف على الوجوه لا يشمل الكلاب والأغنام).
2. عامل في كشك دفع رسوم المرور. (بافتراض أن لا أحد ممن تعرفهم سيسير في الطريق الذي تعمل فيه).
3. نجم موسيقى الروك، أو عضو في فرقة غنائية رجالية، أو لاعب في دوري كرة السلة الأمريكي، أو أي مهن من هذا القبيل. (يظن الناس أنك مغرور جدًّا، حتى إنهم لن يُفَاجَؤُوا من عدم تذكرك إياهم).
4. كاتب. (من أكثر الوظائف الموصى بها للأشخاص المصابين باضطرابات القلق الاجتماعي).
5. شخص يُمَشِّي الكلاب أو يدربها. (راجع النقطة الأولى المذكورة أعلاه).
6. مُحَنِّط. (عدا أني قد أخلط بين الجثث).
7. ناسك. (مثالية، عدا أن الأجر زهيد).

ليبي

أخذتُ أُفسح الطريق طوال سيري لحضور الحصة الأولى. اخترتُ مقعدًا في الصف الأقرب إلى الباب، احتياطًا لحاجتي إلى الفرار فجأة. جلست خلف المقعد الذي بالكاد اتسع لي، وكان ظهري من تحت قميصي مُبَلَّلًا بفعل العرق، وقلبي يخفق. لـم تتسنَّ لأحد رؤية هذا رغم ذلك. وكان بي أمل بسيط ألا يراها أحد، لأنه ما من شيء أسوأ من أن تشتهري بالفتاة البدينة المتعرقة. وبينما يدخل زملائي إلى الفصل واحدًا تلو الآخر، كان يحَدِّق إليَّ بعضٌ منهم، ثم ضحك بعضهم ضحكة مكتومة. ولم أتعرف في وجوه هؤلاء البالغين على أيٍّ من الطلاب الذين عرفتهم قديمًا لما كانوا في عمر الحادية عشرة.

ولكن المدرسة لم تخالف توقعي، إلا في بعض الأشياء. لسبب ما، تضم مدرسة مارتن فان بورين الثانوية نحو ألفي طالب، مما يجعلها مكانًا يضج بالصخب والجلبة. ولسبب آخر، لا أحد يظهر بالمظهر اللامع البراق، مثلما يكونون في تصوير التلفاز والأفلام عن المدرسة الثانوية، فالمراهقون الحقيقيون لا يكونون في عمر الخامسة والعشرين، فنحن لدينا بشرة وشعر يعانيان المشكلات، كما لدينا بشرة صافية وشعر جميل، كما إننا جميعًا لنا أشكال وأحجام مختلفة. وأنا أحب هذه النسخة من نفوسنا عن تلك المعروضة في التلفاز، رغم أنه بجلوسي هنا أشعر بأني ممثلة تلعب دورًا من نوع ما، فأنا هنا الغريبة التي لا تنتمي إلى هذا المكان، الفتاة الجديدة في المدرسة. كيف ستُنسَج قصتي؟

قررتُ أني سأبدأ هنا بصفحة بيضاء. وفي اعتقادي، هذه أنا أبدأ من جديد، فأي شيء مما حدث عندما كنت في عمر الحادية عشرة، والثانية عشرة،

والثالثة عشرة، لا وجود له الآن. فأنا مختلفة، وهم كذلك مختلفون، على الأقل من الخارج. فربما لن يتذكروا أني كنت *تلك الفتاة*، ولا أنوي أن أذكرهم بها.

نظرت مباشرة إلى أعينهم، وابتسمتُ لهم ابتسامة أبي الجديدة المميزة، المرفوعة عند جانبي الفم. بدا عليهم الذهول من هذه الابتسامة، فبادلني بعض منهم الابتسام. ومَدَّ الفتى المجاور لي يده، وقال: «مايك».

- ليبي.

قال: «أنا من كوبنهاجن[1]، وأنا هنا ضمن برنامجٍ تبادُلي. هل أنتِ من آموس؟». كان شبيهًا بالفايكنج، رغم شعره شديد السواد.

أردت الإجابة بقول: *أنا طالبة ضمن برنامج تبادل الطلاب كذلك. أنا هنا من أستراليا. أنا هنا من فرنسا.* ولكن نظرًا إلى أن الفتيان الوحيدين الذين تحدثت إليهم خلال السنوات الخمس الماضية كانوا أولئك الموجودين في معسكر خسارة الوزن، فقد دفعني ذلك إلى الإيماء بالإيجاب فحسب.

أخبرني كيف أنه كان مترددًا في مطلع الأمر حيال المجيء إلى هنا من عدمه، ولكن قرر فيما بعد أنها ستكون تجربة نافعة كي يتعرف على قلب الولاية و«طريقة معظم الأمريكيين في الحياة». أيًّا كان المعنى المقصود من هذا.

تمكنت من قول: «ما الأمر المحبب إليك بخصوص إنديانا؟».

- أني سأعود يوما مَا إلى وطني.

ثم ضحك، لذا ضحكت أنا أيضًا. بعدها دخلت فتاتان، وتحولت عيناهما إليَّ مباشرة، فهمست إحداهما بشيء إلى الأخرى، وجلستا في المقعدين أمامنا. هنالك شيء مألوف حيال هاتين الفتاتين، إلا إني عجزت عن تذكرهما. *ربما سبق لي معرفتهما.* شعرت بالوخز يسري في جلدي، وانتابني شعور فيلم الرعب ذاك مرة ثانية. رفعت نظري إلى السقف كما لو أن ثمة بيانو على وشك السقوط فوق رأسي، ذلك لأني أعرف أنه سيأتي من مكان ما، إذ لطالما يحدث ذلك.

أقنعت نفسي بأن أمنح مايك فرصة، وكذلك الفتاتين، وأن أمنح هذا اليوم فرصة، وكذلك نفسي، بدرجة أكبر. فمن منظوري أنا، قد فقدت أمي، وأفرطت

---

(1) العاصمة الدنماركية، التي كانت قديمًا موطنًا لشعوب الفايكنج، ذوي الشعر الأحمر. (المترجمة)

في تناول الطعام حد الموت تقريبًا، وأخرجوني من المنزل على مرأى من البلاد بأكملها، وتحملت أنظمة التمارين، والحميات الغذائية، وخيبة أمل البلاد بأكملها، ووصلت إليَّ رسائل بريد تعج بالكراهية من غرباء لم يسبق لي معرفتهم.

«إنه أمرٌ مقزز أن يدع المرءُ نفسه يصل إلى هذا الحجم الضخم، وإنه أمر مقزز أن أباكِ لم يفعل شيئًا حيال الأمر. آمل أن تتغلبي على هذا وتستقيمي مع الله، فهنالك أناس يقاسون الجوع في العالم، ومُخزٍ أنكِ تأكلين هذا القدر في حين لا يملك الآخرون ما يكفيهم».

لذا أوجه إليكم السؤال: ما الجديد الذي قد تفعله بي المدرسة الثانوية أكثر مما قد حدث لي بالفعل؟

جاك

دخلنا إلى موقف السيارات، ولم يكن لدينا متسع من الوقت، فوجدنا آخر مكان فارغ في الصف الأول من السيارات المتراصة. أسقط ماركوس هاتفه، ولما اعتدل في جلسته ثانية، بدا كأنه شخص جديد تمامًا. وبتلك البساطة، اختفت الصورة المرسومة في عقلي له، وتحتم عليَّ الآن البدء من جديد، إضافة الملامح:

شعر أشعث + ذقن مستدق + ساقان تشبهان سيقان الزرافة تبلغ مترين = ماركوس.

وما كدت أوقف السيارة في الموقف، حتى خرج منها وراح ينادي على رفاقه. أردت أن أقول له *انتظرني. لا تتركني أخرج إلى هناك وحدي*. أردت أن أقبض على ذراعه، وأمسك به حتى لا أفقده. وبدلًا من ذلك، تابعته بعيني ولم أرمش، لأن هذا سيجعله يختفي. ثم ذاب في الحشد وأخذ في المشي باتجاه المدرسة كفرد من القطيع.

في مملكة الحيوان، تُطلَق أسماء غير عقلانية على مجموعات الحيوانات، إذ يُقال: حماس من الحمير الوحشية، وجريمة قتل من الغربان، وقسوة من الغربان السخماء، والمفضلة بالنسبة إلي: إحراج من دببة الباندا.[1] ماذا

(1) في العربية نقول: وتيرة من الحمير الوحشية، وسرب من الغربان، وقطيع من الدببة، ولكن اخترنا الترجمة الحرفية هنا لأنه في الإنجليزية اسم كل مجموعة له ارتباط بمعنى ناتج عن السلوك الجماعي لكل مجموعة منها. فمثلًا، الحمير الوحشية استخدم لها حماس ليدل على حركتها، والغربان استخدم لها هذا الاسم لأنه متأصل في الثقافة الإنجليزية ارتباط الغربان بمواقع القتل، وهكذا. (المترجمة)

سنطلق على هذه المجموعة؟ رعب من الطلاب؟ كابوس من المراهقين؟ وبدافع التسلية، تفحصت وجوه المارِّين سريعًا، باحثًا عن أخي. ولكن الأمر كان أشبه بمحاولة اختيار دُبٍّ قطبي من شفق[1] دببة قطبية.

جلست نصف ثانية مستمتعًا بالعزلة: 30.. 29.. 28.. 27...

هكذا سأقضي اليوم إلى أن أعود إلى البيت ثانية. خلال الثواني الثلاثين هذه، تركت نفسي تفكر في كل الأشياء التي لن أسمح لها بالتفكير فيها خلال الساعات الثماني المقبلة. وكانت الأغنية تبدأ بالطريقة نفسها.

لدي دماغ مضطرب...

---

(1) الاستخدام نفسه، فيقول: شفق من الدببة، إذ ارتبطت الدببة بالشفق القطبي. (المترجمة)

ليبي

قضيت عشرين دقيقة في الفصل دون أن يحدق إليَّ أحد. كانت معلمتنا السيدة بيلك تتحدث، وإلى الآن، كنت قادرة على المواكبة. وأخذ مايك يهمس لي بتعليقات ذكية لمساعدتي، ما جعله إما صديقي المقرب الجديد، وإما حبيبي المستقبلي، وإما على الأرجح الفتى الذي سأدخل معه في علاقة حميمية لأخسر باقي الوزن اللازم خسارته.

أنتِ تنتمين إلى هذا المكان مثل أي أحد، فلا أحد يعرف من أنتِ، ولا أحد يهتم. ستنجحين في هذا يا فتاة. لا تستبقي الأحداث، فأنا أعتقد أنكِ ستنجحين في هذا.

ثم ضحكت على أحد الأشياء التي قالها مايك، ثم خرج من *أنفي شيء ما واندفع في الهواء، ثم استقر على الكتاب المدرسي لمايك.*

قالت السيدة بيلك: «ركزوا من فضلكم». ثم واصلت الحديث.

ثَبَّتُّ عينيَّ عليها، ولكن لا يزال يمكنني رؤية مايك في إطار رؤيتي المحيطية، ولست متأكدة مما إذا كان قد لاحظ الشيء الذي طار باتجاهه، ولم أجرؤ حتى على النظر تجاهه. *رجاءً لا تَرَها.*

ثم واصل الهمس كما لو أن شيئًا لم يحدث، كأن العالم لم يكن على وشك الانتهاء. ولكن الآن، لا أريد إلا أن أغمض عيني وأستسلم للموت. فلم تكن هذه هي الطريقة التي أريد لعلاقتنا أن تبدأ بها. ولم يكن هذا ما تصورته لنفسي عندما كنت مستلقيةً وأنا مستيقظة الليلة البارحة أتخيل عودتي الكبيرة إلى مجتمع المراهقين.

ربما سيظن أن هذا تقليد أمريكي غريب، ويكون الأمر أشبه بعادة عجيبة من عاداتنا في الترحيب بالغرباء في بلادنا.

قضيتُ بقية الحصة مركزة بشدة على ما تقوله السيدة بليك، وكانت عيناي مثبتتين على مقدمة الفصل.

***

عندما رَنَّ الجرس مُعلِنًا انتهاء الحصة، استدارت الفتاتان مألوفتا المظهر ونظرتا إلي، فوجدتُ أنهما كانتا كارولاين لاشامب وكيندرا وو، فتاتين عرفتهما منذ الصف الأول، إذ بعدما أُنقذِتُ من المنزل، أجرت معهما الصحافة لقاءً، وكان يُشار إليهما بأنهما «الصديقتان المقربتان للمراهقة المنكوبة». وفي المرة الأخيرة التي رأيتهما فيها، كانت كارولاين فتاة غير جذابة في عمر الحادية عشرة، ترتدي وشاح هاري بوتر[1] كل يوم، بغض النظر عن حرارة الجو. وكان من بين العوامل التي تميزها أنها قد انتقلت من واشنطن العاصمة إلى آموس عندما كانت في رياض الأطفال، وكانت مُحرَجَةً من قدمها ذات الأصابع فارعة الطول لدرجة أنها تنثني مثل أصابع رجل الببغاء. وكانت الذكرى الحاضرة في عقلي عن كيندرا هي أنها كتبت على بنطالها الجينز مقولة من أدب هواة بيرسي جاكسون[2]، وكانت تبكي كل يوم على كل شيء: الفتيان، أو الواجب المنزلي، أو المطر.

وبالطبع الآن كبرت كارولاين، وغدا طولها مترين، وتتمتع بقدرٍ كافٍ من الجمال لأن تكون عارضة في إعلانات شامبو الشعر. وكانت ترتدي تنورةً وسترةً قصيرة ضيقة، كما لو أنها ترتاد مدرسة خاصة. أما كيندرا، التي تبدو ابتسامتها كأنها مثبتة على وجهها، فكانت مرتديةً ثيابًا تتشح بالسواد الكامل، وكانت جميلة بالقدر الكافي لأن تكون مضيفة في سلسلة مطاعم «أبل بيز» في الجانب الأرقى من المدينة.

قالت لي كارولاين: «سبق لي أن رأيتكِ».

- أسمع هذا طوال الوقت.

دَقَّقَتِ النظر، وعرفتُ أنها تحاول أن تتذكرني.

---

(1) شخصية هاري بوتر في سلسلة عالم السحر الشهيرة «هاري بوتر»، للكاتبة البريطانية جيه. كيه. رولينج. (المترجمة)

(2) سلسلة «بيرسي جاكسون»، للكاتب الأمريكي ريك ريوردان، التي تدور أحداثها في عالم حيث يصارع البطل بجانب الآلهة الإغريق للتغلب على الجبابرة، لمنعهم من تدمير العالم. (المترجمة)

- سأساعدكِ. دائمًا ما يخلط الجميع بيني وبين جينيفر لورنس، ولكن لا تربطنا أي صلة قرابة.

رفعتْ حاجبيها فجأة مثل رباطٍ مطاطيٍّ قد شُدَّ.

- أتفق أنه يصعب تصديق ذلك، ولكني قد دخلتُ إلى موقع Ancestry.com وتحققتُ مرتين من الأمر.

قالت كارولاين لكيندرا: «أنتِ الفتاة التي كانت محبوسة في منزلها، واضطر قسم إطفاء الحرائق إلى إزالتها من المنزل. أتذكرين؟ لقد ذُكِرنا في الأخبار».

لم يكن الأمر على نحو: *أنتِ ليبي ستراوت، الفتاة التي عرفناها منذ الصف الأول.* لكن على نحو: *أنتِ الفتاة التي كانت محبوسة في منزلها، وكانت السبب في ظهورنا على التلفاز.*

كان مايك –القادم من كوبنهاجن– يشاهد هذا كله، وقلت: «أنتما تفكران في جينيفر لورنس ثانية».

تحول صوت كارولاين إلى صوت ناعم متعاطف، وقالت: «كيف حالكِ؟ اشتدَّ قلقي عليكِ، ولم يسعني تخيل كيف قاسيتِ هذا. ولكن عجبًا، لقد خسرتِ الكثير من الوزن! أليس كذلك يا كيندرا؟».

كانت كيندرا لا تزال تبتسم في الواقع، ولكن النصف العلوي من وجهها تمخَّض عن تكشيرة، وقالت: «خسرتِ الكثير».

- تبدين في غاية الجمال.

قالت كيندرا ولا تزال ترتسم على وجهها الابتسامة المصحوبة بتكشيرة: «يعجبني شعركِ».

إن أسوأ الأشياء التي قد تتفوه بها فتاة جميلة لفتاة بدينة هو: *«تبدين في غاية الجمال».* أو *«يعجبني شعركِ».* وأدركتُ أن تصنيف الفتيات الجميلات معًا في إطار واحد يتساوى في السوء مع تصنيف الفتيات البدينات معًا في إطار واحد، وأدركتُ أنه يمكن أن يكون المرء جميلًا وبدينًا في الوقت ذاته. (مرحبًا!) ولكن من واقع تجربتي، فإن تلك أشياء تقولها لك فتيات مثل كارولاين لاشامب وكيندرا وو عندما تظنان عكس ذلك بالفعل. إنه إطراءٌ مُحَمَّلٌ بالشفقة. وأحسستُ بروحي تخبو قليلًا. ثم نهض مايك القادم من كوبنهاجن دون أن ينبس بكلمة، ومشى خارج الفصل.

كانت كارولاين لاشامب هي الشيء الأقرب في حياتي إلى معنى الصديقة، وكان سبب هذا أنها واسعة الاطلاع وجميلة، وفوق كل شيء، ذكية. عندما أُغرِمتُ بها المرة الأولى، كانت ضمن ذاك النوع من الأذكياء الذين لا يستعرضون ذكاءهم، أتى هذا فيما بعد. فقد كانت تجلس مسترخية، ولا تشارك في أي شيء، وتفهم الأشياء باستيعابٍ تام. وكنا نتحدث على الهاتف بعدما يخلد الجميع إلى النوم، وكانت تحكي لي ما حدث في يومها: ما شاهَدَته، وما فكرت فيه. وكنا في بعض الأحيان نتسامر الليل بطوله.

أما كارولاين الحالية، فهي طويلة، وبالغة الجمال، ولكن سِمتها المُميِّزة هي أن لها قدرة على تفريق الجماعات، واستفزاز الجميع، حتى المعلمين. هذا في أغلب الأحيان بسبب أنها غدت تتحدث الآن –دومًا– ولا تتجَمَّل في قول الحقيقة. والسبب في استمرارنا في الرجوع أحدنا إلى الآخر مطلقًا هو تاريخ علاقتنا الماضية، *فأنا أعرف أنها لا بد أن تكون موجودة فيه، حتى وإن لم توجد لمحة منها.* وهبطتْ كارولاين الجديدة هذه دون سابق إنذار. كان ذلك في السنة الثانية، ما يعني أن كارولاين القديمة (يُحتَمَلُ) أن تعود في أي لحظة. والسبب الآخر هو أنه يسهل عليَّ التعرف عليها بشكلٍ عام.

تجنبت الممر الذي لم أفضله قط، الموجود خارج المكتبة، الذي توجد به خزانة كارولاين. عندما كنت في السنة الأولى، عملت في المكتبة، وإذا صادَفتُ أيًّا من أُمَنَاء المكتبة، ألقوا التحية، وسألوا عن حال عائلتي، ويكون من المتوقع مني أن أعرف مَن هم.

وراح يلقي عليَّ الناس التحية بينما أمشي، وهذا كابوسٌ من نوعٍ آخر، فكنت أبالغ في التصرف بخُيَلاء، ويعلو وجهي شبه ابتسامة، ولا أسرف في الود، ولكن لا بد أني قد أغفلتُ أحدهم، لأني سمعته يهتف: «حقير».

الماء خادعٌ غادر. هذا هو أول ما تعلمناه عن المدرسة الثانوية، ففي لحظة تكون محبوبًا، وفي اللحظة التالية منبوذًا. اسألوا لوك ريفيز فحسب، صاحب أشهر قصة تحذيرية في مدرسة مارتن فان بورين، إذ كان لوك *الشخص الذي ينال الاحترام والقبول* من الجميع في السنة الأولى، إلى أن عرفوا أن والد لوك قد قضى فترة في السجن. والآن، غدا لوك في السجن كذلك، ولا حاجة بكم إلى معرفة السبب.

كان الممر في هذه اللحظة يعج بالكثير من أمثال لوك المحتملين، فأحد الطلاب يُحشَرُ في الخزانة، وآخر يتعثر بسبب قدم الفتى الممدودة، التي تجعله يطير مندفعًا نحو شخصٍ آخر، الذي يدفعه بدوره بعيدًا، إلى أن يجد الفتى نفسه يتنقل من شخصٍ إلى آخر كأنه كرة طائرة، ولكنها بشرية. وتتفوه الفتيات بكلامٍ مؤذٍ في وجه فتاة أخرى، حتى تستدير مبتعدة باكية حمراء العينين. وفتاةٌ أخرى تسير وعلى ظهرها يتأرجح حرف «A» قرمزي كبير، يثير ضحك الناس من خلفها، لأن الجميع فهم النكتة ما عدا هستر برين.[1] ومقابل كل شخص ضاحك في هذا الممر، هنالك خمسة أشخاص يعلو وجوههم الأسى، أو البؤس.

حاولتُ أن أتخيل كيف ستكون الحال إن عرف جميع مرتادي المدرسة الثانوية بحالي، فيمكنهم بالمعنى الحرفي للكلمة أن يتوجهوا مباشرة ليسرقوا أغراضي، أو يسرقوا سيارتي، ومن ثم يعودون ويساعدونني في البحث عنها. فيمكن لهذا الشخص أن ينتحل شخصية ذاك الشخص، أو يمكن لهذه الفتاة أن تتظاهر بأنها تلك الفتاة، وهو ما سيكون أمرًا يدفع إلى الجنون، فالجميع سيكون مدركًا المزحة إلا أنا.

أردت مواصلة السير إلى أن أصل إلى البوابة الأمامية، ثم ألوذ بالفرار من هنا.

---

(1) من رواية «الحرف القرمزي» لناثانيال هاوثورن، حيث حُكِمَ على هستر برين بتعليق حرف A قرمزي على ملابسها، عقابًا لها على الحمل سفاحًا من غير زوجها. (المترجمة)

سمعت أحدهم يقول: «انتظر يا ماس[1]». فبدأت بالمشي أسرع.

- ماس!

يا إلهي، ابتعد أيًا كنت.

- ماس! ماس! انتظر، أيها الأحمق!

سارع هذا الشخص حتى يلحق بي. كان له طولي ذاته تقريبًا، وممتلئ الجسم، وكان شعره بني اللون، ويرتدي قميصًا عاديًّا. نظرتُ نظرة خاطفة إلى حقيبة ظهره، والكتاب الذي يحمله، وإلى حذائه، وإلى أي شيء قد يدلني على شخصه، بينما راح يستهل الكلام بحماس بالغ. قال: «يا رجل، أنت في حاجة إلى فحص أذنيك».

قلت: «عذرًا، أنا في طريقي إلى مقابلة كارولاين».

إذا كان يعرفها، فإن الأمر سينجح.

قال: «تَبًّا».

إنه يعرفها، فعندما يتعلق الأمر بكارولاين لاشامب، ينقسم الناس إلى قسمين: فهم إما مُغرَمون بها، وإما مرعوبون منها.

- لا عجب أنك تبدو شاردًا.

عرفت من طريقته في قول هذا أنه ينتمي إلى قسم المرعوبين.

- ظننت فحسب أنك ستخبرني بهذا الأمر في وجهي.

عندما لا يمنحونك ما يكفي من المعلومات لتستمر في هذا، هذا كابوسٌ آخر.

- أخبرك بماذا؟

توقف في منتصف الممر، واحمرت وجنتاه، وقال: «هل أنت جاد؟ إنها حبيبتي. أنت محظوظ لأني لم أبرحك ضربًا».

كان هذا ريد يونج بشكل شبه مؤكد، ولكن يوجد احتمال طفيف أن يكون شخصًا آخر، لذا قررتُ أن أُعَمِّمَ كلامي، مع محاولتي أن أكون محددًا قدر الإمكان، وقلت: «أنت محق، أنا محظوظ، ولا تظن أني لست ممتنًا للأمر، فأنا مدين لك يا رجل».

---

(1) اختصار ماسيلين. (المترجمة)

- أجل، أنت مدين لي.

سمعت أصواتًا تتعالى من الطرف الآخر من الممر. كانت الأصوات عالية وصاخبة كأن عصابة إجرامية تنهب في الريف. أفسح الناس الطريق فجأة، وظهر فتيان ضخما الجثة، ثم قالا: «ما الخطب يا ماس؟ لقد سمعنا أنك حظيت بوقت ممتع في الحفل». ثم انفجرا ضاحكين بهستيرية. ربما لم أتعرف عليهما، ولكن بدا أنهما كانا من أصدقائي. ثم دفع أحدهما بكتفه فتًى مسكينًا كان يأتي تجاهنا خفية، وأخبر الفتى بأن ينتبه إلى وجهته.

قلت لضخم الجثة: «يا رجل تَحَلَّ ببعض الاحترام». ثم أومأتُ تجاه ريد وقلت له: «حقًّا يا رجل، أنت صديق عزيز». ولم يكن هذا حقيقيًّا على وجه التحديد، ولكن قد جمعني أنا وهو فريق كرة السلة منذ السنة الأولى في المدرسة الثانوية.

- حسنًا، لا تزال تعتريني رغبة في أن أبرحك ضربًا، ولكن إياك أن تكررها.

- أبدًا.

ثم نظر اتجاه المكتبة، حيث كانت تقف فتاة في الجهة المقابلة من الخزائن تتحدث في هاتفها، ثم ارتجف وقال: «لا أريد أن أكون مكانك الآن». واندفع ماشيًا في الاتجاه المقابل، وتبعه الفتيان ضخما الجثة.

بينما أقتربُ من الفتاة، أمكنني رؤية عينيها فاتحتي اللون، اللتين تتباينان مع بشرتها الداكنة، والشامة التي ترسمها بجانب حاجبها الأيمن، حتى مع علم الجميع أنها غير حقيقية.

اهرب بينما لا يزال يمكنك ذلك.

رفعت بصرها، وقالت: «حقًّا؟». وبالطبع كانت هذه كارولاين. لم تمهلني، فاستدارت لتدخل إلى المكتبة، حيث أمكنني أن ألمح أمناء المكتبة من خلف المكتب متأهبين لدخولي هناك، حتى يجعلوني أظهر بمظهر الأحمق.

أمسكت ذراعها ولففتها باتجاهي، ورغم أني لم أرغب في ذلك، فإني جذبتها نحوي وقَبَّلْتُها بحرارة. وقلت بينما أفلتها: «هذا ما كان عليَّ فعله يوم السبت، هذا ما كان عليَّ فعله طوال الصيف».

إن نقطة كعب أخيل[1] بالنسبة إلى كارولاين هي الأفلام الرومانسية الكوميدية، وأفلام مصاصي الدماء الرومانسية، فهي ترغب في العيش في عالم يجذب فيه الفتى الجذاب الفتاة ويلثمها، لأنه تغلبه الرغبة والحب لدرجة أنه لا يملك عقله. لذا تحسست وجهها، وأرجعت شعرها خلف أذنها بحرص حتى لا أخرب تسريحته، وإلا فسيزداد غضبها. لسبب ما، التواصل بالأعين صعبٌ عليَّ عادةً، ما معناه أني ركزت على ثغرها، وقلت: «أنتِ جميلة».

احترس! هل هذا ما تريده؟ لقد كنا في هذا المأزق من قبل يا صديقي. هل نريد حقًا أن نقع فيه ثانية؟

ولكن هنالك بعضًا مني يريدها، ويكره أني أريدها.

شعرت بها تهدأ. وإن كنت أعرف كارولاين حق المعرفة، فإن إعطاءها الفرصة لأن تكون المُسامِحة لهي الهدية الأعظم التي قد أهديها إياها. لم تبتسم –غدت ابتسامتها نادرة مؤخرًا–، ولكن عينيها تحولتا إلى النظر إلى الأرض فجأة، ثم تثبتتا على شيء غير مرئي هناك. وتحول جانبا فمها إلى الأسفل، إذ كانت تُمعِنُ التفكير في الأمر. ثم أخيرًا قالت: «أنت أسوأ من أعرفهم يا جاك ماسيلين. ولا أعرف حتى لِمَ أتكلم معك». وهو ما كان في لغة كارولاين يعني أحبك أيضًا.

- ماذا عن زاك؟

- انفصلت عنه منذ أسبوعين.

وبهذه البساطة، عدنا من جديد إلى بعضنا.

ثم أمسكت بيدي ومشينا في الممرات، وتسارعت دقات قلبي قليلًا، وشعرت بهذا الإحساس: *أنا بأمان.* وستكون هي مرشدتي دون حتى أن تعلم، وستخبرني بهوية كل أحد. إننا الثنائي كارولاين وجاك، وجاك وكارولاين. فما دُمتُ معها، *فأنا بأمان. أنا بأمان. أنا بأمان.*

---

(1) في الأسطورة الإغريقية، كعب آخيل هو الموضع من آخيل الذي أودى بحياته، عندما أُصيب بسهم مسموم فيه خلال معركة. وكانت عرافة قد تنبأت بموت آخيل في إحدى المعارك، وخوفًا عليه، غطسته أمه في نهر ستيكس، الذي يمنح القوة، ولكنها كانت تمسكه من كعبه في أثناء تغطيسه، فلم يصل الماء إليه، وبهذا تسبب هذا الموضع من كعبه في موته. ويُشارُ بها بشكل عام إلى نقطة ضعف الشخص التي تؤدي إلى سقوطه. (المترجمة)

ليبي

في اعتقاد السيد دومينجيز أنه لو لم يكن يدرس لنا دورة تعليم القيادة، فإنه كان سيحجز على السيارات، ولا يقصد بذلك سيارات الأشخاص المتخلفين عن الدفع، بل سيحجز على سيارات الأشخاص ممن لا يجيدون القيادة، وبعدها، كما يفعل روبن هود[1]، يعطي دار الأيتام تلك السيارات، أو الماهرين في القيادة الذين لا يملكون المال لشراء سيارة جديدة. ويصعب القول إن كان يتحدث بجدية، لأنه لا يتمتع بأي حس فكاهي، ويحملق إلى كل شيء، وهو أكثر الرجال الذين رأيتهم جاذبية.

قال: «تنأى الكثير من المدارس بنفسها عن دورات تعليم القيادة، فترسلك خارجًا إلى مكان ما كي تتلقى دروس القيادة». والطريقة التي قال بها «في *مكان ما*» تجعله يبدو مكانًا مُظلِمًا وموحشًا. أردف: «ولكننا نعلمكم هنا لأننا نهتم لأمركم».

ثم عرض لنا فيلمًا عن حادث انزلاق سيارة تحت أخرى، وهو ما يحدث عندما ترتطم النهاية الخلفية للسيارات ارتطامًا جزئيًا، وتَعلَق تحت سيارة أخرى. راح الفتى المُسَمَّى ترافيس كيرنز يضحك في البداية، ولكنه نطق بكلمة «يا إلهي» مرة أخيرة، ثم صمت. بعدها بعشر دقائق، لم تبتسم بايلي بيشوب حتى، وطلبت مونيك بنتون الإذن حتى تذهب للتقيؤ في الحمام.

---

(1) وفق الفلكلور الإنجليزي، روبن هود يُعَدُّ فارسًا شجاعًا، كان يسرق من الأغنياء ويعطي الفقراء. (المترجمة)

وبعدما غادرت، قال السيد دومينجيز: «هل من شخص آخر؟». كما لو أن مونيك خرجت من الفصل احتجاجًا، وليست ممسكة بَطنَها. وتابع: «تقول الإحصائيات إنك ستلقى حتفك في حادث سيارة قبل أن تبلغ الحادية والعشرين، وأنا هنا لأضمن عدم حدوث هذا».

سرت الحكة في جلدي، وشعرت أنه يجهزنا للحرب، مثلما فعل هايميتش مع بطلتنا كاتنيس.[1] وقالت بايلي من الطرف الآخر للفصل: «أوه، عجبًا!»، وهو التعبير المقابل في لغتها لـ «تبًّا». وبدا على الجميع الإعياء، عَدايَ.

هذا لأني في تلك اللحظة، وبينما تتدحرج رأس شخص ما على الطريق، أعرف الدور الذي أريد أن ألعبه في هذا الفصل، وفي مدرسة مارتن فان بورين الثانوية. لن أكون ضمن الإحصائيات، فقد بلغت رقمًا قياسيًّا في الإحصائيات أغلب حياتي، ولن أكون واحدة من هؤلاء السائقين الذين يُسحَقون تحت الشاحنات، فأنا أرغب في أن أكون الفتاة التي يمكنها فعل أي شيء، أريد أن أكون الفتاة التي تخضع لتجارب أداء فريق الفتيات الاستعراضي في مدرسة مارتن فان بورين الثانوية، وأنضم إلى الفريق لمهارتي الرياضية.

رفعتُ يدي، وأومأ إليَّ السيد دومينجيز، وسَرَت دَفعة من الكهرباء في جلدي.

- ما أقرب وقت يمكننا أن نقود فيه؟
- عندما تكونون جاهزين.

(1) شخصيتان من سلسلة «ألعاب الجوع»، للكاتبة الأمريكية سوزان كولنز، التي تدور في عالم ديستوبيا، الذي تكافح فيه البطلة كاتنيس لتغيره. (المترجمة)

أكثر 8 أمور أكرهها عن السرطان

كتبها جاك ماسيلين

1. تتوارثه العائلات. بمعنى أنه، حتى لو كنت في عمري، فستظل احتمالية أنك مستهدف من المرض قائمة.
2. تتوارثه عائلتي.
3. طريقة الإصابة به مثل مُذَنَّب؛ يصدمك، بطريقة مفاجئة تمامًا.
4. العلاج الكيميائي.
5. أنه جِدِّيٌّ للغاية. (بعبارة أخرى: لا تحاول بأي طريقة كانت أن تبتسم، أو تضحك حيال أمر ما متعلق به، في محاولة منك للتخفيف من وطأة الأمر).
6. عليك أن تتقرب إلى الله، حتى لو لم تكن متيقنًا من وجوده.
7. عندما يُشَخَّصُ أبوك بالمرض في السنة الثانية من مدرستك الثانوية، وبعد أسبوع واحد من اكتشاف خيانته لأمك.
8. رؤيتك لأمك وهي تبكي.

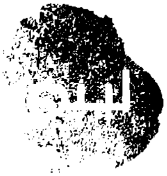

توقفتُ في مكتب هيذر ألبيرن وأنا في طريقي إلى حضور الحصة الرابعة، وكانت تأكل شرائح التفاح وهي جالسة واضعة ساقيها الطويلتين واحدةً فوق الأخرى، وذراعاها الطويلتان تستقران باسترخاء مثل قطتين على ذراعي الكرسي. كانت هيذر راقصةً في صالة راديو سيتي ميوزك هال، التابعة لشركة روكيتس، قبل أن تكون قائدة فريق الفتيات الاستعراضي. وهي بالغة الجمال، حتى إني لا يمكنني النظر نحوها مباشرة، لذا حدَّقتُ إلى الجدار وقلت: «أرغب في الحصول على استمارة فريق الفتيات الاستعراضي، من فضلكِ».

انتظرتها لتقول إن هنالك حدًّا للوزن المسموح به، وإني بعيدة كل البعد عنه. انتظرتها لتُرجِعَ وجهها الجميل إلى الخلف وتضحك بهستيرية قبل أن تطردني، إذ، قبل كل شيء، أفراد فريق الفتيات الاستعراضي لهن شأن رفيعٌ عالي المستوى. وبالإضافة إلى تقديمهن العروض الترفيهية في لعبتي كرة القدم وكرة السلة، فهن يقدمن العروض كذلك في الفعاليات الكبرى في البلدة، مثل الافتتاحات الكبرى، والعروض العسكرية، وحفلات التكريس، والحفلات الموسيقية.

ولكن عوضًا عن ذلك، بحثت هيذر ألبيرن في درج وسحبت استمارة، وقالت: «يبدأ موسمنا هذا الصيف من الناحية الفعلية. وإذا لم يخرج أحد من الفريق، فإنها لن تحين تجارب الأداء التالية إلا بحلول شهر يناير».

قلت بينما أهبُّ واقفة: «ماذا لو خرجت إحداهن؟».

قالت بينما تعطيني الاستمارة: «سنطرح إعلانًا ونعقد تجارب الأداء، ويمكنكِ ملء هذه وإرجاعها إلي، وسأحفظها في ملفاتنا. احرصي فقط على الحصول على إذن والديكِ». ثم ابتسمت تلك الابتسامة الجميلة المشجعة، مثل ماريا في فيلم صوت الموسيقى.[1] ثم طِرتُ من هناك خارجة كأني ملآنة بالهيليوم.

تمايلتُ وقفزتُ مثل بالونٍ في الممرات، وتملكني شعور كأن في عُهدتي السر الأعظم في العالم. *ربما لا تعرفون هذه الحقيقة عني، ولكني أحب الرقص.*

كنت أنظر إلى وجوه جميع المارين وأتساءل عن الأسرار التي يَكنُّونها، حتى اصطدم بي أحدهم. كان فتًى مربع الرأس، وله وجه ضخم متورد.

قال: «مرحبًا».

- مرحبًا.

- هل الفتيات البدينات ممتعات؟

- لا أعرف، لم أجرب ذلك.

كانت الناس تمر بنا من كل الجوانب، وضحك بعضهم على هذا الكلام. واكتست عيناه بنظرة باردة، وها هي ذي الكراهية التي يمكن لشخص غريب أن يشعر بها نحوك، حتى ولو لم تسبق له معرفتك، ببساطة لأنه يظن أنه يعرفك، أو يكره ما أنت عليه.

- أظن أنكِ مقرفة.

قلت: «إن كان هذا يمنحك شعورًا أفضل، فأنا أظن أنك أيضًا كذلك».

ثم تمتم بشيء كان على الأرجح: *عاهرة* بدينة. بغض النظر عن كوني عذراء، فمن المفترض أن أكون قد حظيتُ بعلاقات حميمية مئات المرات إلى الآن حتى أستحق إطلاق الفتيان عليَّ هذا منذ الصف الخامس.

- دعها وشأنها يا سترلينج.

أتى هذا الكلام من فتاة ذات شعر طويل مهفهف، وساقين طويلتين للغاية. كانت بايلي بيشوب. وفَرضًا، لو كانت بايلي الحالية تشبه إلى أي

(1) بالإنجليزية «The Sound of Music»: هو فيلم درامي موسيقي، يحكي عن مربية ترعى سبعة أطفال فقدوا أمهم. (المترجِمة)

حد بايلي السابقة، فهي مخلصة، ومشهورة، ومتدينة، كما إنها لطيفة للغاية، والجميع يحبها، فهي تدخل إلى المكان متوقعة إعجاب الناس بها، ويُعجَبون بها بالفعل، لأنه كيف للمرء ألا يُعجَبَ بشخصٍ غاية في اللطف مثلها؟

قالت: «أهلًا يا ليبي. لا أعرف إذا ما كُنتِ تتذكرينني أم لا...». لم تشبك ذراعها في ذراعي، ولكنها قد تفعل ذلك. وكان صوتها لا يزال يتمتع بتلك النغمة المرحة، إذ كل جملة تقولها تنتهي بنغمة عالية مبهجة، فهي يغلب على صوتها إيقاع الغناء.

- مرحبًا يا بايلي. نعم أتذكرك.

قالت: «أنا سعيدة برجوعك». ثم حوطتني بذراعيها، واستنشقتُ عن غير قصد بعضًا من شعرها، وكانت رائحته أشبه بخليط من الخوخ والعلكة، تمامًا كما تعتقد أن يكون رائحة شعر بايلي بيشوب.

ابتعدنا، ووقفتْ هنالك بالبسمة التي تعلو وجهها، وعينيها الواسعتين، والغمازتين الظاهرتين البراقتين، وكل شيء فيها مبهج للغاية. كانت بايلي صديقتي منذ خمس سنوات، صديقة بالمعنى الفعلي للكلمة، وليست صديقة اختلَقتُها في عقلي. إن خمس سنوات زمن طويل، وفي ذاك الحين لم تكن بيننا قواسم مشتركة من أي نوع، لذا، فلستُ متأكدة من وجود تلك القواسم المشتركة الآن. ولكني قلت لنفسي: *تحلي باللطف. فربما تكون هذه هي الصديقة الوحيدة التي تحظين بها.*

نادت بايلي على فتاة تسير نحونا، وقالت لي: «أريدكِ أن تتعرفي على جايفي. جايفي، هذه ليبي».

قالت جايفي: «أهلًا، كيف الحال؟». كان لها شعر أسود بقصة قصيرة، يتأرجح كلما تحركت، وكانت ترتدي قميصًا كُتِبَ عليه: «حبيبي الحقيقي من عالم الخيال».

شَعَّت من وجه بايلي ابتسامة مشرقة كالمنارة، وقالت: «انتقلت جايفي إلى هنا منذ عامين قادمةً من الفلبين». انتظرت من بايلي أن تقول لجايفي إن هذه السنة الأولى لي في المدرسة بعدما كنتُ حبيسة في البيت، ولكن كل ما قالته هو: «ليبي مستجدة هنا أيضًا».

جاك

كانت الحصة الرابعة هي الكيمياء المتقدمة، وتُدَرِّسُها لنا مونيكا تشابمان، وهي مدرسة علوم، وزوجة، والمرأة التي كانت على علاقة بأبي. في العادة يَسهُل تمييز المعلمين عن الطلاب لأسبابٍ ثلاثة: عددهم أقل من عددنا، وحتى الصغير سِنًّا منهم يرتدي ملابس مخصصة لسنٍّ أكبر من سننا، ويُرَخَّصُ لنا التحديق إليهم يوميًّا. (بمعنى: المزيد من الوقت حتى أعرف سِماتهم المُميِّزة).

ولكن لا شيء من هذه الثلاثة يعينني على التعرف على تشابمان، فلم أحضر فصولًا معها من قبل، وكل ما أعرفه عنها أنها صغيرة السن وعادية كذلك. أقصد أن المرء يأمل أن تكون المرأة التي قرر أبوه أن يخون أمه معها مميزة للغاية، حتى إن شخصًا لا يتذكر أي أحد يكون قادرًا على تمييزها. ولكن لا يوجد شيء مميز يُعرِّفها، بمعنى أنها قد تكون في أي مكان دون أن تعرفها.

اخترت مقعدًا في الجانب الخلفي من الفصل بجانب النافذة، ثم جلس أحدهم بجانبي. كانت هنالك تلك النظرة التي ينظر بها الناس عندما يَعرفونك، وعندما يتوقعون أنك تَعرفهم، وها هو ذا يمنحني هذه النظرة الآن.

قال: «مرحبًا يا رجل».

- مرحبًا.

وفجأة، تفرقت مجموعة الفتيات هذه، وسارت واحدة منهن إلى السبورة البيضاء في مقدمة الفصل، وفَرَّقَت نظرتها بين الجميع وقَدَّمت نفسها، ثم رأتني، وتجمد وجهها لحظة قبل أن تتذكر أن تبتسم.

شرعت مونيكا بعدما استقر الجميع في شرح فروع عدة من الكيمياء، وكان كل ما يشغل بالي هو الفرع الذي لم تذكره، ذاك المسؤول عن علاقتها الغرامية بأبي.

وكان داستي هو سبيلي إلى معرفة هذا، فهو من رأى الرسالة النصية على هاتف أبي، إذ كانت موجودة على الهاتف حيث يمكن لأي أحد رؤيتها. وكان أبي قد ابتعد عن الهاتف، وكان داستي يبحث عن أشياء يجمعها -إذ كان من دأبه أن يجمع الأشياء، وقد ورث هذا الطبع مني-، ثم قال لي بعد ذلك: «ظننت أن اسم أمنا هو سارة».

- هو سارة بالفعل.

- إذن مَن تكون مونيكا؟

ذاك الحقير لم يأبه حتى لتغيير اسمها على الهاتف، فقد كان موجودًا على الهاتف واضحًا وضوح الشمس: مونيكا. وما فاقم الأمر هو أن الهاتف لم يكن هاتفه الاعتيادي، بل هاتفًا اشتراه خصيصى للحديث معها. وتَطَلَّبَ مني أمر تخمين أيّ مونيكا تكون جهدًا إضافيًّا، ولكن يمكنكم أن تصدقوا مقالتي في هذا الأمر، إنها هي.

والآن، كانت تشرع في الحديث عن الكيمياء الفيزيائية، فرفعت يدي.

- ألديك سؤال تودُّ طرحه يا جاك؟

قلت في نفسي: *وهل كان لدي من قبل*؟ إذا كان بمقدوري أن أتفوه بتلك الكلمات التالية، فإن الأمر سيكون أشبه بالمعجزة، لأني أشعر أن صدري محشور في حلقي.

- أردت في الواقع أن أخبركِ ما أعرفه عن الكيمياء الفيزيائية.

أومأ الفتى الجالس بجانبي -الذي كان على ما يبدو داماريو رينيس- تجاه مكتبه، واستدارت بعض الفتيات حتى يرين ما سأقوله. كانت الفتيات متشابهات بعضهن مع بعض حد التطابق، وخطر لي إذا ما كُنَّ يُرِدن أن يظهرن بهذا الشكل المتطابق، أو إذا كُنَّ يعرفن بأمر هذا التطابق من الأساس. كانوا يتوقعون مني قول أي شيء ذكي، كان هذا باديًا على وجوههم. كما إنه لا أحد غيري يعرف بشأن ما حدث بين تشابمان وأبي، فماركوس نفسه لا يعرف بهذا، وأريد أن أبقي على الأمر بهذا الشكل.

قالت تشابمان: «تفضل يا جاك». وبدا صوتها طبيعيًّا بامتياز، واثقًا ومقتضبًا، وبه مسحة من لكنة ولاية ميشيجان، أو ربما ويسكونسن.

- تطبق الكيمياء الفيزيائية نظريات علم الفيزياء لدراسة الأنظمة الكيميائية، وهي تضم حركية التفاعلات، والكيمياء السطحية، وميكانيكا الكَمِّ الجزيئية، والديناميكا الحرارية، والكيمياء الكهربائية.

وابتسمتُ تلك الابتسامة المتوهجة المتهللة، تلك التي تنافس في ضوئها المصابيح العلوية، والشمس الضاربة في النوافذ. سأصيبها بالعمى من ابتسامتي اللعينة، حتى لا تكون بمقدورها رؤية أبي ثانية. وكانت هنالك فتاة يفصلني عنها مقعدان تبتسم لي وهي تسند ذقنها بكلتا يديها، ولكن بدا الارتباك وقليل من خيبة الأمل على وجوه الآخرين. وقال الفتى الذي يبدو أنه داماريو موجهًا كلامه إلى المكتب: «يا رجل. يمكنني أن أتفهم من تلك الكلمة الواحدة كم أنا شخص مخيب للآمال».

قلت: «في الواقع، أظن أن الفرع المفضل منها هو الكيمياء الكهربائية. فهنالك أمرٌ حيال التفاعل الكيميائي الجيد، أليس كذلك؟». ثم بعدها غمزت لمونيكا تشابمان، التي انعقد لسانها عشرين ثانية تالية.

وما إن استعادت قدرتها على النطق، أعطتنا اختبارًا مفاجئًا من أجل «الحكم على قدراتنا». ولكن في اعتقادي الفعلي أنها تفعل هذا لتعبث معي، ذلك لأنها صَحَّحَت الاختبارات على مكتبها، ثم قالت: «جاك ماسيلين، وَزِّع هذه مرة أخرى».

وها قد بدأت اللعبة.

قمتُ من مقعدي ومشيتُ باتجاه مقدمة الفصل، وأخذتُ الاختبارات منها، ثم وقفتُ هناك هنيهةً، محاولًا تخمين ما يتعين عليَّ القيام به. وتبادلتُ أنا والفصل النظرات، وكان ثمة أربعة طلاب لهم سمات مُميِّزة محددة، وثلاثة أنا متأكد تمامًا من أني لا أعرفهم، ولا يُفتَرَضُ بي أن أعرفهم. (ولكني لستُ متيقنًا). وثمانية يقعون في منطقة الحياد، والمشهورة بمنطقة الخطر.

والآن، كان بوسعي التجوُّل بين الممرات، محاولًا مطابقة أسماء من أعرفهم بالوجوه الموجودة، وبمقدوري تقبل الإهانة التي سألقاها ما إن يتضح أني لا أعرف من يكون كل شخص. حقير*! أحمق!*

أو يمكنني فِعلُ ما أفعله الآن. أمسكتُ بحزمة الورق وقلت: «من هنا يريد أن يعرف ما حصلتم عليه؟ فقبل كل شيء، كان اختبارًا مفاجئًا، لذا فإنه على الأرجح لم يستعد له أيٌّ منا». ومن باب الاحتياط، قَلَّبتُ الورق، فوجدتُ أن

معظم الدرجات تتراوح بين جيد، ومقبول، وأقل من جيد، وجيد. وحسب ما توقعت، لم يرفع أحد يده، فقلت: «مَن يفضل انتهاز الفرصة للتعهد للسيدة تشابمان بأنكم ستؤدون أداءً أفضل من الآن فصاعدًا؟». ارتفعت كل الأيدي تقريبًا، تلك الأيدي المتصلة بالأذرع، المتصلة بالجذوع، المتصلة بالأعناق، المتصلة بالوجوه الغريبة التي لا أميِّزُها، التي تُحدق إليَّ. فالأمر أشبه بحفلة تنكرية كل يوم، وتكون أنت وحدك من بين الجميع بلا زيٍّ تنكري، ولا يزال يُتوقع منك أن تعرف من يكون الجميع. مكتبة سُر مَن قرأ

قلت: «في حال كنتم مهتمين، فسأتركها هنا». وأسقطتُ الورق على المكتب الفارغ الموجود في مقدمة الفصل، ثم جلست في مقعدي.

***

عندما رنَّ جرس الحصة، قالت مونيكا تشابمان: «جاك، أود الحديث معك».

مشيتُ خارجًا من الباب كأني لم أسمع شيئًا، ثم توجهتُ مباشرةً إلى مكتب المدرسة الإداري، حيث أخبرتهم برغبتي في الانتقال إلى فصل الكيمياء المتقدمة الآخر، رغم أن من يُدرِّسه هو السيد فرنون، المصاب بالصمم في إحدى الأذنين بنسبة مئة بالمئة على أقل تقدير. استهل أمين المكتب الكلام قائلًا: «لستُ متأكدًا من قدرتنا على تحويلك، لأنه سيتعين علينا إعادة ترتيب جزء من جدولك الدراسي».

للحظة، مِلتُ إلى قول دعنا من الأمر، وسأبقى حيث أنا. وصدقوني، أنا في سعادة بالغة لأني سأضايق مونيكا تشابمان مدة فصلٍ دراسيٍّ كامل. ولكني تذكرتُ أبي، وفقدانه شعره، وكيف أن العلاج الكيميائي قد تركه هزيلًا للغاية، وكيف كان مظهره واهنًا ضعيفًا، كأنه سيتداعى أمامنا لشدة ضعفه. وتذكرتُ كيف كان شعوري وأنا على وشك فقدانه. وكان ثمة بعض مني لا يزال يكرهه، وقد يبقى هذا البعض مني يكرهه إلى الأبد، غير أنه رغم كل شيء أبي، ولا أريد أن تزيد كراهيتي له أكثر مما أنا أكرهه بالفعل. كما إنني في الحقيقة أحبُّ الكيمياء، فلِمَ يتعين عليَّ إفساد تلك المتعة على نفسي؟

استندت إلى الطاولة، وابتسمت لأمين المكتب ابتسامة معناها: لقد اختصصتك *بهذا أنت وحدك*. وقلت: «آسف لو كان الأمر مُحيِّرًا، فلا أريد أن أكون مصدر ضيق. ولكن إن كان الأمر مُجديًا، أعرف أنه بوسعنا جعل السيدة تشابمان تمنحنا موافقتها».

ليبي

قررت تفويت وجبة الغداء، وكان الشيء الذي يتبعها هو حصة الألعاب الرياضية، ولا أظن أن ثمة فتاة على وجه الأرض لا تشعر بالقلق حيال حصة الألعاب الرياضية، بغض النظر عن مدى شعورها بالأمان.

من المنظور الواسع للأمور، قد يسوء اليوم تمامًا. ولم يمنعني أحد من الدخول إلى باحة المدرسة، وحتى الآن، أطلقوا أصوات خوار البقر بينما أمر بهم، وسخروا مني أربع أو خمس مرات، وحدقوا إليَّ مئات المرات. ولم ينظر إليَّ كثير من الناس مرتين، والكثير منهم عاملني كأي شخص آخر. وعلى الأقل صادقتُ واحدًا، أو ربما اثنين، من الأصدقاء المحتملين. ولم أُصَب بنوبة هلع واحدة حتى الآن.

ولكن الأصعب كان شيئًا لم أحتسبه، رؤية أشخاص كنت أعرفهم، أشخاص كبرتُ معهم، وإدراكي أنه بينما كنت أقبع في منزلي، كانوا يكبرون، ويذهبون إلى المدرسة، ويكوِّنون صداقات، ويعيشون حياتهم، فعلى ما يبدو، كنت أنا من توقف بها الزمان.

لذا لم أشتهِ تناول الطعام، واستعضتُ عن ذلك بالجلوس خارج الكافتيريا في موقف السيارات وقراءة كتابي المفضل: «لطالما عِشنا في حصن» لشيرلي جاكسون. كان الكتاب يدور حول فتاة تُسمى ماري كاثرين بلاكوود، التي مات معظم عائلتها، وتعيش مع أختها مختبئة من المجتمع، وحبيسة المنزل، ولكن ليس بسبب وزنها، بل بسبب شيء فظيع اقترفته في الماضي. ويتحاكى الناس في قريتها عنها بالأساطير، ويخافونها، وفي بعض الأحيان

يتسللون إلى منزلها محاولين معرفة لمحة ما عنها. وأنا موقنة بفهمي ماري كاثرين بطريقة مغايرة للجميع.

قرأتُ بِضعَ دقائق، ثم أغمضتُ عيني وأملت رأسي إلى الخلف. بدا اليوم دافئًا ساطعًا، ورغم أني لم أكن حبيسة المنزل منذ فترة، فلم أعتقد أني سأحصل على ما يكفي من أشعة الشمس.

***

كانت حصة الألعاب الرياضية أسوأ مما ورد في مُخيلتي.

جاك

كان بالتأكيد سيث باول هو من قال: «توجد تلك اللعبة التي قرأت عنها». أو ربما قد رآها على الإنترنت، لم يكن بمقدوره التذكر.

- إنها تسمى مصارعة الفتيات البدينات.

وضحك كأنه أكثر شيء مضحك سمع به في حياته. ولشدة ضحكه، كاد يسقط من فوق المدرجات، وقال: «وما تفعله في هذه اللعبة هو أن تذهب إلى فتاة ما بدينة، وتلقي بنفسك عليها كما لو كنت تمتطي ثورًا...». ثم مال إلى الأمام مغطيًا وجهه، وركل المدرجات ثلاث مرات، كما لو كان هذا سيعينه على التقاط أنفاسه. ولما تمكن من النظر إلى الأعلى ثانية، كانت عيناه شبه مغمضتين، ومبللتين من الدموع، وقال: «وتتمسك بها قدر ما تستطيع، حتى تعتصرها...». ثم انحنى إلى الأسفل، ومال إلى الأمام، ورجع إلى الخلف من فرط الضحك. تبادلت النظرات أنا وكام وكأننا نقول: يا له من لعين.

اعتدل سيث في جلسته ولا يزال كل جسده يهتز، ثم قال: «ومَنْ... (كانت تلك الكلمات الأخيرة هي الأصعب في النطق بها). يتمسك بها فترة أطول... (كان بالكاد يلتقط أنفاسه). يفوز».

قلت: «يفوز بماذا؟».

- اللعبة.

- ولكن ماذا يربح من يفوز؟

- اللعبة يا رجل. إنه يفوز باللعبة.

- ولكن أهنالك جائزة؟

- ماذا تقصد بالجائزة؟

إن سيث غبي محض، من باب الأمانة. تنهدتُ كأني أحمل أثقال العالم كلها فوق كتفيَّ، كأني أطلس حامل قبة السماء[1].

- إذا ذهبتَ إلى معرض الولاية[2] ولعبت في معرض التصويب، فهم يمنحونك شيئًا أشبه بدمية دبدوب باندا، أو شيء من هذا القبيل.

أدار سيث عينيه تجاه كام، وقال: «عندما كنت في الثامنة».

مررت يدي كمشط في شعري الأشبه بلبدة الأسد، مما جعله يبدو أكبر وأسوأ. تباطأت في الكلام أكثر فأكثر، بالطريقة نفسها التي ينتهجها أبي مع الغرباء، وقلت: «لذا، لَمَّا ذهبتَ إلى معرض التصويب في عمر الثامنة، أعطوك شيئًا عند فوزك».

شرب كام جرعة كبيرة من الزجاجة التي يدأب على حملها، إلا إنه لم يعرض على أيٍّ منا الشرب مما يشربه. وقال مستهجنًا: «وكأنه قد فاز من قبل».

كان سيث ينظر إليَّ، ولكنه مدَّ يده وصفع كام على جانب رأسه. وسأقر بهذا في حقه، إنه بارع في التصويب.

زَرَّ سيث عينيه وهو ينظر تجاهي، وقال: «ما قصدك؟».

- على ماذا تحصل إذا فُزتَ بالمصارعة؟

قال: «تفوز». ورفع يديه كأنه يقول: وماذا تنتظر أكثر من ذلك؟

كان بمقدوري الاستمرار على هذا المنوال ساعات، ولكن كام قال: «إنها معركة خاسرة يا ماس، دعنا من الأمر».

نظرت إلى كام الآن، وقلت: «هل سمعت بمصارعة الفتيات البدينات؟».

وقف، ثم شرب جرعة أخرى من زجاجته، وللحظة ظننت أنه سيعرض عليَّ الشرب منها، ولكنه أحكم عليها الغطاء ورماها في جيبه مرة أخرى، وقال: «لقد سمعت الآن».

---

(1) وفق الميثولوجيا الإغريقية، كان أطلس أحد آلهة الإغريق، وهو أحد الجبابرة الأقوياء الذين خاضوا حربًا ضد الأولمبيين، وجزاءً له، عاقبه زيوس بحمل قبة السماء إلى الأبد. (المترجمة)

(2) فعالية أشبه بالموالد الشعبية في ثقافتنا. (المترجمة)

ثم فجأة، خرج من المدرجات ووقف على الأرض، ثم جرى بخطى بطيئة تجاه فتاة ما، التي كانت طيات اللحم تتدلى من تحت قميصها حتى بدا أنها ترتدي أنبوبًا تحت الملابس. لم أتعرف عليها، غير أني بالطبع لا أتعرف على أي أحد. وما عدا اللحم المتدلي من تحت الملابس، فقد تكون أمي، على حد علمي.

إن السمة المميزة لسيث هي ليست حقيقة أنه التلميذ الوحيد الأسود في المدرسة بقصة شعر الموهوك[1]. ولكن سمته المميزة هي ضحكته السخيفة. ولأنه أحمق، فهو دائمًا ما يضحك، وأتعرف على تلك الضحكة في أي مكان. أما مع كام، فحقيقة أن له شعرًا أشقر مائلًا إلى البياض يجعله يبدو مثل الأمهق، وهو الشخص الوحيد ممن أعرفهم له شعرٌ بهذا اللون.

وليست لدي أدنى فكرة عن الفتاة ذات اللحم المتدلي. وطوال مدة مشاهدتي الأمر، ظننتُ أن كام لن يُقدِمَ على فعل هذا في الواقع، وأنه يُخَيَّلُ إلينا أنه سيفعلها.

ثم راح يفعلها. قد التف بجسده حول الفتاة كأنه ورقة سلوفان وفي البداية، تشعر أنها ربما تكون سعيدة بالأمر، لأنه ديف كامينسكي. ولكن كلما طالت مدة تعلقه بها، زاد ضيقها، حتى بدا أنها ستشرع في الصراخ، أو البكاء، أو كليهما معًا.

وقفت وأردت أن أخبره أن يتوقف. ولكني وجدتُ عيني سيث مثبتتين على ديف والفتاة، وارتخى فمه قبل أن يبدأ في الخبط على قدميه، وقال: «آه، اللعنة. آه، اللعنة. آه، اللعنة». ثم أخذ يضحك ويقول لي شيئًا أشبه بـ: «أنت تعرف أنها تريد هذا». وطوال الوقت رحت أقول في نفسي: *قل شيئًا أيها النذل.*

ولكني لم أفعل. وقبل أن يزداد غضبها، تركها كام، ثم انطلق يدور في لفة حول المسار احتفالًا بانتصاره.

قال سيث بصوت منخفض: «خمس عشرة ثانية. إنه رقمٌ قياسيٌّ عالميٌّ رائع».

(1) قصة شعر يكون الشعر فيها محلوقًا على جانبي الرأس، ويُترَكُ خَطٌّ طوليٌّ في منتصف الرأس يكون الشعر فيه واقفًا. (المترجمة)

ليبي ستراوت بدينة.

حُبِستُ في الحمام بعد دوام المدرسة، ومعي قلم خطَّاط من نوع شاربي يصدر صريرًا باحتكاكه مع الجدار البشع القبيح. وكانت هناك سدادة قطنية مُهمَلَة مُلقاة على الأرض، وعلبة مُلَمِّع شفاه فارغة مُلقاة في الحوض، رغم أن سلة المهملات موجودة *أمام أعينهن بالضبط* بالمعنى الحرفي. وكانت على حُجَيرة أحد الحمامات لافتة تقول: «خارج الخدمة»، لأن إحداهن قد أسقطت (رمت) كتاب الرياضيات في المرحاض. وكانت رائحة المكان أشبه بمعطر جَوٍّ وسجائر، من بين أشياء أخرى. فما قصة مقولة إن البنات ألطف الكائنات؟ ليست حقيقة تمامًا. كل ما عليك فعله هو زيارة الحمام في الطابق الثالث في مدرسة مارتن فان بورين الثانوية في آموس - إنديانا لمعرفة هذا.

راحت إحداهن تطرق على الباب.

مددت يدي وكتبت بأحرف سميكة كبيرة قدر ما أمكنني حتى يتسنى للجميع رؤيتها.

ليبي ستراوت بدينة.

بدينة، وقبيحة.

لن تحظى أبدًا بعلاقات حميمية.

ولن يحبها أحد أبدًا.

لمحت صورتي على المرآة، وكان وجهي بلون الشمندر، تلك النبتة التي اعتادت أمي أن تسميها «خضراوات لطيفة»، حتى مع معرفتها أن لا شيء لطيف حيالها. ولكن كان هذا دأب أمي، جعل الأشياء ألطف مما هي عليه.

ليبي ستراوت بدينة للغاية، حتى إنهم اضطروا إلى تحطيم منزلها لإخراجها.

كانت تلك بالتحديد هي الأشياء التي سمعتُ كارولاين لاشامب وكيندرا وو تقولانها عني في صالة الألعاب الرياضية، بينما تحوطهما الفتيات الأخريات مُصغيات وضاحكات. وأضفتُ جملة أو جملتين أخريين: أحقر الأشياء التي قد تخطر ببالي، حتى لا أضطر إلى سماعها من أحد آخر. كتبتها حتى لا يضطررن هن إلى فعل ذلك. وبتلك الطريقة، لم أُبقِ لهن شيئًا يمكنهن قوله عني لم أسبقهن أنا إلى قوله.

ليبي ستراوت أسمن مراهقة في أمريكا.

ليبي ستراوت كاذبة.

خطوت خطوة إلى الوراء.

كانت تلك هي الكلمات الأصدق من بين كل ما كتبت، وبرؤيتها، ساورني شعور أني على ما يُرام. ولكن كان هنالك شيء حيال رؤيتها على الحائط يجعلني أحبس أنفاسي، كأنها مثلًا قد كُتِبَت بيد أخرى. وفكرت: *تماديتِ يا لبس.*

بالطبع أنا بدينة.

وأجل، اضطروا إلى تحطيم منزلي جزئيًا.

وربما لن يحبني أي فتى، ولن تكون له رغبة في الاقتراب مني مطلقًا، ولو حتى في غرفة مظلمة، حتى بعد نهايةٍ للعالم يحصد فيها طاعونٌ قاتلٌ كل الفتيات النحيفات من العالم. وربما في يوم ما يمكنني أن أكون أنحف مما أنا عليه الآن، وأحظى بحبيب يحبني، غير أني سأظل كاذبة، سأكون كاذبة دومًا.

ولأنه في غضون ثلاث دقائق سأفتح الباب، وأقطع ذلك الممر وأقول لنفسي: ما الذي توقعتِه؟ أعرف أن الأمور كانت ستؤول إلى ذلك، وما كان للأمر أن يختلف عن هذا، فلا أهمية لهم، ولا للمدرسة الثانوية، ولا لشيء من ذاك، بل قلوبنا هي ما يهم، بل ما يكمن خلف صورنا هو الأهم. كل تلك الأشياء التي يرغبون في إخبارك بها. كما إني قد توقفت عن الشعور منذ وقت طويل.

عدا أن هذه كذبة كذلك.

***

بعد ثلاثين ثانية

خرجتُ من الحمام وارتطمتُ بفتاةٍ ضخمة مقاربة لي في الحجم تمامًا. وكان البكاء قد أنهك عينيها، ورد فعلي الأوَّلي هو أنْ أفسحتُ لها الطريق. قالت: «ماذا كنتِ تفعلين هنا؟ هل أقفلتِ الباب؟». وفي الواقع كانت تصرخ وهي تقول هذا الكلام.

تكلمت بهدوء ونعومة آملة أن تتبع خطاي، وقلت: «لا بد أني قد علقت. هل أنتِ بخير؟».

أخذت تبكي، وتملكتها حالة فواق شديدة، واستغرق الأمر منها برهة حتى تتمكن من الكلام، ثم قالت: «الأوغاد». أتت نبرتها هذه المرة أقل عُلُوًّا.

لَمْ أضطر إلى سؤالها عما حدث، بل مَن فَعَل. وكان بمقدوري أن أتخيل ما حدث من خلال حجمها. فسألتها: «مَن؟». رغم أني شعرت أني لا أعرف أحدًا هنا في هذه المدرسة.

- ديف كامينسكي وأصدقاؤه الأوغاد.

ثم اصطدمت بي وهي في طريقها إلى الحوض، حيث مالت فوقه وغسلت وجهها وبَلَّلَت شعرها الملفوف في حلقات ضيقة سوداء. وكانت ترتدي قميص نيرفانا، وعُقدًا من عقود الحلوى، تلك التي تُؤكل. سحبتُ منديلًا ورقيًا وأعطيتها إياه، فقالت: «شكرًا». ورَبَّتَتْ على وجهها به. ثم تابَعَت: «أمسك بي ديف كامينسكي، ولما أخبرته أن يفلتني، لم يفعل».

كان ديف كامينسكي الذي أعرفه فتًى في عمر الثانية عشرة، هزيل البنية، وله شعرٌ أبيض، وكان قد سرق زجاجة الويسكي من أبيه ثم أحضرها إلى المدرسة.

- أين هم؟

قالت: «المدرجات». كانت لا تزال في حالة الفواق، لكن أقل سوءًا عما قبل. ثم رَفَعَت عينيها إلى الجدار وأَخَذَتْ تقرأ، ثم قالت: «ماذا بحق...».

تابعتها بعينيَّ، وقلت: «أعرف. انظري إلى الجانب المشرق؛ على الأقل اسمكِ ليس هو المكتوب على الحائط».

جاك

كان كام لا يزال يجري في لفات حول الباحة عندما أتت هاتان الفتاتان خارِجَتَين من المدرسة. تخلفت إحداهما، بينما تقدمت الأخرى سائرة في ملعب كرة القدم. ثم حدقت إلينا لحظة، والتقت أعيننا، ثم توجهت مباشرة تجاه كام.

في البداية لم يَرَها، وهو ما كان معجزة، إذ إن هذه الفتاة ضخمة الحجم. ثم بعدها يمكنني القول بأنه رآها، ثم أسرع بخُطًى وهو يضحك ويجري بأقصى سرعته. وكان سيث يجلس منتصب القامة، مثل كلب يراقب سنجابًا، ثم قال بصوت منخفض: «اللعنة».

وفي الوقت الذي اقتربت فيه الفتاة، جرى كام كأن النار تُمسِكُ به، ثم جرت الفتاة لاحقةً به. وقفتُ الآن لأن هذا هو أفضل شيء رأيته على الإطلاق. أؤكد: كانت تطير.

راح سيث يصفق مثل الأحمق، وقال: «أوه، تبًّا». وأخذ في الصراخ على كام، وبالغ في الضحك، حتى ازرَقَّ وجهه، وأخذ يركل المدرجات ويضربها بقدميه، بينما كنت أدعم الفتاة.

صرختُ قائلًا: «اجري!».[1] وكنت أصرخ بهذا الكلام لها، رغم أن لا أحد يعلم بهذا. وتابعت: «اجري! اجري! اجري!».

---

(1) نظرًا إلى استواء المخاطب المؤنث والمذكر في الإنجليزية –عكس العربية– في ضمير الإشارة، فلم يكن واضحًا من كلام جاك أيهما يشجع، وهو ما استعان به جاك حتى يشجع الفتاة. (المترجمة)

وفي النهاية، قفز كام من فوق السور وجرى مُسرِعًا في الشارع بعيدًا عنا، وقفزت الفتاة من فوق السور خلفه مثل غزالة لعينة. وكان الشيء الوحيد الذي حجبها عن الإمساك به هو شاحنة أتت مسرعة نحوهما في اللحظة نفسها. وقفت الفتاة في الشارع ونظرت إلى كام والغضب في عينيها، ثم عادت في اتجاه المدرسة ماشية، إذ قد توقفت عن الجري. ثم عَبَرَت ملعب كرة القدم، وثبتت عينيها عليَّ مرةً أخرى وهي تمشي، فلم تُدِر رأسها، بل تبعتني بعينيها فحسب، وشعرت أن الغضب قد تملكها.

قبل ست سنوات

دخلت إلى باحة المدرسة، فقال لي موسيز هانت: «أهلًا. يا للمفاجأة يا فلابي ستاوت! كيف الحال يا فلابي؟».

قلت: «أنت فلابي».[1] رغم أنه لم يكن كذلك، غير أني حينها لم أكن كذلك.

نظر بارتياب نظرة جانبية إلى الأولاد الملتفين حوله، أولئك المتتبعين له كظله طوال الوقت، حتى لو كان يطلق الريح بذراعيه ويردد كلمات السُّباب التي عَلَّمه إياها إخوته. ثم عادت نظرته إليَّ ثانية، وكان على وشك التفوه بشيء ما، وأعرف أن أيًّا كان ما يريد قوله، فلا رغبة لي في سماعه، فلا يمكن لأحد أن يتفوه بكلام لطيف، ويبدو وكأن فمه قد ابتلع ليمونة بأكملها: ببذورها، وبكل مكوناتها.

فتح فمه الذي زَمَّه كأنه يعتصر ليمونة، وقال: «لن يحبكِ أحد، لأنكِ بدينة».

خفضت بصري ناظرة إلى ساقيَّ وبطني، ومددتُ ذراعيَّ. إذا كنتُ بدينة، فهذا خبرٌ جديد بالنسبة إلي. ربما ممتلئة الجسم، أو مكتنزة قليلًا، ولكن تلك هي الحال التي كنت عليها دومًا. نظرت نظرة متمعنة إلى موسيز، والأولاد، والفتيات الأخريات الواقفات بالقرب من الأراجيح. وعلى حد علمي، فلم أكن أبدو أسمن من أيهم.

- لا أظن أني كذلك.

قال الفتى: «حسنًا إذن، أنتِ لَستِ بدينة فحسب، بل غبية كذلك». واستلقى الفتى أرضًا من شدة الضحك. وتكشَّر وجه موسيز إلى الأعلى كأنه يقبض

---

(1) البدين المترهل. (المترجمة)

على يديه، وفتح فمه باتساعٍ شديدٍ حتى بدا وكأن كل طيور الحمام الموجودة في آموس بوسعها أن تُعَشِّش فيه، وقال: «عودي إلى المنزل يا فلابي ستاوت، فلا يمكن للشمس أن تُشرِقَ عندما تخرجين منه». وكان يغنيها بنغمة أغنية «تهويدة وليلة سعيدة»[1]، وتابع: «أنتِ ضخمة للغاية، لدرجة أنكِ تحجبين عنا القمر. فلتذهبي إلى بيتك يا فلابي، فلتذهبي إلى غرفتكِ».

قلت في سري: *أنت الغبي*. وتجاوزته متجهة نحو الأراجيح، حيث رأيت بايلي بيشوب بجانب العديد من الفتيات الأخريات. ولكن خَطَا موسيز أمامي، وقال: «اذهبي إلى المنزل يا فلابي ستاوت».

خَطَوتُ أنا في الاتجاه المعاكس، ثم سدَّ عليَّ الطريق ثانية، لذا توجهت ناحية قفص التسلق، حيث يمكنني الجلوس بسلام، إلا إنه قال: «لن أسمح لكِ بهذا، فقد تكسرينه».

- لن أكسره، فقد كنت أجلس فوقه من قبل.

قال: «ولكنكِ قد تكسرينه، فمن المحتمل أن جسمكِ المترهل قد تسبب في تشقق الأساس، وفي المرة التالية حين تدخلين فيه، أعتقد أن القفص بأكمله سينهار. ومن المحتمل أن تنهار باحة اللعب كذلك. قد تتسببين في انهيارها بمجرد وقوفكِ هنا. وربما قد أوديتِ بحياة أمكِ بجلوسكِ فوقها». وضحك الأولاد بشدة، حتى إن واحدًا منهم تدحرج على الأرض وكاد وجهه يسقط من الضحك.

ومع أني لست في طول موسيز، فقد حدقت مباشرة إلى عينيه المظلمتين اللتين خلتا من الحياة. وكل ما أمكنني التفكير فيه هو أنها *أول مرة في حياتي، أعرف ما هو شعور الكره الذي يكنه لي أحدهم*. وأمكنني رؤية الكره في عينيه، وكأن الكره يتخذ من عينيه مسكنًا له.

قضيت ما تبقى من الفسحة واقفةً أستند إلى الجدار الواقع على طرف باحة اللعب، متسائلة عما اقترفته في حق موسيز هانت حتى يكرهني، وأعلم أنه مهما كان ما فعلته، فلا سبيل إلى تصحيحه. وقد كان بطني هو الذي أخبرني بأنه *لن يحبكِ أبدًا مهما فعلتِ، ومهما كنتِ نحيفة، ومهما تكلفتِ من اللطف معه*. كان شعورًا مروِّعًا، شعورًا بشيء ما يدور، بالسير في اتجاه زاوية ما والانعطاف عندها، ورؤية أن الشارع الموجود أمامك مُظلم ومهجور،

---

(1) بالإنجليزية «Lullaby and Goodnight». (المترجمة)

أو تنتشر فيه الكلاب المتوحشة، لكن لا حيلة لك للرجوع، ولا خيار أمامك سوى السير إلى الأمام، إلى قلب الشارع بالتحديد.

سمعت صوت صرخة. كانت صديقتي بايلي بيشوب تقفز من الأرجوحة وهي تتأرجح بها في الهواء، وقدماها تحاولان الوصول إلى الأرض، وشعرها يتطاير إلى الأعلى نحو السماء، أصفر لامعًا كضوء شروق الشمس.

لوَّحتُ لها، ولكنها لم تَرَني. *ألم تلحظ غيابي؟* لَوَّحتُ ثانيةً، ولكنها كانت منشغلة للغاية بالجري. قلت في نفسي: *لو كنتُ مكان بايلي بيشوب، كنت سأجري أنا كذلك.* فإن لها ساقين طويلتين كأعمدة الإنارة. *لو كنت مكان بايلي بيشوب، ما كنت لأبحث عني لأرى أين اختفيت. ما كنت إلا لأجري، وأجري، وأجري.*

الآن

ليبي

كان اسم الفتاة آيريس إنجلبريكت، وتلك هي الأشياء التي عرفتها في الدقائق الخمس الماضية: كانت ممتلئة منذ ميلادها، وذلك بسبب مشكلة مزدوجة، تتمثل في قصور في الغدة الدرقية، وشيء يسمى متلازمة كوشينج. أبوها وأمها مُطلَّقان، ولها شقيقتان أكبر منها، وجميع من في عائلتها يعاني زيادة الوزن.

- عليكِ إخبار مديرة المدرسة.

هزت آيريس رأسها وقالت: «لا».

عدنا إلى المدرسة، اثنتانا فحسب. حاولت أن أقود كلتينا إلى الممر الرئيسي، تجاه المكان الذي يقع فيه مكتب مديرة المدرسة، ولكن آيريس أخذت تتباطأ في خطواتها.

- سأرافقكِ.
- لا أريد أن أزيد الطين بلة.
- ما يزيد الطين بلة هو اعتقاد ديف كامينسكي بقدرته على فعل هذا بكِ.

رَدَّت: «أنا لست مثلكِ». وما قَصَدَتْه هو: *أنا لستُ شجاعة مثلكِ.*

قلت: «إذن سأذهب بمفردي». ومشيتُ مبتعدةً عنها.

فقالت بينما تلحق بي: «لا تفعلي! أقصد.. شكرًا على ملاحقته، ولكني أريد أن يمضي الأمر بأكمله، ولن يمضي إذا ما تحدثتُ عنه، بل سيكبر، حتى إني سأجده نصب عينيَّ دومًا، ولا أرغب في هذا. واليوم هو الأول في العام الدراسي». ومرة أخرى، بمقدوري سماع ما لم تقله: *لا أريد أن يتبعني هذا الأمر طيلة العام، حتى لو أن لي مطلق الحق في إهانته.*

***

التقتني مرشدتي ريتشل ميندز في المتنزه، وكنت أراها كل يوم على مدار سنتين من السنوات الثلاث الماضية. ولما كنت في المستشفى، كانت هي أول شخص –فيما عدا أبي– يتحدث إليَّ وكأني فتاة عادية. وفيما بعد، أصبحت معلمتي الخاصة، ومقدمة الرعاية لي، وهي من جالستني عندما ذهب أبي إلى العمل. والآن هي صديقتي المقربة، ونلتقي هنا مرة في الأسبوع.

سألت: «ماذا جرى؟».

– الأولاد، الحمقى، الناس.

كانت ثمة حديقة حيوان في قلب المتنزه، ولكنها أُغلِقَتْ في عام 1986، بعدما حاول الدُّبُّ التهام ذراع أحد الرجال. وكل ما تبقى منها هو هذا المقعد الحجري العريض، الذي كان جزءًا من موئل الدب. جلسنا عليه ونظرنا تجاه ملعب الجولف، وكنت أشتاط غضبًا لدرجة أني خفت أن ينفجر الجزء العلوي من رأسي.

– اقترف هذا الفتى فعلة قاسية، ولا يرغب الشخص الذي وقع عليه الضرر أن يُفصِحَ عن الأمر.

– هل الشخص معرض للخطر؟

– لا. على الأرجح ظَنَّ الفتى أن ما اقترفه لن يسبب ضررًا، ولكن ما كان عليه فعل ذلك، ولا ينبغي أن يفلت دون عقاب.

– لا يمكننا خوض معارك شخص آخر، مهما دفعتنا رغبتنا إلى ذلك.

ولكن بوسعنا ملاحقة الأوغاد الذين يروعونهم في الشارع. فكرت في مدى بساطة الحياة حين لم يكن بمقدوري مغادرة المنزل. كان مكوثي في المنزل يتمثل في إعادة مشاهدة مسلسل خارق للطبيعة[1] طوال اليوم، والقراءة، ثم القراءة، ثم القراءة، والتجسس على فتيان الجيران من نافذتي.

– كيف حالك مع القلق؟

– أنا غاضبة، ولكني أتنفس.

– كيف حالك مع تناول الطعام؟

أجبت: «لم أعد أتناول الطعام هربًا من القلق، ولكن اليوم لم ينتهِ». ولا يزال هنالك عامٌ دراسيٌّ بأكمله لأخوض مزيدًا من التجارب. وحتى رغم أني

(1) بالإنجليزية «Supernatural»: مسلسل أمريكي يطارد فيه البطلان الأرواح الشريرة، والسحرة، ومصاصي الدماء. (المترجمة)

قد قضيت ما يقترب من ثلاث سنوات أتناول الطعام المغذي والممل دون أن أُصاب بالفواق، وحَدَا ريتشل والأطباء قلقٌ من أنها قد تنتهي بي الحال مُتفَاقمةً إلى حالة من شَرَهٍ متوحش لا نهاية له نظرًا إلى حرماني الشديد. ولكن ما يستعصي على فهمهم هو أن لا صلة للأمر بالطعام، فلم يكن الطعام قط جزءًا من السبب، ليس مباشرة على الأقل.

قلت: «هنا يكمن الجزء الأسوأ من الأمر، فأنت وأنا نعلم الشوط الذي قطعته، ولكن الجميع ينظر إليَّ فقط من ناحية مقدار حجمي، أو كيف كانت حالي في السنوات الماضية، وليس ما غدوت عليه الآن».

- أنتِ ستُرينهم هذا، فلو أن الإرادة بيدي أحد، فهي بيديكِ.

فجأة، لم يعد بمقدوري الجلوس على هذا المقعد أكثر من ذلك. ويحدث هذا في بعض الأحيان، فبعد كل تلك الأشهر التي كنت فيها متبلدة الإحساس، لا تزال تغلبني الحاجة إلى تحريك جسدي.

قلت: «هيا بنا ندور».

وهذا أكثر ما أحبه في ريتشل، فما كان منها إلا أن قامت منتصبة، وبدأت في الدوران، دون طرح أي أسئلة، أو خوف مما قد يظنه الآخرون بنا.

في عشية عيد الميلاد (الكريسماس)، لما كنت في الرابعة، أهدَت جدتي إليَّ وإلى أمي تنورتين مخصصتين لعيد الميلاد متطابقتين: واحدة باللون الأخضر، والأخرى باللون الأحمر. كانت التنورتان قبيحتين، ولكنهما تلفَّان في حركة دائرية، لذا دأبنا على ارتدائهما في ليلة رأس السنة، والدوران بهما طوال الوقت. وبعدما صغرت التنورة علي، صرنا ندور في حفلات أعياد الميلاد، وعيد الأم، وأي شيء جدير بالاحتفال.

أخذت أنا وريتشل ندور، حتى أصابنا الدوار، ثم ارتمينا على المقعد. وتحسست نبضي خفية دون أن تلحظ، لأنه يوجد انقطاع للنفس جيد وآخر سيئ. تريثتُ حَالَما شعرت باستقرار نبضي، حَالَما عرفتُ أني بأمان، وقلت: «أتعرفين ما حدث للدب؟ ذاك الذي كان هنا؟».

لا يسعني لومه على محاولته خلع ذراع أحدهم. أعني.. الرجل هو مَنْ مد يده داخل قفصه، وكان ذاك القفص هو كل ما يملكه الدب من العالم.

- ورد في الأخبار أنهم أرسلوه إلى سينسيناتي من أجل إعادة التكيف.

- ماذا حدث باعتقادكِ؟

- أظن أنه قُتِلَ رميًا بالرصاص.

جاك

من أعلى الجدار المنتصب فوقي، حَدَّق إليَّ أحد أجدادي القدماء مُطِلًّا من إطار ضخم. كان له مظهر صارم، وعينان متوحشتان. وقد صَوَّرَته القصص الواردة على أنه رجلٌ وَرِع، أفنى حياته في نَحتِ اللعب. ولو كانت هذه القصص صادقة، فقد كان نوعًا ما بابا نويل ولاية إنديانا الذي يؤثر الجميع على ذاته. أما في الصورة، فهو عجوزٌ أحمق يثير الخوف في النفس.

ثَبَّتَ هاتين العينين المتوحشتين عليَّ بينما أترك رسالة صوتية لكام: «*أنا أجلس هنا في محل ألعاب ماسيلين العتيق، أتمنى لك السلامة في طريقك إلى الوطن. أعلِمني إذا ما احتجت إلى المال من أجل تذكرة العودة*».

أغلقت المكالمة، وقلت لأحد أجدادي القدماء: «لا تحكم على أحد دون أن تعايش تجربته، ولو قليلًا».

جلستُ في مكتب المتجر أردُّ على رسائل البريد الإلكتروني، وأتحقق من المخزون، وأدفع الفواتير، هذا النوع من العمل الذي بمقدوري القيام به دون أي مجهود. كان متجر ألعاب ماسيلين ملكية لعائلتنا لخمسة أجيال. وقد تغلب على الكساد العظيم، وأحداث الشغب العرقية، والانفجار في وسط المدينة في 1968، والركود الاقتصادي، وعلى الأرجح سيظل باقيًا هنا بعد موت أبي، وبعد موتي، وحتى بعد العصر الجليدي الآتي، حين يكون الناجون الوحيدون هم الصراصير. وكان ماركوس الصالح –الذي يعول عليه منذ ميلاده– هو من يتوقع أن يحمل الراية من بعد أبي. هذا لأن الجميع يتوقعون –دون مبرر– أمورًا عظيمة من جاك. ولكني أعرف شيئًا لا يعرفونه. سيكون هذا *أنا* في يوم

من الأيام: أعيش في هذه البلدة، وأدير هذا المكان، وأتزوج، وأنجب الأطفال، وأصيح على الغرباء، وأخون زوجتي. إذ ما الذي أنا مُهيَّأ له غير ذلك؟

طَنَّ هاتفي، وكان هذا كام. ولكن قبل أن أرد، دخل رجل[1] إلى المكان، له شعر خشن داكن، وحاجبان داكنان، وبشرة شديدة البياض، ويرتدي قميص متجر ماسيلين.

تنحنح أبي، وكان العلاج الكيميائي قد تركه مصابًا بتَلَفٍ في إحدى الأذنين والحلق، الذي يستدعي التَّنَحنُح دومًا. وسأل: «لِمَ خرجتَ من فصل الكيمياء المتقدمة؟».

كيف بحق الجحيم عرف بهذا؟ لقد فات على الأمر بضع ساعات فحسب.

- لم أخرج منه.

سأخبركم كيف عرف هذا. همست له مونيكا تشابمان بالأمر في أذنيه بينما يلتقيان في السيارة.

وتصارعت في رأسي بلا قدرة مني على التوقف كل تلك الصور لأجزاء الجسد العارية كما ولدتهما أُمَّاهما، وكان بعضها يخص أبي.

سحب كرسيًّا، وأشحتُ بنظري وهو يجلس لأني لم أقدر على إبعاد هذه الصور عن بالي. وقال: «ليس هذا ما بلغني». *بينما كنت أتغزل في مونيكا تشابمان في كل أرجاء معمل الكيمياء. بينما كنت أقبلها وهي تستند إلى خزانتك، وهي تستند إلى طاولة تناول الطعام، وتستند إلى مكتب كل معلم سيُدَرِّسُك.*

رددتُ –ربما بصوتٍ عالٍ جدًّا–: «لقد بَدَّلتُ إلى الفصل الآخر».

- وما خطب الفصل الذي كنت فيه؟

ها هو ذا. أعني.. لا بد أنه يمزح، أليس كذلك؟ إذ لا يُعقَلُ أنه يواصل سؤالي عن الأمر.

لم يكن بوسعي تحاشي الأمر، لا بد لي من أن أنظر إلى عينيه، وهو ما يزيد من توتري أكثر من هذه المحادثة. قلت: «لنقل فقط إن مشكلتي هي المعلمة».

---

(1) يشير جاك إلى أبيه هنا على أنه رجل لا يعرفه، ويذكر مواصفاته، بسبب مرض عمى تمييز الوجوه. (المترجمة)

تيَبَّسَت كتفا أبي، فهو يعرف أني على علم بالأمر. كان الجَوُّ مُربِكًا هنا. وفجأة، لم أهتم برسائل البريد الإلكتروني، ولا المخزون، جُلُّ ما أوليته الاهتمام هو المغادرة، لأنه لِمَ قد تأتي مونيكا تشابمان على ذكر *أي شيء ما لم تكن علاقتها به لا تزال قائمة؟*

***

جلس الفتى الهزيل ذو الأذنين الكبيرتين إلى طاولة المطبخ يشرب الحليب من إحدى كؤوس الويسكي التي يتركها أبي وأمي على طاولة الشراب. ورغم كونه مجرد طفل، كانت الطريقة التي يجلس بها تستحضر في عقلي صورة رجل عجوز، عاش أوقاتًا طيبة، وأيامًا هنيئة. كانت حقيبته اليدوية موضوعة على الطاولة.

أحضرتُ كوبًا وصببتُ لنفسي بعضًا من العصير، وسألت: «هل هذا المقعد محجوز؟». فدفع الكرسي بقدميه إليَّ، وجلست. رفعت كأسي، فضرب كأسه بكأسي، وشربنا والصمت يلفنا، حتى إنه تناهى إلى سمعي صوت دقات ساعة جدي آتيًا من الصالة، فقد كنا أول الواصلين إلى البيت.

ثم سأل داستي أخيرًا: «لِمَ الناس مُؤذون إلى هذه الدرجة؟».

في البداية ظننت أنه قد علم بشأن حديثي مع أبي، أو بشأني، شأن ذلك الشخص الذي أكونه في المدرسة. ولكن عينيَّ تحولتا إلى حقيبة اليد، حيث كُتِبَت على عَجَل واحدة من أبشع الكلمات في اللغة الإنجليزية على أحد جوانبها بقلم خطاط أسود، ومُزِّقَ حزامها إلى نصفين.

عادت عيناي ثانية إلى أخي الصغير، وقلت: «الناس مُؤذون للعديد من الأسباب: أحيانًا يكونون مؤذين فحسب، وأحيانًا يعاملهم الناس بطريقة مُؤذية، وحتى مع عدم إدراكهم ذلك، يحملون هذه التنشئة المؤذية وينطلقون إلى العالم، ويعاملون الآخرين بالطريقة نفسها. وفي أحيان أخرى، يكونون مؤذين لأنهم خائفون، وأحيانًا أخرى، يختارون أن يبادروا الآخرين بالأذى قبل أن يبادروهم به. إذن فالأمر أشبه بأذى سابق للدفاع عن النفس». وهو ما أعرف عنه الكثير. ثم سألته: «مَنْ عاملك بطريقة مُؤذية؟».

رفع داستي يديه وهز رأسه، مما أوحى لي برفضه خوضنا في التفاصيل، ثم سأل: «لِمَ يدفع الخوف أحدهم إلى التصرف بطريقة مؤذية؟».

أجبت: «لأنه ربما لا يحبُّ المرء الشخص الذي هو عليه، ويكون هنالك هذا الفتى الآخر الذي يعرف ما هو عليه بالتحديد، ويبدو أنه لا يهاب أي شيء أبدًا».

حدقت إلى الحقيبة اليدوية، وتابعت: «حسنًا، قد يسبب هذا شعورًا بالضيق، ورغم أنه لا يجب أن يفعل ذلك، يمنح ذاك الفتى الأول شعورًا أسوأ حيال ذاته».

- حتى لو كان الفتى الآخر لا يحاول أن يُشعِرَ الآخرين بشعور سيئ؟ ويحاول أن يكون على طبيعته؟
- بالضبط.
- هذا مُؤذٍ.
- أهنالك شيء في وسعي تقديمه؟
- كل ما عليك هو ألا تكون مُؤذيًا.
- لا يمكنني قطع الوعد بأي شيء عدا أني لن أوذيك يا أخي الصغير.

احتسينا المشروب كأننا رفيقان كبرت سِنُّهُما. وبعد هنيهة قلت: «أتعرف؟ يمكنني إصلاح هذه الحقيبة لك، أو حتى خياطة واحدة جديدة، واحدة لا تتلف أبدًا».

هز كتفيه وقال: «أنا أفضل حالًا دونها».

وحَرَّكَت الطريقة التي قالها بها فيَّ الرغبة في أن أشتري له كل شنطة يدوية لعينة في العالم، وأبدأ أنا نفسي في حمل واحدة تضامنًا معه.

- ماذا لو صنعت لك شيئًا مغايرًا؟ ما الشيء الذي لطالما أردتَه؟ اطلب ما تتمنى.
- روبوتًا من الليجو.[1]
- واحدًا يؤدي الواجب المنزلي بدلًا منك؟

هز رأسه بالرفض، وقال: «لا، أتدبر أمر ذلك».

رجعت إلى الخلف في الكرسي ومَسَّدتُ فكي وكأني غارق في أفكاري.

- حسنًا، أنت على الأرجح تريد واحدًا يمكنه القيام بمهامك.
- لا.
- ربما طائرة مُسَيَّرة إذن؟
- أريد واحدًا أتخذه صديقًا.

كان كلامه أشبه بصفعة على وجهي. كِدتُ أشتاط غضبًا، لكن استعضت عن هذا بإيماءة، ومَسَّدتُ فكي، ثم أنهيت مشروبي وقلت: «اعتبر الأمر منتهيًا».

---

(1) ألعاب قطع التركيب ليجو. (المترجمة)

ليبي

جلست أنا وأبي بعد العشاء على الأريكة، أريته أحدث مقطعٍ فيديو لنادي الفتيات الاستعراضي، الذي صُوِّرَ قبل أسبوعين في مهرجانٍ أُقيم في إنديانابوليس. كان الترتر يلمع، وأضواء الاستاد تتوهج، والجمهور يهتف. *تلك الألوان الباهية كلها، تلك الحياة كلها*. لست متأكدة من وجود أحد آخر في العالم يُقَدِّرها مثلي.

سأل: «هل أنتِ متأكدة من هذا؟».

- لا، ولكني سأخضع لتجارب الأداء رغم ذلك، فلا يمكنك أن تحميني من كل شيء. إذا فشلت، فإنني أكون قد فشلت، ولكن على الأقل حاولت.

أعطيته طلب التقديم، وأخذ يقلب صفحاته. ثم مد يده وأحضر القلم الموضوع على الطاولة المنخفضة، ووقع باسمه. وبينما يُرجِعُه إلي، قال: «أتعرفين، وجودكِ بالخارج في العالم مرة ثانية أصعب مما ظننت».

جاك

كنت في الطابق السفلي، وهو يشبه نسخة مشوهة من ورشة بابا نويل، تتراكم فيها السيارات، والشاحنات القَلَّابة، ولعبة السيد رأس البطاطا، والراديو مزدوج المسار، والألعاب من شركة فيشر برايس، والألعاب المهملة. ولكن هنالك أغراضًا أخرى: قطع غيار سيارات، وقطع غيار دراجات نارية، ومولدات، وخردوات جزازات العشب، والأجهزة المنزلية. أي شيء يمكنني تحويله إلى شيء آخر. كانت هناك بعض المشاريع منتهية، ولكن أغلبها يجري العمل على إنهائها، كانت المكونات الداخلية للأجهزة مسحوبة خارجها، والقطع تنتشر في كل مكان. هذا هو المكان الذي أُفَكِّكُ فيه الأشياء وأعيد تركيبها بطرائق جديدة ومذهلة، الطريقة التي أتمنى لو أن بإمكاني تطبيقها على نفسي.

طَنَّ الهاتف، وكان هذا كام. قال: «لقد قطعتُ الطريق جريًا وصولًا إلى سنترفيل يا رجل».

ضحكت ضحكة شخص يتسم بالرجولة والشجاعة، وسألته: «أتخيفك تلك الفتاة الحقيرة؟».

- اخرس! كانت سريعة في الجري.

سألته: «هل أنت بخير؟ أتحتاج إلى التحدث بخصوص الأمر؟». واستخدمت صوت أم كام عندما تتحدث إلى شقيقته الصغرى، تلك التي لا تكف عن البكاء وصفق الأبواب.

- تلك هي يا صاح، الغنيمة.

- ماذا؟

- أقصد.. هي، إنها الجائزة. أو حتى على الأقل الهدف، فمن يستَطِع الإمساك بتلك الفتاة، يَفُز.

- يَفوز بماذا؟

ولكني أعرف سابقًا ما سيقول.

- مصارعة الفتيات البدينات.

بدأت جدران الورشة تضيق من حولي.

- ماس؟

- ربما لا أهتم للغاية بهذه اللعبة.

- ما قصدك بأنك لا تهتم بهذه اللعبة؟

أقصد أني لا أريد خوض هذه المحادثة، لأني لا أحب ما ستؤول إليه.

قلت: «يا رجل، يبدو الأمر مملًّا نوعًا ما. أقصد أن الفكرة كانت فكرة سيث يا صاح». عندما ينتابك الشك، ألقِ اللوم على سيث دائمًا وأبدًا.

- لم يكن صاحب الفكرة، لقد أخبرنا بها. إلى جانب أن الأمر مضحك جدًّا. ما خطبك؟ لقد كادت تسبقني في الجري.

قلت: «إن سيث شخص أحمق». المزيد من إلقاء اللوم على سيث بينما أحاول التفكير في طريقة لإيقاف هذا قبل أن ينتهي الأمر بإهانة كل فتاة ممتلئة في المدرسة، فهن لا يستحققن ذلك، الفتاة التي قفزت من فوق ذاك السور مثل الغزالة وطاردت كام في الشارع لا تستحق ذلك. أردفت: «إنها لا تستحق ذلك».

- يا إلهي، أنت أحمق مجنون! كأنك تريد اصطحابها إلى حفل تخرج الثانوية الراقص. هل أطلب لك سيارة الليموزين الآن؟

رددت: «لا أقول إلا إنه يمكننا استغلال وقت فراغنا بما أننا في السنة الأخيرة. ألم تَرَ فتيات السنة الأولى؟». عندما ينتابك الشك، اذكر الفتيات.

- منذ متى وأنت جبان هكذا؟

أحجَمتُ عن الكلام، وتعالت دقات قلبي. *قل شيئًا أيها الأحمق.*

- سنفعل هذا، سواء بك أو من غيرك يا ماس.

وأخيرًا، نطقتُ قائلًا: «أيًّا كان الأمر يا رجل. فلتفعل ما يحلو لك».

- شكرًا جزيلًا، سأفعل ذلك. ما دُمتَ منحتنا موافقتك.

حقير!

رددت: «أحمق». كان هذان اسمَي التدليل اللذين نطلقهما أحدنا على الآخر. كانت الأرضية المشتركة بيننا تبدو أكثر صلابة، ولكن باقي العالم يهتز، كأنما بُني على حبل مشدود يبعد أميالًا عن الأرض.

ما أتحمل خسارته إذا أبعدت أصدقائي عني

كتبها جاك ماسيلين

• • •

1. **كام وسيث.** قد لا يكونان أعظم صديقين يحظى بهما المرء، ولكنهما الوحيدان اللذان بمقدوري التعرف عليهما بصورة شبه ثابتة. لعل هذا لأني قد عرفتهما وقتًا أطول من أي شخصٍ آخر، أو ربما لأن سِماتهما المُميِّزة يسهل تمييزها وسط حشد من الناس. ولأي سبب كان، فهما باقيان، وهذا على الأرجح سبب صداقتي معهما في المقام الأول. تخيل الانتقال إلى مدينة لا تعرف فيها إلا شخصين، ولن تعرف إلا الشخصين ذاتيهما فحسب، بغض النظر عن عدد من ستقابلهم من الأشخاص الآخرين.
2. **العالم المنسوج بعناية، الذي خلقته لنفسي داخل أسوار مدرسة مارتن فان بورين الثانوية،** فلا أكون جاك ماسيلين من خلال مضايقة الناس. وحتى رغم أني قد لا أحب جاك ماسيلين دومًا، فإني أحتاج إليه، فدونه أكون فتًى مضطربًا، ينتمي إلى عائلة مضطربة، وله مستقبل مشكوك فيه. ولو كنت أعرف أي شيء عن المدرسة الثانوية، فهذا ما أعرفه: إذا التمستَ للناس الأعذار، فإنهم سيتخلون عنك في محنتك. (أقصدك يا لوك ريفيز).

   أجل.
3. **ذاتي.** لا أحب أن أخسر ذاتي.

ليبي

ارتميتُ على سريري، ليس ذاك الذي كنت أقضي كامل يومي فيه وَقتَ لم يكن بمقدوري أن أبرح منزلي، ولكن كان هذا سريرًا جديدًا، ابتعناه بعدما فقدت بعضًا من وزني. خلعت سماعات الرأس، وبحثت عن أغنية «بخير الآن».[1] عرفتها من الموسم الأول، الحلقة السادسة من مسلسل «خارق للطبيعة». وقد وردت في النهاية التي تُختتم بها الحلقة، عندما يخبر دان سام أنه يتمنى لو أنه عاش حياة طبيعية.

ولطالما أردت حياة طبيعية قدر ما تسعفني ذاكرتي، وهي ما حاولت خَلقَه في عقلي، بينما أرقد في سريري. فعندما تعلم دين -الذي يقطن في الجانب المقابل من الشارع- ركوب لوح التزلج، تعلمت معه، وكنا نتسابق ساعات. وعندما لعب دين وسام كرة السلة في الباحة الخلفية، لعبت معهما كذلك، ولما صنعا مدفع البطاطا[2] في ممر السيارات، ساعدت في طلائه بالرش، وإطلاق البطاطا فوق السطح. وقضى كل واحد منا نحن الأربعة الوقت في بيت الشجرة. وعندما يغادر أخوا كاستيل الكبار ولا يصطحبانه معهما، آخذه وأشتري له المثلجات، وأحكي له الحكايات. ثم بعد ذلك أعود إلى منزلي، وأتناول عشائي على طاولة غرفة الطعام مع أبي وأمي. لأن هذا كله بالطبع كان من وحي خيالي، بمعنى أنه يمكنني اختلاق أي شيء أريد

(1) بالإنجليزية «All Right Now». (المترجمة)

(2) مدفع مصنوع من أنبوب يستخدم ضغط الهواء لرمي المقذوفات. (المترجمة)

حدوثه. مثلما يمكنني أن أختلق من نفسي أي شيء أريد أن أكونه، بما في ذلك فتاة ذات حجم طبيعي.

رفعت صوت الأغنية لدرجة شعرت معها أنها بداخلي، تسري مسرى الدم في عروقي. وبما أن الغضب كان يتملكني اليوم، فلا أتذكر أني شعرت بالقلق، فلا خفقان في القلب، ولا تعرق بفعل القلق، ولم تَدُر الكافتيريا من حولي، ولم أشعر أن رأسي قد اعتصرته يدان كبيرتان. وتنفستْ رئتاي بشكل طبيعي، بانتظام، من تلقاء ذاتيهما.

كان طلب التقديم لفريق الفتيات الاستعراضي موضوعًا بجانبي. وتحت السؤال الذي يقول: *ما السمة أو القيمة التي تمتلكينها يمكنك إضافتها إلى فريقنا التي قد لا نجدها في المرشحات الأخريات؟* أجبت كاتبةً: *أنا كبيرة الحجم، وألفت الأنظار، ويمكنني الرقص بخفة مثل الريح*. ولم يكن ثمة موضع من الطلب يسأل عن الوزن.

شاهدت قطي جورج وهو يهاجم اللحاف، وقلت في نفسي: أجل. بخير الآن. هذه أنا. لن يكون أي شيء على ما يُرام مرة أخرى، ليس بالطريقة نفسها، ولكني اعتدتُ الأمر. لعَلِّي سأحظى بهذه الحياة الطبيعية قبل كل شيء.

جاك

جلستُ إلى الحاسوب فترة طويلة، محاولًا تخمين ما أقول. كان بوسعي تدبر أمر المقالات المدرسية بسهولة، إلَّا إني لستُ بكاتب، ولم يشكِّل هذا الأمر معضلة لي حتى هذه اللحظة.

إليكم الأمر. رغم كل عيوب أبي وأمي، فإنهما شخصان طيبان في المُجمَل. حسنًا، أمي تتفوق في هذا على أبي، إذ قد عَلَّمَانا أنا وأخَوَيَّ أن نكون أشخاصًا طيبين كذلك، وحتى لو لم نتصرف من هذا المنطلق، إلا إن هذا كامنٌ فينا، وفيَّ. يكفي على الأقل أني لا أريد أن تتعرض فتاة لم تقترف شيئًا للخزي والإهانة على يد أصدقائي الحمقى.

ماذا لو أنهم أقدموا على فعل شيء أسوأ مما تدعو إليه لعبة مصارعة الفتيات البدينات؟

ماذا لو حاولوا تقبيلها؟

ماذا لو تحرشوا بها؟

وفي عقلي، عرجت على السيناريوهات الأسوأ، وكان كل واحد منها ينتهي بانفطار قلب هذه الفتاة من البكاء.

أسندتُ رأسي إلى المكتب، وشعرت كأن قلبي ينفطر من البكاء.

وفي النهاية شعرت كأني...

أتفق معهم تمامًا.

رفعت رأسي وبدأت الكتابة.

أنا لَستُ بشخصٍ مؤذٍ، إلا إني على وشك فعل شيءٍ مؤذٍ. وأنتِ ستكرهينني، وسيكرهني بعض الآخرين، ولكني سأفعله على أي حال لأحميكِ، ولأحمي نفسي كذلك...

اليوم التالي

قررت آيريس إنجلبريكت الانضمام إليَّ في الكافتيريا، لسبب ما -ربما يكون حجمنا المشترك- تأخرت عني قدر خمس خطوات.

- أما زلتِ هناك في الخلف يا آيريس؟

- أنا هنا.

وأمكنها أن تُضفي على هاتين الكلمتين حِسًّا من البؤس والانهزام، فهي صاحبة أكثر نظرة تشاؤمية في مدرسة مارتن فان بورين الثانوية، وتكثر من الحديث عن الوزن. وأنا بالتأكيد لا أهتم بأن أكون المتحدثة الرسمية للفتيات البدينات، وهو تحديدًا ما يبدو أنه اعتقاد آيريس عني، جنبًا إلى جنب مع الفتاة البدينة صعبة المراس. وهذا أسوأ بكثير من لقب الفتاة البدينة الوقحة، أو الصديقة المقربة للفتاة البدينة، فهذا دور يحمل الكثير من التوقعات، وآخر شيء أريده هو الشعور بالمسؤولية تجاه مساعدة أحدهم على تدبير أمره في المدرسة الثانوية.

كنت أتوجه إلى حيث تجلس بايلي بيشوب مع جيفي دي كاسترو إلى طاولة بجوار النافذة، عندما وقعت عيناي على ديف كامينسكي. وكان رأسه الذي يكسوه الشعر الأبيض مُغطًّى بقبعة صوفية. شدت كُمِّي آيريس بشدة، وقالت: «أريد الخروج من هنا».

التفتُّ وشرعت في السير في الاتجاه المعاكس، ومشت آيريس المسكينة تتخبط من خلفي. ومصادفةً، التقيت أحد أصدقاء ديف كامينسكي، كان واحدًا من رفاقه الذين كانوا في المدرجات. كان طويل البنية والأطراف، ونحيفًا، وله بشرة بنية ذهبية، وهذا النوع من الشعر البني الغامق الذي ينتشر في كل الاتجاهات مثل الشمس.

قبل أن أتنحى عن طريقه، استهَلَّ الكلام قائلًا: «آسف». وفي عينيه رأيتُ شيئًا جديًّا ومضطربًا، كأنما قد فقد صديقه المقرب للتو.

قلت: «لا، أنا آسفة». وتنحيتُ جانبًا حتى أتمكن من الالتفاف حوله. ثم بعدها، تنحى إلى الجانب نفسه، لذا تنحيتُ إلى الجانب الآخر، ثم فعل الشيء نفسه. وبينما أفكر في مدى سخافة مظهرنا، سمعت ديف كامينسكي من موضع ما من فوق كتفي اليمنى يقول: «تبًّا، لقد بدأت اللعبة!».

ظننتُ لحظةً أن هذا الفتى سيمر من أمامي مباشرة. وقال ثانيةً: «أنا آسف». ثم رمى بنفسه عليَّ وتشبث بي كأن حياته متوقفة على هذا.

تملكني الذهول لدرجة أني لم أقوَ على التحرك. وبدلًا من ذلك، رجع عقلي بالزمن إلى العطلة العائلية عندما كنت في عمر التاسعة، حين كنت أنا، وأمي، وأبي، وأولاد خالاتي وخالاتي على الشاطئ في شمال كارولينا. كان اليوم حارًّا، وكنا جميعًا نسبح. كنت أرتدي ثوب السباحة باللون الوردي والأصفر، وبه رسم مربعات. وكنت أحاول المشي في المياه الضحلة، وألصق قنديل بحر نفسه بساقي بينما كنت أسبح. أقصد أن الوحش الصغير لم يتركني، واضطروا إلى حملي خارج المياه، وإزالته عني بالقوة، وظننت أني سألقى حتفي.

حسنًا، راح هذا الوحش الصغير يشدد في تشبثه بي بالقدر نفسه. وفي البداية شُلَّت حركتي، فلم أستطع إلا الوقوف هناك، كأن العالم قد غدا خاويًا ثابتًا، وكذلك أنا، فقد حدث أن كل شيء

تَ

بَ

ا

طَ

أ

وتوقف.

توقف فحسب.

كانت تلك المرة الأولى التي شعرت فيها بالفزع منذ وقت طويل، فقد أخذ صدري ينقبض، ورحت أتنفس بسرعة، وغدت يداي مُبتَلَّتَين بفعل التعرق، وشعرت بالسخونة في رقبتي.

ثم اجتذبني شيء ما إلى الواقع ثانيةً، ربما صوت الصراخ، والتصفيق، وأصوات الاستهجان. أو صوت خِوارهم كالبقر؟ أيًّا كان، عدت فجأة إلى كافتيريا المدرسة وهذا الفتى ملتفٌّ حولي مثل السترة، وكانت ذراعاه تشددان في الالتفاف حولي.

- لا!

أدركتُ أن هذا كان صوتي، لكن بدا بعيدًا جدًّا، وكأني في الجانب الآخر من المدرسة، هناك بجوار المكتبة.

بدا جليًّا أن هذه لعبة مروعة من نوع ما: احتضن الفتاة البدينة، أو ألصق نفسك بالفتاة البدينة كأنك شريط فيلكرو لاصق. وهذا أسوأ من المنع من دخول باحة المدرسة. وعلى حين غرة، اشتد غضبي لدرجي أني كنت أرتجف. وسَرَت السخونة في سائر جسدي، مما جعلني متأكدة من ملاحظته الأكيدة للأمر، نظرًا إلى طريقة تثبته بي كأطرافي المتصلة بجسدي.

فَكَّرت: *لم أخسر من وزني 137 كيلوجرامًا، وأتخلَّ عن أكل البيتزا وبسكويت الأوريو حتى يُهينني هذا الأحمق في كافيتريا مدرستي.*

قلت: «لاااااا!». وقد خرجت أشبه ما يكون بالصيحة.

كان قويًّا بالنسبة إلى شخص شديد الهزال مثله. واستجمعتُ كل قوتي حتى أزيله عني كأنه ضمادة طبية لاصقة.

ثم لكمته في فمه.

حالك

استلقيتُ على أرضية الكافتيريا، وكانت الفتاة واقفة فوقي. وشعرتُ كأن فكي قد خُلِع، كأنه مُلقًى في مكان ما في أوهايو. وتحسسته لأتأكد من أنه لا يزال ثابتًا في مكانه، فعادت يدي مغطاة بالدماء.

تفوهتُ بكلماتٍ مشوشة قائلًا: «ما هذا بحق الجحيم؟». *يا إلهي، أظن أنها قد كسرت حنجرتي.* وأردفتُ متسائلًا: «لِمَ لَكَمتِني؟».

- لِمَ أمسكتَ بي؟

انتقلت عيناي إلى حقيبة ظهرها، إلى الرسالة التي تَبرُز من الجيب الذي تمكنتُ لتوي من وضعها فيه. أردت قول: ستفهمين *فيما* بعد. إلا إنه تعذر عليَّ الكلام، لأني كنت أمسح الدم عن فمي.

قد أكون غير عارف بمَنْ يكون أي من الموجودين، ولكن كانت كل الوجوه في الكافتيريا ملتفتةً نحونا، والأعين تحدق إلينا، والأفواه فاغرة، أو تتحدث بلا انقطاع. وظلت الفتاة واقفة هناك. وقلت بينما أنا مستلقٍ على الأرضية: «سأنهض، حال كُنتِ تفكرين في لكمي مجددًا».

مُدَّت يدٌ تجاهي، وكانت يد شخص طويل أبيض، يعتمر قبعة صوفية سوداء سخيفة. أكره القبعات، لأن في بعض الأحيان تكون السمة المميزة الوحيدة هي شعر الشخص، القبعة تمحو هذه السمة المميزة، ما يجعلها تمحو الشخص بدوره. لست متأكدًا مما إذا كان عليَّ أن أمسك باليد، ولكن لم يمدد إليَّ أحد آخر يده، لذا تركته يسحبني إلى الأعلى. وبينما يفعل ذلك، أخذ الحقير يضحك.

التفتت إليه الفتاة، وقالت: «أنت وغد».

رفع يديه عاليًا كأنما قد سحبت الفتاة مسدسًا، وقال: «مهلًا، لَستُ أنا من أمسك بكِ».

قالت: «ربما لَستَ كذلك، ولكن لك يدًا في الأمر». مما يشير إلى أن هذا قد يكون ديف كامينسكي.

كانت ثمة فتاة أخرى لها بشرة داكنة والغضب يعلو وجهها، ولها شامة بجوار إحدى عينيها، ووقفتْ وجهًا لوجه قبالة الفتاة التي أمسكتُ بها. وقالت: «أضربتِه؟ أيتها البقرة الغبية! لم يكن يؤذيكِ!». ووحدها كارولاين لاشامب من تستطيع رفع صوتها إلى هذه الدرجة.

قلت: «لقد استحققتُ هذا، فلم يكن عليَّ الإمساك بها». وفجأة، أخذتُ في الدفاع عن مُهاجِمَتي.

ظهر فتى بذقن مستدق وشعر أشعث، وقال: «أفَعَلَتْ هذا بك؟». كنت أتمعن في وجهه باحثًا عن علامات تدل على من يكون، ولكن اجتمع عليَّ من في المكان مرة واحدة، وهذا بالنسبة إليَّ كابوس، لأني لا أعرف من يكون كل واحد منهم. كان الجميع يمسكونني ويسحبونني إلى الأعلى، ويريدون أن يعرفوا ما حدث. *هل أنا بخير؟ ستكون على ما يُرام. لا تقلق يا جاك. أريدهم أن يدعوني وشأني ويبتعدوا،* لأنه من المفترض أن أعرفهم، ولكني لست كذلك، وقد أكون أعاني كذلك فقدان الذاكرة. إنهم يفزعونني، وأريد أن أقول لهم: ابتعدوا عني. فهي التي تستحق الاهتمام، وليس أنا، فالخطأ خطئي، وليس خطأها هي.

- ماذا حدث بحق الجحيم يا جاكس؟

كان الفتى مستدق الذقن هو أخي ماركوس، لأن هذا ما اعتاد مناداتي به عندما كنا صغارًا.

ولكن ليس بمقدوري التأكد. هل بمقدوري التأكد؟ فحتى الرُّضَّع الصغار يمكنهم التعرف على الأشخاص الذين يعرفونهم، حتى الكلاب. وحتى كارل جومرز، الذي لا يزال... بعد كم سنة من التخرج من المدرسة الابتدائية؟ لا يزال يَعُدُّ على أصابعه، وفي العام الماضي أكل غائط قطة بسبب تَحَدٍّ اشترك فيه مع أحدهم.

حَضَر واحدٌ من رجال الأمن، وأخذ يدفع الناس من طريقه. وأتى كذلك معلمٌ (له شعر رمادي ولحية)، وحاول استعادة النظام بين الحشد. وبينما يخبرهم بأن لا شيء يستدعي التَفرُّج هنا ويأمرهم بأن يعودوا إلى شؤونهم، أتت فتاة أخرى تمشي تجاهنا مُسرِعَة.

ثم سَألَت: «ماذا حدث يا جاك ماسيلين؟». أخذت تتفحص وجهي، وفي تلك اللحظة لم أكن متأكدًا من أي موضع أنزف. هل أعرف هذه الفتاة؟ فلا شيء يخصها يبدو مألوفًا لي. ثم قال أحدهم: «لقد كان هو يا آنسة تشابمان. هو مَنْ أمسك بها».

سحبت ذقني من يدها سريعًا، وقلت: «إنها السيدة تشابمان».[1] ونظرتُ مباشرة إلى عينيها. في تلك اللحظة، كنت كمن يقول: *بربكِ أيتها السيدة، أريني ماذا لديكِ، أريني ما المميز فيكِ*. وأعني أنه لا بد من وجود شيء ما مذهل فيها، أليس كذلك؟ فما السبب الآخر الذي يدفع أبي إلى أن يضع عائلته على المحك ويخاطر بكل شيء؟

ولكن الشخص الوحيد المميز عن الحشد المتفحص المتشدق بالكلام لم يكن أخي، أو المرأة التي تُخَرِّبُ زواج أبي وأمي، بل كانت فتاة لا أعرفها حتى، كانت الفتاة ذات الحجم الأكبر هنا.

---

(1) يصحح جاك الكلام ويشير إلى أنها سيدة، أي متزوجة، وليست آنسة. (المترجمة)

ليبي

كانت مديرة المدرسة السيدة واسرمان امرأة نحيلة، ولكنها قوية ونشيطة، تشبه حبة الفول القافزة. تشير اللوحة المعلقة خلف مكتبها إلى أنها عملت مديرةً للمدرسة مدة خمس وعشرين سنة. جلستُ في الناحية المقابلة لها إلى جوار الفتى والمرأة التي لا بد أنها أمه.

قالت لي السيدة واسرمان: «يجب أن يكون أبوكِ هنا قريبًا».

شعرتُ فجأة أني سأتقيأ، لأني قد رجعت بالزمن إلى أسوأ لحظة في حياتي. كنت في الصف الخامس الابتدائي، في منتصف تجمع مدرسي، عندما بحثت عني مديرة المدرسة وأخرجتني من صالة العرض أمام الجميع. وأخذتني إلى المكتب، حيث كان أبي ينتظر مع أحد المرشدين النفسيين في المدرسة. وكانت علبة كبيرة من مناديل كلينكس موضوعة في زاوية من مكتب مديرة المدرسة، وكان هذا ما استرعى انتباهي. كانت علبة كبيرة، كما لو أنهم قد أعدوها لهذه اللحظة خصوصًا.

- *أمكِ في المستشفى، وعلينا المغادرة الآن.*

- *ماذا تعني؟*

اضطر إلى تكرارها ثلاث مرات قبل أن أستوعب أنهم جميعًا قد تآمروا لسبب ما ليستخدموا هذه الحيلة شديدة القسوة معي، حتى مع اعتقادي حينها أنها نكتة مروعة.

- لبس؟

رفعت بصري بينما يدخل أبي إلى المكتب، وسأل: «هل أنتِ بخير؟».

- أنا بخير.

أحضر أحدهم كرسيًا لأبي، ثم حَكَت المديرة ما حدث في الكافتيريا للجميع.

ثم حَدَّقَتِ الأم إلى ابنها كأنه ابن روزماري[1]، وقالت: «لا بد من وجود تفسير يبرر فعلتك».

رَدَّ أبي عليها قائلًا: «أود سماع تفسير يُمَكِّنُني من فهم هذا».

عَلَا صوت المديرة على حديثهما، وقالت: «أود سماع جاك وليبي».

نظر الجميع إلينا.

- لقد أمسك بي.
- كيف أمسك بكِ؟
- دفع بنفسه ناحيتي، وتمسك بي كأني سترة نجاة، وكأنه آخر رجل على متن سفينة تيتانيك.

تنحنح هذا الفتى المسمى جاك، وقال: «ليس هذا ما جرى على وجه التحديد».

نظرت إليه بينما أرفع حاجبي تعجبًا، وقلت: «حقًّا؟».

ولكنه لم يكن ينظر إلي، فقد كان جل تركيزه منصبًّا على محاولة إغراء المديرة واسرمان، إذ مال إلى الأمام وهو جالس في مقعده، وتحدث بصوته المنخفض المتثاقل كما لو كان يتآمر معها، وقال: «كانت فعلة حمقاء. سائر الأمر كان أحمق، ولا يزال أحمق. أنا فقط...». ثم نظر إلى أمه وأردف: «لم تكن الأمور يسيرة في الأعوام القليلة الماضية». ونظر إلى المديرة واسرمان بطريقته المُتَمَعِّنَة، كما لو كان يحاول تنويمها مغناطيسيًا، وتابع: «أنا لا أقول إن ما فعلته له أي مبرر، لأني أشكُّ في وجود أي شيء يمكنني قوله لتبرير ما حدث هناك لكِ».

كانت له قدرة على مُلاعَبَة الثعابين، ذاك الفتى، ولكن لحسن حظي، فإن المديرة واسرمان ليست غبية، فقد قاطَعَت حديثه والتفتت إلي، وقالت: «أودُّ سماع الدافع الذي عَجَّلَ بوقوع اللكمة في الفم».

سألني أبي: «ألكَمتِه؟».

---

(1) عنوان كتاب لقصة امرأة اسمها روزماري تحمل بابن الشيطان. (المترجمة)

أشار جاك إلى وجهه كقرينة على وقوع اللكمة.

قلت: «لقد أمسك بي».

- لقد حضنتها، بالمعنى الصحيح.

- لم يكن حضنًا، بل كنت تمسك بي.

قالت المديرة واسرمان: «لِمَ أمسكتَ بها يا جاك؟».

قال: «لأني كنت أحمق، فلم يكن لي أي غرض من ذلك، ولم أكن أحاول إفزاعها، ولم أكن أحاول التنمر عليها. أتمنى لو كان لي مبرر أفضل، صدقيني». وكانت عيناه كأنهما تقولان: *ستسامحينني، وستنسين أن هذا قد وقع من الأساس، وستحبينني كما يحبني الآخرون.*

- أشَعَرتِ بأنكِ تحت التهديد يا ليبي؟

- لم يراودني شعورٌ جيد، إذا كان هذا ما تسألين عنه.

- ولكن أشَعَرتِ أنكِ تحت التهديد؟ من نوع جنسي؟

يا إلهي!

- لا، لم أشعر إلا بالإهانة.

شعرت *بها أكثر الآن، شكرًا لكِ.*

- لأننا لا نتساهل مع الاعتداء الجنسي.

مالت أم جاك إلى الأمام في كرسيِّها، وقالت: «أيتها المديرة واسرمان، أنا محامية، وأنا قلقة بقدركِ -إن لم يكن أكثر- بشأن ما حدث هنا اليوم، ولكن إلى أن...».

قالت المديرة واسرمان ثانيةً: «أودُّ السماع من جاك وليبي».

كان بمقدوري أن أشعر بروح الفتى الجالس بجواري تخرج منه. مددت بصري إليه، فبدا خاويًا كالمحارة، كأنما قد سحب أحدهم كل قطرة من دمه. ولأي سبب غبي دفعه إلى الإمساك بي، أعرف أنه لم يقصد *أن يكون الأمر بهذه الطريقة.*

لذا قلت: «لم يكن اعتداءً جنسيًّا. على الإطلاق. فلم أشعر بالتهديد على هذا النحو».

- ولكنكِ ضربتِه.

- ليس لأني شعرت أني يُعتَدَى عليَّ.

- إذن لم ضربتِه؟

- لأنه أمسك بي بطريقة غير جنسية تمامًا، لكنها لا تزال مستفزة ومهينة.

عقدت المديرة يديها ووضعتهما على مكتبها، وثبتت عينيها علينا كأنها ستحولنا إلى حجارة، لو كان بمقدورها ذلك. وقالت: «العراك في مبنى المدرسة تهمة خطيرة، شأنها شأن التخريب». واستغرق الأمر مني لحظة حتى أستوعب، إذ رَفَعَتْ نسخة ضوئية لصورة فوتوغرافية، التي لم أحب النظر إليها لأني أعرف بالفعل ما فيها. سألَتْ جاك: «أعندك أي علم بشأن هذه؟».

مال إلى الأمام لتَفَحُّص الصورة، ثم رجع إلى الوراء وهز رأسه بالنفي، وقال: «لا يا سيدتي، لا أعرف».

ثم مال أبي بجسده، وقال: «اسمحي لي برؤية هذا، رجاءً».

وبينما يأخذ الورقة، قالت السيدة واسرمان: «أخشى أن أحدهم قد شَوَّه واحدًا من حمامات مدرستنا بتعليقات مهينة تخص ابنتك. وأؤكد لك أننا سنتعامل مع الأمر، فأنا لا أستهين بشيء من هذا القبيل كذلك». ثم عاودت النظر إلى جاك، وكانت أمه وأبي ينظران إليه، وكان فكه متشنجًا، لدرجة أني خشيت أن ينكسر إلى نصفين.

حاولتُ أن أتوارى بنفسي، فأغمضتُ عينيَّ كما لو أن هذا سيُجدي نفعًا. ولما فتحتهما، وجدت أني ما زلتُ جالسةً في المقعد والجميع يحدق إلي. ثم قلت: «عذرًا؟».

لوَّحَ أبي بالنسخة الضوئية، وسأل: «أتعرفين من فعل هذا؟».

أردت أن أقول: لا. قطعًا لا.

- لبس؟

إليكم الخيارات المتاحة لي: بمقدوري الكذب، ونفي ذلك. بمقدوري إخبارهم أن جاك من فعلها. أو بمقدوري قول الحقيقة.

- أجل.

- أجل تعرفين الفاعل؟

- أجل.

انتظر الجميع في ترقب.

- أنا مَن فعلها.

استغرق الأمر منهم هنيهة حتى يستوعبوا.

صَفَّر الفتى.

قالت أمه زاجرة: «جاك».

رَدّ: «آسف. كان رغمًا عني». وصَفَّرَ ثانيةً.

علا الإحباط وجه المديرة واسرمان، وبوسعي تخيلها جالسةً الليلة مع زوجها، تخبره كيف أن الفتيان والفتيات قد تغيروا، وكيف فَطَرنا قلبها، وكم هو جيد أنها أوشكت على التقاعد، لأنها لا تعرف إنْ كانت تقوى على المواصلة في فعل هذا فترةً أطول.

سأل أبي: «لِمَ يا ليبي؟».

كنت على وشك البكاء، ربما من الطريقة التي قال بها «ليبي» بدلًا من «لبس»، أو ربما لسبب آخر أحمق.

أجبت: «لأن أحدهم كان سيكتبها».

وفجأة شعرت أني تعريت، وكأني مستلقية على طاولة التشريح وأحشائي معروضة للعالم أجمع. ويستحيل عليَّ الشرح لأي أحد بخلاف أبي أهمية الاستعداد، أن تكون سابقًا الجميع وكل شيء بخطوة.

- أن تكون الصياد خير من أن تكون الفريسة، حتى لو كنت تصيد نفسك.

التقت عيناي عَينَي جاك، وقلت: «شيء من هذا القبيل».

- ثم أتيتُ أنا وأثبَتُّ وجهة نظركِ.

طالت نظرتنا إلى بعضنا مدة ثوانٍ، ثم بعدها أشَحنا بنظرنا بعيدًا. جلس خمستنا هناك في الصمت الأكثر إحراجًا في حياتي، حتى قَطَعَتِ المديرة الصمت، وقالت: «هنالك أشكالٌ مختلفة من العقاب يمكنني إنزالها بكما: التعليق من الدراسة، أو الفصل». واضطرتْ حتى في بعض الحالات مدارس في راشفيل ونيوكاسل إلى استدعاء الشرطة المحلية لتنفيذ الاعتقالات.

قال جاك: «ماذا عن السماح بجعل عقابي هو مشاهدة المدرسة أجمع فتاةً تُبرِحُني ضربًا؟».

رَدَّت عليه: «أو يمكننا مقاضاتك بداعي التنمر».

كادت أم جاك المحامية أن تسقط من فوق كرسيها، وقالت: «قبل حديثنا عن المقاضاة...».

قاطعَتِ المديرة واسرمان حديثها قائلة: «وأنتِ يا ليبي بداعي العراك».

قلت –وأتى صوتي مدويًا عاليًا ومرتفعًا للغاية–: «كان دفاعًا عن النفس، أقصد عندما لكمته». رغم أن واقعة الحمام كانت دفاعًا عن النفس أيضًا.

أومأت المديرة تجاه جاك، وقالت: «هل تَرَكْتِ في الوقت الذي ضَرَبتِه فيه؟».

- فقط لما أزَحتُه عني.

هَزَّت رأسها استنكارًا، وتنهدت تنهيدة طويلة، ثم قالت: «لن أتخذ قراري الآن، إذ أريد الحديث مع الشهود، وأريد تفقد سجلاتكما، ثم بعدها أفكر مليًّا في الخيارات. ولكني أحب أن أوضح أني أتبَنَّى سياسة تخلو من التسامح عندما يتعلق الأمر بالعنف، والتنمر، وأي شيء يُلَمِّح ولو حتى من بعيد إلى التحرش الجنسي». وزَرَّت عينيها ونظرت إلى جاك، ثم إليَّ، وقالت: «كما إني لا أحب التخريب كذلك».

جاك

طُلِبَ منا أن ننتظر خارج مكتب السيدة واسرمان، وبينما نخرج، دخل حارس الأمن، والمعلم المُلتَحي، وبصحبتهما بضعة تلاميذ يعلم الله من يكونون، ربما يكون أخي من بينهم. جلست أنا وليبي جنبًا إلى جنب على مقعد، وراقبتُ الباب المؤدي إلى الخروج من هنا، إلى الممر الرئيسي، وجل ما كان يجول بخاطري هو: *لا تسمح لمونيكا تشابمان بالدخول، ليس في وجود أمي بالداخل.*

نَظَرَتْ ليبي إليَّ وسألت: «لِمَ فعلت هذا؟».

أردت قول: *اقرئي الرسالة*. ولكن بدا في هذا الوقت أن الرسالة كانت ثاني أسوأ فكرة خطرت لي.

سألتها: «ألم تفعلي شيئًا خسيسًا أو أحمق دون التمعن فيه وفي عواقبه؟ شيئًا تندمين على فعله بمجرد أن تفعليه؟». ولكنها لم تُجِب. لذا قلت: «أحيانًا يكون الناس مُؤذين فحسب. وفي أحيانٍ أخرى، يكونون مُؤذين لأنهم خائفون، وفي أحيانٍ أخرى، يختارون أن يبادروا الآخرين بالأذى قبل أن يبادروهم به. إذن فالأمر أشبه بأذى سابق للدفاع عن النفس».

لأن مخي تالف، وأنا ذاتي تالف.

- لِمَ أنا؟ أو، أيجب أن أسأل؟

أجبتها: «لا يجب عليكِ السؤال». إذ يستحيل أن أنطق لها بكلمات: «مصارعة الفتيات البدينات».

فأدارت عينيها وأشاحت بنظرها بعيدًا، وقالت موجهةً كلامها إلى الجانب الآخر من الغرفة: «لا تعتقد أنهم سيعلقوننا عن الدراسة؟ أو يفصلوننا من المدرسة؟».

قلت: «لا، فهذه ليست المرة الأولى لي...». وكِدتُ أنطق بكلمة «مصارعة»، ولكني حَجَّمت نفسي، واستطردت: «سنكون على ما يُرام». رغم أني لم أكن متأكدًا تمام التأكد.

التقت عيناها عينيَّ مجددًا، وابتسمتُ في وجهها، رغم أني أستَحقِرُ ذاتي، وراحت شَفَتي تنزف.

- أتؤلمك؟

- أجل.

- جيد.

***

فُتِحَ باب مكتب مديرة المدرسة بعد ساعة أو يزيد، وأشارت إلينا المديرة واسرمان (ذات الشعر الرمادي القصير والنظارات) بالدخول مرة أخرى. كان ثمة رجلان يستندان إلى حافة النافذة: أحدهما ضخم الجثة، والآخر نحيف للغاية. ثَبَّتَ أبو ليبي نظره عليَّ، وكان عريض المنكبين، مثل تشارلز برونسون[1]، واعترتني حاجة إلى قول: «أنا آسف يا سيدي».

ارتميتُ أنا وليبي على مقعدينا السابقين، ونظرت إلى عيني أمي، فهزت رأسها. (في العادة كانت أمي تصفف شعرها بطريقتين، واليوم هي أمي ذات الشعر المرفوع). قد لا أكون قادرًا على التعرف على الوجوه، لكن بمقدوري أن أُحَدِّدَ إذا ما كان الشخص متضايقًا وغاضبًا، وكانت أمي كليهما. رحت أفكر في كل المرات التي نصحتني أمي فيها بأن أنأى بنفسي عن المشكلات، لأن الناس سيكونون متشددين معي بسبب مظهري. أعرف أني خذلتها، وهي ستقول إني خذلت نفسي.

أسندت السيدة ذات الرأس المَكسوِّ باللون الرمادي مرفقيها على المكتب ومالت إلى الأمام، وقالت: «لن أُعَلِّقَكما من الدراسة أو أفصلكما من المدرسة، ليس هذه المرة. وعوضًا عن ذلك، ستؤديان الخدمة الاجتماعية معًا. إلا إنه

---

(1) ممثل أمريكي اشتهر بأفلام الحركة والإثارة. (المترجمة)

بدلًا من القيام بهذا من أجل المجتمع، فستكون خدمةً من نوعٍ اجتماعي لصالح المدرسة. إننا نكلفكما بدهان المدرجات، وغرف الخزائن. وسيكون السيد سويني مشرفكما». وأومأ الرجل ضخم الجثة تجاهنا. «كما سيلتقي كلاكما مرشدًا نفسيًّا كل يوم بعد المدرسة على مدار الأسابيع القليلة المقبلة. وتجري الاستعانة بحلقات المحادثة بطريقة مثمرة في المزيد من المدارس في أنحاء البلاد، وأومن أنها ستكون مثمرة كذلك هنا. وأُشَدِّدُ على أهمية التعلم من التجربة، ومن بعضكما. والسيد ليفين (لَوَّح الرجل النحيف) متخصص في بعض القضايا الأكثر انتشارًا التي تؤثر على المراهقين في الوقت الحالي، على سبيل المثال: التنمر، والتمييز، والتحرش الجنسي».

تنحنحتُ وقد آلَمَني حلقي، وقلت: «لا أظن أنه من العدل معاقبتها على شيء كنت أنا المتسبب فيه، أُفَضِّلُ أداء فترة الخدمة عن كلينا».

فهَتَفَت ليبي: «أنت لا تتحلى بأيِّ حسٍّ منطقي».

- ماذا؟

- لا يَسعُك أن تكون الشرير والبطل في الوقت ذاته.

قالت المديرة واسرمان: «أشكرك يا جاك، إلا إن ليبي خرقت القواعد كذلك».

***

حاولت في مغادرتنا المكان أن أقول: «أكرر أسفي». إلا إن أبا ليبي قد حَوَّطَ كتفها بذراعه وأخذها مبتعدًا.

وفي موقف السيارات، قالت لي أمي: «سنناقش هذا في المنزل يا جاك هنري». نادَتني باسمي كاملًا، وهو شيء لم تفعله منذ سنوات. وقادت السيارة دون أن تنبس ببنت شفة.

ذهبت مباشرة إلى متجر ماسيلين، آمِلًا أن أدخل إلى هناك خفية، وألَّا ألتقي أي أحد، إن صح القول، أبي. وما كدت أجلس خلف المكتب حتى دخل، وقال: «لقد سمعت بما حدث اليوم. فِيمَ كنت تفكر بحق الجحيم؟».

أخبرته أني لا أعرف. كان من المفترض أن تكون خدعة، لكن انتهت بكونها فكرة غاية في السخافة، وأتمنى لو لم أفعلها، وكل الأشياء الأخرى التي قضيت الساعات القليلة الماضية في تكرارها.

- لقد خيبتَ أملنا أنا وأمك.

وكأنه يحتاج إلى إخباري بهذا. واعترَتني رغبة في قول: *لقد خيبتَ أملي أنت أيضًا*. لكن استعضتُ عن ذلك بقول: «أعرف، آسف».

لما صِرتُ وحدي أخيرًا، شَغَّلتُ هاتفي، وفورًا، طنَّ بالكثير من رسائل البريد الصوتي، والرسائل النصية. كانت هنالك كارولاين، وسيث، وبايلي بيشوب، وكام، ونحو مئة شخص آخر -بمن فيهم ماركوس- يعرفون بشأن ما حدث.

راحت بايلي بيشوب تبكي، إذ لم يكن بوسعها تصديق أني قد أفعل شيئًا بالغ الأذى مثل هذا لإنسانٍ آخر. وتحدثت كارولاين في أغلب كلامها عن نفسها، ولكن أراد أخي في الواقعِ أن يطمئن عليَّ، وما جرى مع المديرة.

كانت رسالة كام تقول: *تهانينا أيتها الأميرة، لقد فزت. اختر مكانًا حتى يتسنى لنا اصطحابك إليه أيها الأحمق لتناول وجبة الاحتفاء بالانتصار. ولكن مهلًا، أسدِ إليَّ معروفًا ولا تجعل فتيات أخريات يبرحنك ضربًا قبل حلول ذلك*. وبعدها رسالة صوتية مدتها دقيقة كاملة من الضحك.

ليبي

كان الراديو مشغلًا، ولكن الصوت منخفض، ويواصل أبي الحديث بلا انقطاع. ولما أتى على ذكر التدريس المنزلي، قلت: «لست مضطرًّا إلى القلق بشأني، بوسعي الاعتناء بنفسي».

- أَلَكَمتِه حقًّا؟
- في فمه تمامًا.

ضحك.

- هل تضحك؟
- أظن ذلك.
- لا يفترض بك أن تضحك، يجب عليك أن تخبرني أن العنف ليس حلًّا لأي شيء، ثم تأخذ مني هاتفي، أو شيء من هذا القبيل.

قال: «لا تلكمي أحدًا ثانيةً. وإذا كان هذا سيُشعِركِ بشعور أفضل، فلتعطيني هاتفكِ». وما كان منه إلا أن واصل الضحك.

والآن رحت أضحك أنا أيضًا. وأول مرة منذ فترة طويلة، شعرت بأني طبيعية، وإن بدا شعورًا غريبًا. شعرنا أننا طبيعيان، ما دفعني إلى الاعتقاد بأن ما حدث اليوم لم يكن سيئًا قط. ولعل هذه اللحظة المتفردة استحقت كل الإهانة، والساعات الآتية من الخدمة الاجتماعية والإرشاد النفسي.

لما توقفنا بالسيارة أمام منزلنا، قال أبي: «لا تدعي هذا الفتى يشغل تفكيرك، ولا تدعيه يسلبكِ ما جاهدتِ لتحقيقه».

رددت: «لن أسمح له، وسأستيقظ غدًا وأذهب إلى المدرسة». ثم خفضتُ نظري إلى حذائي، وإلى الاقتباس المكتوب عليه، الذي يقول: «لا يَسعُك التوقف عن الحياة».

جاك

وجدت داستي في غرفته، يلعب ألعاب الفيديو ويضع سماعة الرأس، وتناهى إلى سمعي صوت الموسيقى يصدح من السماعة. كانت أغنية لفرقة جاكسون 5، وهي ما يستمع إليه فقط عندما يشعر بأنه في أسوأ حالاته.

لوَّحتُ لداستي، ثم أخيرًا، رفع عينيه إليَّ وقال: «ماذا؟».

مَثَّلتُ له حركة رفع السماعة، ووضحتُها وبالغتُ فيها على أمل أن يضحك، إلا إنه تجاهلني.

بدأتُ في الرقص، إذ لا يمكن لداستي مقاومة الرقص. كانت أغنية «روكن روبن»[1]، وواصلتُ الرقص. لقد أطلقتُ لنفسي العنان فحسب، فأخذتُ أدور وأرقص على الأرضية. كنت كأني في مقطع فيديو موسيقي، كأني مايكل جاكسون في أوج تألقه. كنت الأفضل.

قلت بصوتٍ عالٍ كفاية حتى أُسمِعَه: «أنا الأفضل». وهززت شعري الأفرو الشبيه بلبدة الأسد، وجعلته كبيرًا قدر المستطاع.

فقال: «أنت لست الأفضل». وأتى صوته عاليًا للغاية، بالطريقة التي تتحدث بها عندما تستمع إلى فرقة جاكسون 5 عند مستوى الصوت الأخير في سماعات الرأس.

- أنا الأفضل.

وأخذتُ أقوم بحركات الرقص، حركات تعلمتها على يديه، وأدَّيتُها بالطريقة الخاطئة عامدًا، لأنه لن يقدر على مقاومة نفسه. وقد تركني أنتظره

(1) بالإنجليزية «Rockin' Robin». (المترجمة)

بارتباك مدة ثلاثين ثانية أخرى، ثم بعدها، نهض وخلع سماعات الرأس، وبدأ يُريني الحركات الصحيحة.

أنهينا الأغنية ونحن نرقص في نمط موحد، وكان أمرًا رائعًا. ولكن انتهت الأغنية، وارتمى داستي في سريره، وحدجني بالنظرة التي تُعَرِّفُني أننا لا نسير في نمط موحد إلا على أرضية الرقص، وليس في أي موضع آخر.

ولتأكيد وجهة نظره، قال: «أنت لست الأفضل».

قلت: «لا أظن ذلك». وجلست بجانبه، وحدق كلانا إلى الأرض.

- إذن ما المبرر؟ ما المبرر الذي دفعك إلى القيام بهذا الشيء المؤذي؟

فكرت في كل المبررات التي أعددتها سابقًا... «*أحيانًا يكونون مُؤذين فحسب. وأحيانًا يعاملهم الناس بطريقة مُؤذية. وفي أحيانٍ أخرى يكونون مُؤذين لأنهم خائفون، وأحيانًا أخرى يختارون أن يبادروا الآخرين بالأذى قبل أن يبادروهم به. وفي بعض الأحيان قد لا يحب المرء الشخص الذي هو عليه، ويكون هنالك هذا الفتى الآخر الذي يعرف ما هو عليه بالتحديد، ما يمنح ذاك الفتى الأول شعورًا أسوأ حيال ذاته*».

- *ربما جميعها، ولكني لا أخالف ما أقول؛ لن أوذيك أبدًا.*

ثم نظر إليَّ كأنه سيضربني هو الآخر في شفتي المشقوقة، لأنه قال: «عليك تصحيح الأمر».

- أعرف.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ليبي

التقاني أبي في المطبخ، وكنت آكل واقفةً، وهذا شيء لم نعد نفعله، إذ كان هذا أحد آداب تناول الطعام التي نتبعها، إلى جانب عدم الأكل أمام التلفاز، وعدم الأكل بسرعة كبيرة، والامتناع عن الأكل عند الشبع بنسبة ستين بالمئة.

وضعت الطبق لدى رؤيتي إياه. وأينما كان مصدر الألم –قلبي أو معدتي– فالطعام لا يصل إليه.

بموت أمي، صرت خاوية أنا أيضًا، كأنما قد استُنزِفتُ وتلاشيت. وفي المستشفى، أمسكتُ يدها حتى أتت جدتي، وأبي، وباقي عائلتي. كانوا جميعًا عطوفين ومُحِبِّين، ومفطوري القلب، ولكن لا أحد منهم يشبه أمي، ولا حتى كلهم مجتمعين، ولا حتى يرقون إليها.

تحولت عينا أبي إلى الطبق، ولكنه لم يعلق. وبدلًا من ذلك، قال: «بايلي بيشوب هنا من أجل أن تراكِ».

***

وقفت بايلي في قلب غرفة نومي، وكانت جذابة للغاية، وشعرها يجذب الضوء كأنما يحاول جمعه كله والاحتفاظ به.

قالت: «لقد مر وقت طويل». ومالت إلى الأسفل لتداعب قطي جورج تحت ذقنه، وللمفاجأة، سمح لها بهذا. قلت في نفسي: *خائن!* سَألَت بايلي: «ألم يكن معكِ في الماضي؟».

أجبتها: «حصلتُ عليه لما كنت في الثامنة». اخترته أنا وأمي، أو بالأحرى هو من اختارنا، فقد ذهبنا إلى فعالية إنقاذ، وتحرر جورج من قفصه ووضع

نفسه في حقيبة أمي اليدوية. وأردفت: «كان من المفترض أن يموت منذ أربع سنوات، ولكنه يأبى ذلك».

كانت المرة الأخيرة التي أتت فيها بايلي إلى منزلي لما كنا في العاشرة. وقد دعوتها، ومونيك بينتون، وجيسيل فيليجاس إلى ليلة مبيت. وبقينا أربعتنا متيقظات طوال الليل، وتحدثنا عن الفتيان، وحكينا لبعضنا عن أعمق وأحلك أسرارنا. كان سر بايلي هو أنها حاولت تسريح أخيها الرضيع عندما وُلِد. وكان سري هو أني أتجسس في بعض الأحيان على الفتيان الذين يعيشون في الجانب المقابل من الشارع. كان هذا قبل أن يصبح دين وسام وكاستيل أصدقائي الوحيدين.

انتصبت بايلي واقفة، وركزت كل صفاتها الجميلة علي، وقالت: «أنا آسفة لأني لم آتِ لرؤيتكِ. كان عليَّ أن آتي لرؤيتكِ. عندما كنتِ تقبعين هنا. حسنًا، ليس هنا، لكن في منزلكِ القديم».

أربَكَني كلامها تمامًا، فوقفت هناك كالبلهاء. *كيف اجتمع لها أن تكون بهذا اللطف ويكون لها مثل هذا الشعر؟* وتمكنت أخيرًا من الكلام قائلة: «لا بأس. أعني أننا لم نكن صديقتين مقربتين أو أي شيء من هذا القبيل».

- ولكنا كنا صديقتين، كان يتحتم عليَّ المجيء.

أيجب عليَّ أن أحضنها؟ أيجب عليَّ أن أخبرها أن لا بأس؟ أيجب عليَّ أن أخبرها أنه كان يجب عليها الإتيان لرؤيتي منذ وقت طويل للغاية؟ قبل وقت طويل من احتباسي في البيت، عندما أخرجني أبي من المدرسة وأبقى عليَّ في المنزل؟

قالت: «عليَّ إخبارك بشيء، وهو شيء مروع، ولكني لا أريد أن تسمعي به من المدرسة». وفجأة، بدا كأنها على حافة البكاء. وفي البداية اعتقدت أنها ستخبرني أنها تحتضر، أو ربما أنا من تحتضر.

ثم أخبرتني بأمر اللعبة، وكيف أني كنت الغنيمة الكبرى في شيء ما يُسمى «مصارعة الفتيات البدينات»، وكيف انتشرت هذه الأخبار على وسائل التواصل الاجتماعي كالفيروس. وقد طالت العدوى الجميع، وأخذ زملائي في الفصل، البالغ عددهم ألفي طالب، والعديد والعديد من الغرباء يحتد بينهم

النقاش[1] -أفهمتم؟- جميعًا حول إذا ما كانوا ضمن فريق ليبي أو ضمن فريق جاك.

ونشر أحدهم صورة لي، مما يلزم أنه قد التقطها بعدما حدث الأمر، لأني كنت في الكافيتريا، بينما يحتد بي الغضب وما زلت أُطبِقُ على قبضتي، وجاك ماسيلين يفترش الأرض تحت قدمي، وتتعذر رؤية وجهه، لكن يمكن رؤية وجهي، محمرًا يُنذر بالخطر، وينتشر عليه عرقٌ خفيف. والتعليق المكتوب على الصورة يقول: *لا تعبث مع لبس*[2] *المجنونة*. «إل بي إس»، كاختصار الباوندات، بالطبع. كان هنالك ستة وسبعون تعليقًا، وقلة منها تتسم باللطف، والبقية تردد المعتاد: «*لو كنت كبيرة هكذا، لقتلت نفسي*». وكذلك: «*إنها جميلة بالنسبة إلى فتاة بدينة*». وكذلك: «*مجرد النظر إليها يفقدني شهيتي للأكل إلى الأبد*». وببساطة: «*افقدي الوزن، أيتها العاهرة البدينة*».

لهذا السبب تحديدًا لا أدخل إلى وسائل التواصل الاجتماعي. وتتخفى العديد من التعليقات الوضيعة، والساخرة، والتنمر تحت ستار *أنا أعبر عن رأيي فحسب، وفق ما يُمليه عليَّ دستور بلادنا العظيمة. وإذا لم يعجبك، فلا تقرأه*. وما إلى ذلك.

واعترتني حاجة ملحة إلى رمي هاتف بايلي وهاتفي بعيدًا، وأن أذرع الشارع جيئة وذهابًا حتى أجمع الهواتف وأرميها بعيدًا كذلك.

قالت بايلي: «ربما كان يتعين عليَّ عدم التلفظ بأي شيء». وأخذت تعض ظفرها وتضيق عينيها، ولمحت الدموع تلتمع فيهما.

قلت: «يسعدني أنكِ فعلتِ هذا». أقصد أني لست سعيدة على ما يبدو، ولكني كنت سأعرف بطريقة ما. وكَونُ أطيب فتاة في العالم هي التي أخبرتني، هو الطريقة الأفضل على الأرجح لفعل ذلك.

أغلقتُ هاتفي والحاسوب حتى لا أقرأ عن نفسي أكثر من ذلك، وقلت لبايلي: «لقد سئمت القراءة عن نفسي». فأومَأتْ بطريقة بايلي، التي توحي بأنها مستعدة لفعل أي شيء يرضيني. وبدأتُ أقطع المكان جيئة وذهابًا، مما

(1) التعبير الأصلي بالإنجليزية الذي استخدمته الكاتبة «weighing»، مشتق آخر لكلمة وزن. (المترجمة)

(2) بالإنجليزية «lbs»، اختصار لوحدة الباوند، وفي الوقت نفسه جناس صوتي لاسم تدليلها: «لبس». (المترجمة)

يعني أني على وشك البدء في الكلام، وسأكثر منه. واستطردت: «لسبب ما، هناك العديد من الأشياء الجديدة التي تستشفينها من حقيقة أني زائدة الوزن. ونفهمها أيها الناس. فلتمضوا قدمًا».

وأومأت بايلي بشدة، وقالت: «نفهمها».

- وفكرة «جميلة بالنسبة إلى فتاة بدينة» بأكملها، أعني، ما هذا؟ لِمَ لا أكون جميلة مطلقًا؟ وما كنت لأقول: «أوه، بايلي بيشوب، إنها جميلة بالنسبة إلى فتاة نحيفة». أعني أنكِ بايلي فحسب. وأنتِ جميلة.

قالت: «شكرًا لكِ، أنتِ جميلة أيضًا». وبخلاف كارولاين وكيندرا، أعلم أنها تعنيها.

قلت: «وما هذا الهراء الذي يقول: الفتاة البدينة مثل العاهرة؟». فجفلت بايلي، وأردفتُ مُصَحِّحَةً: «عذرًا، ما هذه السخافة البحتة التي تقول: الفتاة البدينة مثل عاهرة؟ ما هذا؟ لِمَ أُصَنَّفُ كعاهرة تلقائيًّا؟ كيف يكون هذا منطقيًّا من الأساس؟».

- غير منطقي.

- إذا قضى كل واحد ممن لديهم شيء يقولونه عني القدر نفسه من الوقت... لا أعلم، *في التمرس بالعطف*، وتنمية *شخصيته، أو السمو بروحه*، تخيلي كيف كان سيغدو العالم مكانًا أجمل.

- أجمل بكثير.

واصَلتُ الكلام بلا انقطاع في وجود بايلي مشجعة لي، حتى خبا حماسي، فارتميتُ على سريري وقلت: «لِمَ يقلق الناس للغاية من مدى ضخامتي؟». لَم تُجبني، وأَخَذَتْ يدي وأمسكتها فحسب. ولم يتعين عليها تقديم إجابة، إذ لا توجد إجابة عن هذا. عدا أن الأشخاص الصغار –الفئة صغيرة العقول– لا يحبون أن تكون ضخمًا.

لم يسبق لي أن صنعت روبوتًا، ولكني عازم على ذلك، لذا فقد شاهدت بضعة مقاطع فيديو من اليوتيوب، واستعنت ببضعة كتب، وحالما انتهيت، قررت أنه سيكون أفضل روبوت مصنوع من قطع الليجو على الإطلاق.

طلبت في عيد ميلادي الثامن مطرقة، ومفكات، وقواطع أسلاك، وحصلتُ على أول مكواة لحام عندما كنت في عمر التاسعة. ولا أحد يعلم من أين أتت تلك الرغبة الملحة في صناعة الأشياء، غير أن أبي بارع في صنع الأشياء اليدوية، إذن لعلي ورثت بعضًا من هذه المهارة منه. وقد عرفت فقط منذ نعومة أظفاري أن صناعة الأشياء من اللاشيء هو ما أجد فيه راحتي واسترخائي، مثلما يلجأ الآخرون إلى اليوجا، أو المورفين. ونتج عن هذه الموهبة وجود فرن للبيتزا، وآلة لرمي كرات البيسبول في باحتنا الخلفية، ومقلاع في المرأب، ومحطة أرصاد جوية على سطح منزلنا. وطريقتي عند العمل هو أني أرى الشكل النهائي الكامل للشيء قبل حتى أن يُوجد في الواقع، ثم أبدأ في صناعته من هذه النقطة. وهو نهجٌ مُغايِرٌ تمامًا لما أنتَهِجُه في حياتي اليومية.

ولكن في الوقت الحالي، جل ما أراه هو القطع المتناثرة، وهو ما يشبه تمامًا حياتي اليومية. قطع حمراء ها هنا، وقطع زرقاء هناك، وأخرى بيضاء، وصفراء، وخضراء، وسوداء. وفي لحظة من اللحظات، استلقيت فوقها، فوق الأرضية الخرسانية الباردة. كانت غير مريحة على الإطلاق، ولكني أقول لنفسي: *أنت لا تستحق أن تنعم بالراحة أيها الأحمق.*

وتساءلت عما تفعله ليبي ستراوت في الوقت الحالي، وآمل ألا تكون منشغلة بالتفكير فيَّ، أو في اليوم ككل. كما آمل لو أن بمقدورها التفكير بطريقة ما في شيء آخر، أي شيء آخر.

تناهى إلى سمعي وقع خطوات آت من سلم الطابق السفلي، وظهرت امرأة، وكان أول ما بدا منها هو ساقاها، ثم بقية جسدها. افترضت أنها أمي، إذ أيُّ امرأة أخرى ستكون في منزلنا إلا إذا قرر أبي إحضار مونيكا تشابمان إلى هنا؟ أخذتُ أبحث عن سماتها المميزة، فاتضح أنها أمي بتسريحة شعرها المسدلة، وفمها الواسع، وكان واضحًا أن بشرتها داكنة. وحاولت أن أُكَوِّنَ صورة واضحة لوجهها، ولكن حتى بعدما حددت ما يكفي من الملامح لأقول لنفسي: *حسنًا، إنها هي*، لم أخلص إلى هذا القول، لأن صورتها قد وجدت مكانها المناسب في عقلي، أو حتى قد بقيت موجودة. فباغتني شعور بالكِبَر والإجهاد الشديد، إذ إنه لأمر مُتعِب أن تكون مضطرًّا إلى البحثِ عَمَّن تحبهم دومًا.

قالت: «لستُ مضطرة إلى أن أخبرك بخيبة أملي فيك، ولا بمدى غضبي».

رفعت بصري عن الأرض إليها، وقلت: «لَستِ مضطرة».

قالت: «علينا أن نأمل ألا يقرروا رفع دعوى قضائية. قد لا ترى نفسك شخصًا أسود البشرة، وقد لا تظن أن الناس يرونك شخصًا أسود البشرة، ولكن الحقيقة أن مجتمعنا يتشدد في معاملته الفتيان غير البيض أكثر من الآخرين، ولا أريد لهذا أن يتبعك بقية حياتك». وجلسنا والصمت يلفنا، بينما كنت أفكر في مستقبلي المشؤوم المنتهي. ثم تابَعَتْ: «ماذا تفعل؟».

- كنت أستعد لصناعة روبوت من قطع الليجو للرجل الصغير، ولكن الآن كل ما يجول بخاطري هو مدى حماقتي.

- تلك بداية جيدة. كيف ستُحَسِّنُ من الوضع؟

- في ظني ألا طريقة أحسن بها الوضع. أتوجد طريقة؟ بل ما هنالك هو أني أحاول تحسين الأمر قدر استطاعتي بعد ما حدث.

- أما من شيء تريد التحدث عنه؟ أي شيء تحتاج إلى إخباري به؟

رددت: «ليس الليلة». قلت في نفسي: *ربما لن أخبركِ على الإطلاق*. طَنَّ هاتفي وهو على الأرضية بجواري.

- رُدَّ على مكالمتك، وبوسعك أن تخبرني غدًا.

ربما.

ثم أضافت: «أحبك بأي حال من الأحوال».

- أحبكِ بأي حال من الأحوال أيضًا.

ليبي

غادرت بايلي لما اقتربت الساعة من التاسعة، وكان الغضب لا يزال يعصف بي، لذا أخذت في الرقص هنيهة، ثم قررت أداء الواجب المنزلي. لذا، فقد أفرَغتُ محتويات حقيبة الظهر على سريري، وأخذت أرتب أوراقي، ومفكراتي، وأقلامي، وأغلفة العلكة، وكل القمامة المختلفة التي حشرتها في الحقيبة، بما في ذلك كتاب «لطالما عشنا في حصن»، الذي أصطحبه في كل مكان.

وجدت مظروفًا أبيض كبير الحجم مَخفيًا في الأغراض الفوضوية.

ما هذا؟

مزقته لأفتحه، وشرعت في القراءة.

أنا لَستُ بشخصٍ مؤذٍ، إلا إني على وشك فعل شيءٍ مؤذٍ.

في البداية خِلتُ أنه يزيف الأمر، فعاودت قراءة الرسالة، مرارًا وتكرارًا.

تعرفون كم يسهل الاعتقاد أن كل شيء يتعلق بشخصك، لا سيما عندما تسوء الأمور؟ *لِمَ أنا؟ لِمَ يتبعني الحظ الأكثر تَعَثُّرًا دومًا؟ لِمَ الكون وضيع إلى هذه الدرجة؟ لِمَ يكرهني الجميع؟* في بعض الأحيان اعتادت أمي القول إنه في الحقيقة يتعلق الأمر بالشخص الآخر، ويحدث أنك تكون حاضرًا فحسب. كأنه في بعض الأحيان يحتاج الشخص الآخر إلى تَعَلُّم درس، أو المرور

بتجربة ما، سواء كانت جيدة أو سيئة، ويقتصر وجودك على أن تكون عاملًا مُشتَرَكًا، مثل ممثل مساعد في أيٍّ كان المشهد الذي يؤديه.

عسى، وعسى فحسب، أن يكون هذا الكابوس يتعلق بجاك ماسيلين أكثر مما يتعلق بي. ولعل جل ما حدث يلقنه درسًا في طريقة التعامل مع الآخرين.

جلست وأخذت أفكر في الأمر هنيهة. كان هذا من دأب أمي، فقد كانت تنظر إلى الأمور من جميع النواحي، فقد كانت تؤمن أن الناس والمواقف لا تكون أبدًا إما أبيض وإما أسود.

بعد مرور عشر دقائق، رحت أقرأ كل ما وقع في طريقي حول عمى التعرف على الوجوه، مما قادني إلى فنان يُسمى تشاك كلوز[1]، وعالم الأعصاب والمؤلف أوليفر ساكس[2]، وبراد بيت، فجميعهم –وفقًا لما ورد على الإنترنت– يعانون عمى التعرف على الوجوه. أؤكد: براد بيت.

ماذا لو أن العالم أجمع كان يعاني عمى التعرف على الوجوه؟

لو كان الجميع يعاني عمى التعرف على الوجوه، فإنه سيكون هنالك أمل للأشخاص غير الجذابين. ولن يقول أحد: «أنت جميلة جدًّا بالنسبة إلى فتاة بدينة»، أو: «إنها جميلة بالنسبة إلى فتاة بدينة»، لأنه سينزوي الاهتمام بالمظاهر. هل سيبقى للناس اهتمام بما إذا كنت زائد الوزن أو نحيفًا للغاية؟ طويلًا أو قصيرًا؟ ربما. وربما لا. ولكنها ستكون خطوة في الاتجاه الصحيح.

كان يتحتم علينا في معسكر خسارة الوزن أن نضع أنفسنا موضع الآخرين، مثل أتيكوس وسكوت[3]: *لن تفهمي أحدهم فهمًا حقيقيًا حتى ترى الأمور من منظوره*، حتى *تتلبسي جلدهم وتمشي به*. الجلد مذهل على أي حال... أعني الطريقة التي يتمدد وينكمش بها. لقد اعتدتُ التفكير فيما أفعله الآن بمنظورين –هذا أكثر بمرتين–، وكان جلدي يسعني حينها كما يسعني الآن. غريب.

---

(1) فنان ورسام واقعي أمريكي (1940 - 2021). (المترجمة)

(2) طبيب أعصاب وكاتب إنجليزي (1933 - 2015). (المترجمة)

(3) أتيكوس وسكوت، من رواية أن تقتل طائرًا بريئًا، للكاتبة الأمريكية هاربر لي (1926 - 2016). (المترجمة)

حاولت أن أتلبس جلد جاك ماسيلين، وأخذتُ أتخيل ما يراه عندما ينظر إليَّ. هل أبدو له مختلفة –بطريقة ما– عن كل الآخرين؟ أم هل لا أختلف عنهم؟ ثم رحت أتخيل أني أنا المصابة بعمى التعرف على الوجوه. كيف *سيبدو لي العالم؟*

سحبت مستندًا جديدًا وكتبت:

السيد الفاضل جاك،

أشكرك لتبرير سلوكك الشائن، ولا أظن أن عمى التعرف على الوجوه يُخَوِّلُك أن تكون نذلًا. ولكني على الأقل سعيدة لأن الفساد لم يتغلغل إلى أعماقك. ربما هنالك أمَلٌ يُرجَى منك.

ليبي

ملحوظة: لدي أسئلة أود طرحها.

جاك

قال كام على الطرف الآخر من الهاتف: «أتمنى لو أنك رأيته، ذاك التعبير الذي ارتسم على وجهها عندما ألقيتَ بنفسك عليها وحوَّطتَها بذراعيك، ثم بعدما تمسكتَ بها ولم تُفلتها».

ضحكت ضحكة مُرغَمَة فاترة كأني مختنق، وقلت: «أظن أنها بدت مذهولة يا رجل».

- دهشة، مثل الفتاة في فيلم «سايكو» عندما قاطع نورمان بيتس استحمامها. إذن ماذا كان قول واسرمان؟
- أوه، كان يغمرها الحماس. الخدمة الاجتماعية، والتوجيه الإرشادي مدة أسابيع.
- تبًّا.
- أعرف.
- لكن الأمر استحق العناء.
- تقول إن الرجل لا ينبغي له فعل ذلك.

أخذ يضحك مجددًا، وقال: «ولكن تريث، الحال تتحسن».

بأفضل حال.

- أتذكر الفتاة التي أزالوها من منزلها منذ بضع سنوات؟
- ما شأنها؟
- تلك هي.

- مَنْ؟

- ليبي ستراوت، تلك هي مَنْ صارَعتَها.

شعرت كأني تلقيت لكمة في وجهي ثانيةً.

قلت: «هل أنت متأكد؟». وحاولتُ أن أبدو كأني لا أهتم، ولكن إليكم الأمر، أنا حقًّا أهتم، أهتم وأبالغ في الاهتمام، وهو السبب الذي يمنحني شعورًا بأني سأتقيأ على قطع الليجو هذه.

قال: «أوه، أنا متأكد». وأخذ يضحك.

ضحكت ضحكتي المختنقة ثانية، وبَدَت أسوأ هذه المرة.

- يبدو صوتك خشنًا يا رجل.

- أظن أنها قد كسرت حلقي.

- إذن هل تذكرتها؟

- أجل، تذكرتها.

***

كان الحي بالخارج ساكنًا بلا حراك، فتسلقتُ خارجًا من نافذتي إلى أعلى الشجرة التي كانت مثل سُلَّمٍ إلى السطح. تسللتُ إلى الأعلى على طولها، حتى وصلت إلى السطح، ثم مشيتُ إلى الحافة، التي كانت بجانب مجرى التصريف. وكانت محطة الأرصاد الجوية التي صنعتها مثبتة بالقرب من المدخنة، وكانت بالية وغير متوازنة. لما كنت في عمر السادسة، سقطتُ من فوق السطح وجرح رأسي. وتلقائيًّا، مددتُ يدي وتحسست الندبة.

مررت أصابعي عليها بينما أحدق إلى الشارع. إذا أطَلتُ الوقوف هنا مدة كافية، أمكَنَني رؤيتها، تلك الهوة الواسعة حيث كان يوجد الجدار الأمامي لمنزلها.

قبل ثلاث سنوات

راودني حلم بأن النار مُضرَمَة في الشارع، ثم أيقظني صوت صافرات الإنذار. فاستلقيتُ بلا حراك وأنصَتُّ إليها. كان الظلام حالكًا، ولكن على حين غرة، أخذ السقف يومض باللون الأحمر، وتوقف صوت الصافرات تدريجيًّا. وكنت قد تيقظت ونهضت من فراشي، وأخذتُ أحضر أغراضًا من الخزانة ذات الأدراج ومن فوق رف الكتب قبل حتى أن أعرف ما يجري.

وفي طريقي إلى الخروج، سقطتُ على رأسي في الممر، حيث سمعت صوت أبي دون أن أراه يقول وهو واقف عند تجاويف الحائط السوداء في غرفة نومه: «ليس نحن، عد إلى فراشك».

إلا إن الحلم الذي راودني كان حقيقيًّا جدًّا، حتى إني كنت لا أزال شبه موجود فيه، ثم واصلتُ سيري. كان الهواء بالخارج باردًا، لكن رائحته نقية، فلم تكن هناك نار ولا دخان. وظللت حاملًا الأغراض التي أحضرتها: ساعة جدي، ومثبت أسناني، وكومة من بطاقات كرة البيسبول، وشاحن هاتفي (غير أني لم أحضر الهاتف)، ولم يكن ثمة معطف بالتأكيد.

كان المنزل في الجهة المقابلة من الشارع. وقد وصل أمامه صف من شاحنات الإطفاء، وسيارة إسعاف، وسيارتا شرطة. خَمَّنتُ أن أهل المنزل مهربو مخدرات، أو أنه مختبر لصناعة الميث[1] وتعبئته، أو ربما حتى يضم إرهابيين. أظن أنه سيكون من الرائع حقًّا لو كان في شارعنا إرهابي، لأن آموس الواقعة في ولاية إنديانا مكان ممل للغاية.

(1) ميثامفيتامين، نوع من أنواع المخدرات. (المترجمة)

أتى صوت أمي من خلفي متسائلة: «بيت مَن هذا؟».

أتى صوت أبي: «آل ستورم، آل ستاين...».

صَحَّحَ لهما ماركوس، الذي كان في عمر الثانية عشرة ويقترب من السنة الثالثة عشرة ويعرف *كل شيء* قائلًا: «آل ستراوت».

قلت قبل أن يتمكن هو من الكلام: «لقد ارتحل آل ستراوت قبل سنوات. فلا قدم تدب في المنزل منذ حين، ولم نرَ أحدًا يدخل إلى المنزل أو يخرج منه».

قال أخي داستي الذي في عمر السابعة بينما يقفز على ساق واحدة: «لا، لم ينتقلوا، فقد ذهبت أنا وتامز الأسبوع الماضي إلى هناك، ونظرنا من النافذة».

هزت أمي رأسها وقالت مستنكرة: «داستي!».

- ماذا؟ أرَدنَا رؤية الفتاة البدينة.

- إننا لا نصف أحدًا بـ «البدين»، ليس هذا من الأدب.

- يقول المعلمون إن «بدين» صفة، شأنها شأن «جميل»، أو «وسيم»، ووحدهم الناس من منحوا الكلمة دلالة سيئة، بالقول: «اسمع أيها السمين»، أو «مهلًا، انظر إلى ذلك الشخص البدين».

عبست أمي في وجه أبي كأنها تقول: *أنت من أفسده*. فقال أبي لداستي بنبرة تحذيرية: «داستين!». غير أني شعرت أنه يحاول كتم ضحكته.

سألت: «هل هي السيدة باكلي؟». فرفع داستي نظره إليَّ، وكان لا يزال واقفًا على قدم واحدة، وأومأ بالإيجاب. ورددت عليه بإيماءة كذلك. وأردفت: «هذا صحيح، إذ السيدة باكلي امرأة كبيرة للغاية».

تنهدت أمي مستهجنة، ودائمًا ما تتنهد أمي، ثم قالت: «جاك! لنذهب. ارجعوا إلى الداخل، فالجو هنا بارد، وستذهبون إلى المدرسة في الصباح». لو لم نوقفها، كانت ستسرد قائمة تطول بالأسباب التي تضطرنا إلى الرحيل عن حديقة المنزل.

في تلك اللحظة أتت شاحنة إطفاء حرائق أخرى تطلق صفيرًا مدوِّيًا، وصافرتها تصدح بالإنذار، ثم أتت تلك الشاحنة البيضاء تتقدم ببطء من خلفها، وكانت تسحب رافعة.

رافعة.

راقبنا المشهد في صمت. أشعل رجال الإطفاء وأفراد الشرطة وعمال البناء –الذين انتشروا فجأة في كل مكان– أضواء كشافة عملاقة. كان الباب الأمامي للمنزل يُفتَحُ ويُغلَق، والناس يتحركون مثل النمل، وينطلقون مسرعين عبر الباحة، ويختفون في الداخل، ويسدون الشارع. والآن، صارت جميع الأضواء في الشارع مُضاءة، والحدائق المنزلية ممتلئة بالمتفرجين. وكنا نحن في الجهة المقابلة مباشرة من هذا المشهد كله، كأننا في مقاعد الصف الأول.

مشى رجل في اتجاهنا واضعًا يديه في جيبيه وهو ينظر بارتياب إلى كل تلك الجلبة، ثم قال لي: «أتصدق هذا؟»، ثم أومأ إليَّ تجاه المنزل.

قلت: «لا أصدق في الواقع». وقال أبي: «ظننت أن هذا المنزل لم يكن مسكونًا». كان يوجه كلامه إلى الرجل الذي اتخذ مكانًا بجانبه، ثم وقف كلاهما جنبًا إلى جنب يراقبان المشهد. جرى ذلك ببساطة بالغة، ما جعلني أظن معرفة أبي به. ثم بعدها، نَادَت أمي الرجل بجريج، وسألته عن ابنته جوسلين، التي في جامعة نوتردام، وتلك كانت الطريقة التي عرفت بها أنه السيد والاين، جارنا اللصيق.

ثم وقفتُ هناك، حيث كانت تُحيط بي شاحنات إطفاء الحرائق، والأضواء الكشافة، وتلك الرافعة الضخمة، وأخذت أتأمل في عقلي مليًّا، وكيف أنه مختلف بغرابة عن عقل ماركوس، أو عقل داستي، أو عقل كل مَنْ أعرفه. وإنه لمن المختلف بغرابة شديدة أنه على مدار السنوات الماضية كنت أكتب عنه، ليس عن قصة حياتي، ولكن كان شيئًا أشبه بيوميات عن *هذا أنا، وهذا معتقدي*، لأني أود فهم الطريقة التي تجري بها الأمور. فبعض العقول الأخرى بسيطة، وغير معقدة، وتتسع للسيد والاين، وابنته جوسلين، أما عقلي، فيبدو أنه قد خُلِقَ لأمورٍ أكبر من تلك: كرة البيسبول، الفيزياء، هندسة الطيران، أو حتى ربما رئيس البلاد. وهذا هو السبب الذي يجعلني أعزف عن مشاهدة الكثير من برامج التلفاز، والأفلام، وأقنع نفسي أن عقلي منشغل بالتفكير في أمور أهم من تتبع الشخصيات في الأفلام.

رحت أراقب المشهد بينما تصل سيارة أخبار إلى المكان وقد قَطَعَت الطريق من إنديانابوليس إلى هنا، وفكرت ثانية: *إرهابيون*. أعني، ما احتمالية أن يكون غير ذلك؟

ليبي

كان هو شعور المرء بالاختناق.

ما يجب أن يكون عليه الشعور بالشَّنق.

لقد انحرف عالمي عن مساره وأصبح خفيفًا طافيًا، وفي الحقيقة أشبه كثيرًا بالطفو في الفضاء. حاولت تحريك رأسي، أو ذراعَيَّ، أو ساقَيَّ، ولكني لم أقوَ على ذلك.

كانت أمي تقرأ لي في صغري تلك القصة التي تدور حول فتاة تعيش في حديقة، وكانت ممنوعة من تخطي الأسوار، فكانت الحديقة هي جُلُّ ما تعرفه، وبالنسبة إليها كانت الحديقة هي العالم أجمع.

رحت أفكر في تلك الفتاة الآن بينما أحاول التقاط أنفاسي. كنت أرى وجه أبي، غير أنه بدا كأنه بعيد عني قدر مئة عام[1]، وكأني أدور حول القمر وهو بالأسفل على كوكب الأرض، وكنت أحاول تذكر اسم القصة.

ثم باغتتني الحاجة إلى التذكر، وهي الحاجة نفسها التي تُلِحُّ على الأشخاص عند الموت، فيبدؤوا في الانزواء ما لم تنتبه إليهم. ولا يحدث الأمر مرة واحدة، بل يختفون جزءًا هنا وآخر هناك.

فكري.

كان الأب إيطاليًّا.

راباتشيني.

(1) تتحدث ليبي كأنها في الفضاء، فتعبر عن البعد بالمسافة الزمنية. (المترجمة)

ابنة راباتشيني.

أكان للفتاة اسم؟

حاولتُ رفع رأسي حتى أسأل أبي، ولكنه قال من بعيد من الأسفل: «ابقي مستلقية، المساعدة في طريقها يا ليبي».

قلت في نفسي: *لَستُ ليبي، بل ابنة راباتشيني. أنا هنا في حديقتي، وقد توقف العالم، وكذلك قلبي، وأنا والوحدة تغمرني.*

ثم سمعت شيئًا أعادني مجددًا إلى هذا الكوكب، وهذه المدينة، وهذا الحي، وهذا الشارع، وتلك الجدران الأربعة. صوت خراب الحديقة، صوت عالمي يتداعى.

جاك

في عمر الرابعة عشرة

بعد مُضِيٍّ خمس ساعات، كان سطح البيت قد حُطِّمَ باستخدام مجموعة من المطارق الثقيلة، والمناشير الدائرية. وكان عمال الطوارئ قد نصبوا سقالات، وجسرًا طويلًا واسعًا يصل إلى الأعلى عند الطابق الثاني. ورَكَّبوا قوائم داعمة حتى تمنع السقف من الانهيار. ولما طلعت الشمس، فَرَشوا هذا المشمع الأسود الذي حَوَّطوا المنزل به، بغرض الخصوصية في اعتقادي.

بدا واضحًا أن هنالك شيئًا يحتاج إلى الخروج من هناك، وأيًّا كان، فإنه كبير.

جلست على سطح بيتنا حتى أتمكن من الرؤية من فوق المشمع. كانت ثمة نقالة ضخمة -لا أدري بما تُسَمَّى غير ذلك- أخرجوها من الشاحنة وجروها على الجسر. وأخذ عمال الطوارئ يسرعون ذهابًا وإيابًا، وثَبَّتَت مجموعة منهم النقالة في مكانها، ثم راحت الرافعة تتقدم إلى الأمام وتمد خطافها في جوف المنزل.

بدأت الشجرة الموجودة بالخارج قرب نافذة غرفة نومي بالاهتزاز، ثم ظهر رأس. ثم تسلق هذا الفتى الصغير النحيل إلى الأعلى بجواري، ثم قال: «تَنَحَّ جانبًا».

أفسَحتُ له مكانًا، وجلسنا معًا هناك. وشاهدنا مخالب الرافعة وهي ترتفع خارجة من البيت وفي قبضتها ذراعان وساقان.

همس داستي متسائلًا: «أهي ميتة؟».

- لا أعرف.

ثم بدأت الذراعان تُلَوِّحَان، والساقان تركلان. كان المشهد مثل كينج كونغ وهو يُمسِكُ بآن دارو. فقلت: «ليست ميتة».

التَفَّت الرافعة في حركة دائرية، حتى صارت فوق الجسر، وفوق كل تلك السقالات، ثم انخفضت فوق النقالة. ثم تركت الرافعة بعناية بالغة، كأنها تلعب لعبة التقاط العصي الصغيرة، الذراعين والقدمين، حتى تبين لي أنها تخص الفتاة.

أضخم فتاة رأيتها في حياتي.

قال داستي: «لقد أخبرتك».

ليبي
في عمر الثالثة عشرة

كانت السماء ساطعة وبهية لدرجة تُعمي الأبصار، كأني لم أرَها من قبل. وأوه، بدت غاية في الجمال، وكنت على قيد الحياة! كنت على قيد الحياة! وإذا مت، فعلى الأقل قد شاهدتُ السماء بهذا المنظر، مصطبغة بالزرقة، وصافية، ومكتسية ثوبًا جديدًا.

كان صدري لا يزال منقبضًا، ولكن قد انبسط الانقباض بعض الشيء، هذا لأن هؤلاء الرجال والنساء اللطفاء موجودون هنا، وأنا لم أمت، ولن أموت في هذا المكان، في ذاك المنزل. وناهيك بقول إني لن أموت في الباحة، ولكن على الأقل كان الهواء مُنعِشًا، وبمقدوري التنفس، وثمة أشجار، وسماء، وطيور، وتلوح سحابة شبيهة بكُرَةٍ قطنية في الأفق، ويعبق المكان برائحة شيء ما، ربما كانت الأزهار. أردت أن أقول: *انظروا إليَّ يا دين وسام وكاس!* أنا هنا بالخارج مثلكم. ثم فكرت في كيف أنهم كانوا أصدقائي الوحيدين، حتى لو أنهم لم يعرفوا هذا. ويا إلهي، رحت أبكي ثانيةً. بعدها لا بد أني قد فقدت الوعي، لأنه لما أفَقت، وجدتُ الكدمات تنتشر في كل مكان من جسدي، وكنت في الجزء الخلفي من شاحنة ما، ليس حتى سيارة إسعاف مثل أي شخصٍ عادي. وحدقت إلى سطحٍ معدنيٍّ بالٍ بدلًا من المكتسي باللون الأزرق، فاعتراني شعور مباغت بالإهانة. كم عدد الأشخاص الذين تطلبهم الأمر حتى يخرجوني؟

حاولت سؤال أبي، الذي يجلس في الخلف ويستند إلى الجدار المعدني الذي يصدر صوت خشخشة ورأسه يهتز إلى الأعلى وإلى الأسفل، لكن عيناه

مغمضتان، ولم أجد فيَّ القدرة على الكلام. ثم فكرت فجأة: *ماذا لو لم أتحدث ثانيةً؟*

فتح أبي عينيه، ووجدني أحدق إليه، فابتسم، ولكن كانت ابتسامته واهنة. واشتد الانقباض في صدري أكثر فأكثر، ثم اعترتني رغبة أني لا أريد أن أكون هنا في هذه الشاحنة، بل أريد أن أكون في سريري، في غرفتي، في منزلي. لا أريد أن أكون بالخارج هنا، في هذا العالم.

أردت القول: خذني *إلى المنزل، أرجوك، لو كان تبقى من المنزل شيء.* ثم اعتراني شيء ما فجأة، كان هذا النوع من الشعور بالهدوء والسكينة، وكانت هي، كانت هي أمي. تنفستُ بوتيرةٍ أبطأ، حتى أجعل هذا الشعور يطول، حتى أجعلها تبقى معي. كانت وكأنها تقول: عيشي.. عيشي.. عيشي.. عيشي...

فكرت في الأمر قدر ما استطعت قبل أن يتحول كل شيء إلى السواد، وبينما أغفو تذكرت.

ابنة راباتشيني.

بياتريس.

كان اسمها بياتريس.

جاك

في عمر الرابعة عشرة

حين عدت من المدرسة إلى البيت ذاك اليوم، كانت هنالك سيارة أمن تقف أمام المنزل، والحارس كان يجلس في مقعد السائق، وبدا أن النوم قد غلبه. أخذت أتفقد المكان لأرى إذا ما كان هنالك أحد يراني، ثم توجهت إلى الداخل مباشرة.

كان يوجد فقط نصف غرفة معيشة، والأريكة كبيرة الحجم التي ترتخي عند المنتصف مثل الأرجوحة الشبكية. كما كانت ثمة صورة بداخل إطار مُلقاة على الأرض ووجهها إلى الأعلى لرجل وامرأة وفتاة صغيرة. بدت الفتاة بعيدة عن تركيز الصورة، ولكن يمكن القول إنها كانت تضحك. وبدت في الصورة طفلة بحجم طبيعي.

وكان المطبخ بالحجم العادي، وكان بوجه عام سليمًا كما هو، إلا من بعض الغبار البسيط. توجهت إلى الثلاجة أولًا، لأني لم أستطع مقاومة ذلك، فقد أردتُ أن أرى ما فيها. وقد توقعت أن أجد طعام وليمة من مقام الملك هنري الثامن، ولكنه كان طعام المرء الاعتيادي، فقد كان مؤلفًا من البيض، والحليب، وشرائح اللحوم الباردة، والجبن، ومياه غازية مخصصة للحميات الغذائية، وعصير. وكانت على الواجهة الخارجية للباب لوحة مغناطيسية تقول: أوهايو ترحب بكم.

تمشيت في سائر أنحاء المنزل، الذي كان أصغر من منزلنا، ولم يستغرق الأمر مني الكثير من الوقت حتى وجدت غرفة نومها. ورغم أن جزءًا من الجدار الأمامي للغرفة لم يكن موجودًا، فإني لم أدخل، لأن هذا فِعلٌ ينافي الاحترام، مستعيضًا عن ذلك بالوقوف في المدخل. كانت الجدران –تلك التي ما زالت

قائمة– بلونٍ أرجوانيٍّ فاتح، كما كانت هنالك أرفف كتب ترتفع من الأرضية إلى السقف على كل جدار من الجدران. وبدا كأن الكتب كانت ستنزلق عن الأرفف لكثرتها، وتستحوذ على الغرفة بأكملها، وربما المنزل بأكمله.

كان السرير أكثر ما يجذب الانتباه في الغرفة، ويبدو أنه قد صُنِعَ خصوصًا. وهو سرير بالحجم الكبير، ويستحوذ على المساحة الفارغة بأكملها. وارتكز على تلك المنصة المعدنية، الفولاذية؟ وبجانبه توجد فردة خف واحدة. وأكثر ما جذب انتباهي هو الخف، فقد كان رقيقًا للغاية، كأنما قد صُنِعَ لفتاة في عمر داستي. والشراشف مرسومة عليها زهور الأقحوان، وكانت مترامية في سائر الأنحاء، كأنما قد عصف بها إعصار. وإحدى الوسادات مرمية على الأرضية، وكومة من الكتب موضوعة بجوار السرير. واستغرق الأمر مني لحظة لأستوعب أن تلك الكتب ما هي إلا ست نسخ من الكتاب نفسه: «لطالما عشنا في حصن»، لشيرلي جاكسون، مع اختلاف تجليد كل كتاب. قلت في سري: *لا بد أنها متيمة بهذا الكتاب.*

حاولت في مغادرتي المكان ألا ألمس شيئًا، ما عدا نسخة واحدة من كتاب شارلي جاكسون، واللوحة المغناطسية المكتوب عليها أوهايو، اللتين أخذتهما، ولا أعرف لِمَا فعلت. ربما يمنحني هذا شعورًا بالقرب أكثر إلى الفتاة التي تقطن هذا البيت. وكان بالخارج الحارس لا يزال نائمًا، فطرقتُ على الزجاج حتى أوقظه. ولما أنزَلَ زجاج النافذة، قلت له: «ابقَ يَقِظًا يا صاح. تخيل أن كل ما يملكونه موجود في هذا المنزل، ويكفيهم ما مروا به من بلاء حتى ينهبه السارقون». وبالطبع، الكتاب واللوحة المغناطيسية لا يُحتَسَبان.

***

طرقتُ على باب غرفة ماركوس ثم دخلت. كانت جدران غرفته مغطاة بالملصقات، أغلبها للاعبي كرة السلة. وكانت هنالك سلة كرة مُلصَقَة بباب الخزانة. وتكور فَتًى طويلٌ هزيل ذو شعر أشعث على الأرضية أمام الحاسوب، وكان يلعب لعبة فيديو، كانت من نوع أطلق النار على الجميع وفَجِّر الأشياء كلها.

وأخذتُ أفعلُ ما دأبت عليه: البحث عن علامات تدل على أن هذا أخي. الذقن المستدق، والشعر الأشعث، وسحنته الكئيبة. بحثت عن الملامح وجمعتها معًا، هذا لأن تلك هي الطريقة التي أستدل بها عليه.

- أيمكنني أن أطرح عليك سؤالًا؟

قال ولم ينقل عينيه عن الشاشة: «ماذا؟».

- كيف تُجيدُ تذكر الناس؟ كيف تفرقهم عن بعضهم؟

- ماذا؟

- فكر في سكوينتي.

- اسمها باتريس.

- أيًا كان، باتريس. كيف تتعرف عليها من وسط حشد ما من الناس؟

- إنها حبيبتي.

- أعرف أنها حبيبتك.

- أتعرف ما الذي قد تفعله بي إن لم أميزها من وسط حشد من الناس؟

- أجل، ولكن ما السِّمة الموجودة فيها التي تُعَرِّفك أنها هي؟

أَوقف اللعبة، ثم حدق إليَّ مدة دقيقة كاملة تقريبًا، ثم قال: «أنظرُ إليها فحسب. أعرفها فحسب. ما خطبك؟ أجُنِنت؟».

تحول نظري عنه إلى الجدران المغطاة بصور لاعبي كرة السلة. وتحركت فيَّ الرغبة في أن أسأله إن كان يقدر على التفريق بينهم دون أرقام قمصانهم الرياضية، أو الأسماء الموجودة على ظهر القمصان. ولما رجعت بنظري إليه ثانيةً، كان لا يزال يحدق إليَّ، فوجدته وقد تبدلت ملامحه، فغدا بالنسبة إليَّ جديدًا كليًا. قلت: «لا عليك، أنا أمازحك فحسب».

***

قَفَلتُ راجعًا إلى غرفتي، ثم أخرجتُ كراسة الإنشاء القديمة التي أُبقي عليها مُخَبَّأَةً في درج، وبدأت أقلب صفحاتها، ففي هذه الكراسة أُرَتِّبُ المشاريع التي أصنعها؛ أرسمها وأخطط لها. ولكن تتخلل عمليات العصف الذهني، والرسومات، والمخططات، وقوائم المواد المطلوبة فقرات، مثل:

ذهبت إلى مطعم كلارا للبيتزا مع العائلة، وتُهت في عودتي من الحمام. وقد استغرق الأمر مني هنيهة حتى أجدهم. ثم أشار إليَّ أبي أخيرًا لأذهب حيث هم.

كنت مُرهَقًا بعد مباراة يوم السبت (لقد فزنا بالأشواط المباشرة) حتى إني لم أتعرف على ديماريو رينيس لما جاء يهنئني.

في كل بضع صفحات، وفي كل مدخل بعد الآخر، لم يكن يوجد شيء مهم أو يجذب الانتباه حتى تبدأ في إضافته. وبينما كنت أقرؤها، تَلَبَّسَني شعورٌ كأني التَحَفتُ به، ولكنه لم يكن ذاك اللحاف الدافئ ولا المريح، بل كان كأنه أشبه كثيرًا بلحافٍ سميكٍ خشنٍ وشائك أُلقيَ فوق الرأس قبل أن تُدفَعَ إلى صندوق السيارة.

هنالك خَطبٌ ما بي.

ومن بين كل الناس في العالم، شعرتُ أن الفتاة وحدها مَنْ ستفهم. وقبعت هنالك طوال الليلة أقول في نفسي: *أتمنى أن* تنجو. ورغم أن الأخبار حجبت هويتها، وكل ما عرفته هو لقبها، كتبتُ إليها خطابًا لأخبرها بهذا، ثم دَسَستُه بين صفحات كتابها المفضل، ثم دخلت على الإنترنت لأجد عنوان المراسلة البريدية للمستشفى المحلي.

ليبي
في عمر الثالثة عشرة

كان الطبيب وايس طويلًا ونحيفًا، وتتعذر عليه زيادة وزنه إن حاول ذلك، وكان ينتابه قلق حيال محاولتي الانتحار، لذا قلت له: «إذا ما أردت الانتحار، فهناك طرق أسرع».

وقف الطبيب بجانب سريري في المستشفى عاقدًا ذراعيه ويرتسم على وجهه تعبير يصعب فهمه؛ يفعل هذا الشيء الذي يجمع بين الابتسام والعبوس في الوقت ذاته. ثم قال: «قال والدكِ إنكِ كُنتِ حبيسة المنزل مدة ستة أشهر».

- يعتمد هذا على الوقت الذي تبدأ فيه حساب المدة، فمدة خمسة أشهر وأربعة وعشرين يومًا، كنت ضخمة كفاية حتى أعبر من الباب، ولكن يومي الدراسي الأخير في المدرسة كان منذ عامين.
- هنالك شيئان مهمان يجب علينا فهمهما هنا: لِمَ تُصابين بنوبات الهلع، ولِمَ زاد وزنكِ. ستكون هذه عملية لها مراحل عدة، وستتطلب الوقت، ولكننا نحاول أن نرد إليكِ صحتكِ ثانيةً.

نظرت إلى أبي في المقعد قبالتي، إذ يعرف هو مثلي تمامًا السبب الحقيقي. لقد تغير كل شيء منذ سن العاشرة، كان التنمر، والخوف، خوف شديد من كل شيء. ولكن أشد ما كنت أخافه هو الموت، الموت المفاجئ المباغت. وكذلك رهبتي أنا من الحياة، إنه الخواء الشاسع في صدري. إنه يطال وجهي، أو جلدي، ولا يُشعِرُني بشيء. هذا هو سبب مكوثي في المنزل في المقام الأول، وكذلك سبب نَهَمي، وسبب انتهاء الأمر بوجودي هنا. ولكن كل هذا لا يعني أني أرغب في الموت.

***

يوم خروجي من المستشفى، أحضرت إليَّ الممرضة طردًا غير مدون عليه عنوان المرسل. وكان يرسل إليَّ أغلب الآخرين خطابات، لا طرودًا، وهو السبب الوحيد الذي دفعني إلى فتحه، فضلًا عن أن أبي ليس هنا ليسلبني إياه.

بداخل الطرد رسالة صغيرة مكتوبة بخط اليد دون اسم أو توقيع، بالإضافة إلى نسخة من كتابي المفضل. واحدة من نُسَخِي الخاصة الفعلية من كتابي المفضل، وحروف اسمي الأولية على الغلاف، وتظليلاتي في كل الكتاب.

ظننت أنكِ قد تحتاجين إلى هذا. وبخلاف الخطابات الأخرى، كان هذا الخطاب لطيفًا. *أردتكِ أن تعرفي أني أدعمكِ.* أول مرة منذ وقت طويل، تحسست جلدي، وراودني شعور بشيء ما.

لما وصلت ريتشل ميندز -المعلمة الخاصة ومقدمة الرعاية- وضعت الكتاب وأخبرتها بالشيء الذي لطالما أردت قوله، ولكن لن يصغي إليه أحد. ففتحت أحد مقالات الأخبار على هاتفي الجديد، هاتفي الأول، ذاك الذي اشتراه لي أبي حتى أستطيع الاتصال به إذا ما احتجت إلى شيء.

كَبَّرتُ صورتي التي التُقِطَت في اليوم الذي أُنقِذتُ فيه من المنزل. قلت لريتشل: «تلك الفتاة... ليس هذا ما أبدو عليه، هذه ليست أنا». وشعرت بأن ريتشل ستتفهم هذا، إذ قد مرت بتجارب مماثلة طوال فترة دراستها في المدرسة الثانوية.

كررت القول ثانية: «هذه ليست أنا».

لمعت عيناها، وقالت: «عظيم، لِنَرَ إذا ما كنا سنجدك».

الآن

ليبي

فتحت الخزانة عن آخرها قبل الحصة الأولى، وطار منها شيء ثم استقر على حذائي. كانت قطعة من الورق مطوية في ثلاث طيات. حدقت إليها لوهلة، لأنه من واقع تجربتي، فإن الأوراق المطوية في ثلاث طيات ليست بالشيء المُبَشِّر.

التقطتها أخيرًا وفتحتها داخل الخزانة، حيث لا يمكن لأحد رؤيتها.

إنقاذ أسمن مراهقة في أمريكا من منزلها

كانت مقالة من الإنترنت، وكنت موجودة فيها، في صورة مغبشة، بينما يدفعني عمال الطوارئ على عجلات في الحديقة الأمامية.

في الجانب الآخر من المقالة، كانت توجد صورة كبيرة لوجهي الكبير، التُقِطَت أمس بينما كنت في الكافتيريا. وبجانبها كتب أحدهم: تهانينا على ترشيحك لأسمن مراهقة في مدرسة مارتن فان بورين الثانوية!

أغلقت الباب، وأسندت جبهتي إلى السطح المعدني للخزانة، لأن الحرارة أخذت تسري في رأسي وشعرت بالدوار، وهو ما تبدأ به في بعض الأحيان. *أهذا ما شعرتْ به يوم أن ذهبت بسيارتها إلى المستشفى؟ أهذه هي الطريقة التي بدأ بها الأمر معها؟*

هَدَّأ السطح المعدني من روعي مدة ثانية فحسب، ثم بعدها أصبح أسخن من جلدي، وانتابني القلق من أنني سأحرق نفسي. ركزت على رفع رأسي

إلى أن انتصب قائمًا فوق رقبتي ثانية. وراح الممر يتأرجح، ففتحت باب الخزانة، ورَكّزتُ على شماعة المعاطف، والكتب، وركني الصغير في الكون. ثم تنفست.

***

في الحصة الأولى، كان مايك القادم من كوبنهاجن يتحدث إليَّ، ولكني كنت منشغلة عن الإنصات له؛ كنت أكتب خطاب ترك المدرسة.

السيدة الفاضلة المديرة واسرمان،

أشكركِ شكرًا جزيلًا على هذه الفرصة في المدرسة، ولكني للأسف ليس بوسعي الاستمرار في مدرسة مارتن فان بورين الثانوية، لأنها تفيض بالبُلْه.

ولكني شطبت على هذا، ثم كتبت:

بسبب التفشي المؤسف للبُلْه.

التفشي المؤسف للبلاهة؟

سألتُ مايك القادم من كوبنهاجن: «أيهما لها وقع أفضل بالنسبة إليك؟ بسبب: التفشي المؤسف للبُلْه؟ أم التفشي المؤسف للبلاهة؟».

ضحك، فطوَّقَت جانِبَي عينيه تجاعيد كأشعة الشمس، وقال: «ليبي ستراوت، أنتِ أبهَرتِني. أنتِ تعجبينني للغاية».

هنالك شخصٌ واحد أخيرًا.

وقدر ما مر عليَّ من الأيام، كان هذا أسوأ يوم على الإطلاق.

أتظن التحرش بالنساء مضحكًا؟

أتظن التنمر مضحكًا؟

اضطرابات الشهية ليست مضحكة أيها الأحمق.

وأردت قول: *إن الداعي الرئيسي الذي دفعني إلى القيام بهذا لم يكن لإثارة غضبكم أيها الناس.*

وكثيرًا ما سمعت:

كان هذا مضحكًا للغاية. أنت لا تهاب شيئًا يا رجل.

أحسنت يا صاح. أنت رائع.

وأيضًا:

شفة جميلة يا ماس. كيف كان يبدو الرجل الآخر؟ أوه، مهلًا، الفتاة الأخرى.

أهلًا يا ماسيلين، لا تُغضب [اكتب اسم فتاة نحيفة في السنة الأولى]، فقد تُبرحك ضربًا.

والجانب الجيد في الأمر هو أني لا أستطيع تحديد مَن يصرخ عليَّ بالكلام بينما يمرون بي في الممر.

بين الحصتين الأولى والثانية أمسكت كارولاين لاشامب بيدي، ولما صرخ عليَّ أحدهم، قالت: دعك منهم.

فعلى حين غرة غدت كارولاين اللطيفة التي كانت عليها منذ سنوات مضت، وركزتُ على ملمس يدها في يدي.

ليبي

ظهر العديد من المقالات المطبوعة في خزانتي طوال اليوم. حاولتُ أن أقنع نفسي بالنظر إلى الجانب الإيجابي من الموضوع، ألا وهو أن زملائي يستخدمون الإنترنت في غرضٍ آخر غير تصفح وسائل التواصل الاجتماعي والمواد غير اللائقة. ولكن في الواقع ليست ثمة مواساة كبيرة في هذا. وبحلول الحصة الرابعة، اتضح أن الجميع –حتى عمال النظافة– قد عرفوني باسم الفتاة التي أزالوها من منزلها. لقد كنت أنا نسخة ماري تيفوئيد[1] في مدرسة ولاية إنديانا الثانوية، فكنت أجلس وحدي في كل فصل، كأن السمنة مرض مُعدٍ.

منذ فترة طويلة، لما كانت تصل إليَّ رسائل الكراهية عبر البريد الإلكتروني، تحدث أبي إلى أحد المحامين، الذي نصحنا بأن نتريث قليلًا، في حالة لو حدث شيء مروع، كأنْ أُقتل مثلًا. في هذه الحالة سيكون ثمة دليل مستندي لوجود مشتبه بهم مُحتَمَلين.

المراسل الإخباري: هل تشعرين بالقلق؟ أتخافين على سلامتك؟

أنا: أتعلم؟ أنا سعيدة لأنك طرحت هذا السؤال، وربما يجب أن أكون فزعة في اللحظة الحالية. ولكن في الحقيقة أظن أن الأشخاص الذين يكتبون تلك الخطابات يستحقون الإشفاق عليهم بدلًا من الخوف منهم. ومن واقع خبرتي،

---

(1) ماري مالون طاهية أيرلندية عاشت في أمريكا تعمل في خدمة الطهو للعائلات، وأُطلِقَ عليها هذا الاسم لأنها كانت حاملة لعدوى حُمَّى التيفوئيد دون ظهور الأعراض عليها، مما أودى بحياة الكثير ممَّن قدمت لهم الطعام. (المترجمة)

فإن أخوَفَ الأشخاص هم أولئك الذين يستترون وراء الكلمات الحقيرة والمُهَدِّدة.

دسست المقالات في حقيبة ظهري، ولا أظن أن أحدًا في مدرسة مارتن فان بورين يعزم على قتلي، إلا إنه لا يمكن للمرء أن ينعم بالأمان المطلق.

***

عدت إلى الكافتيريا، رغم أن هذا هو آخر مكان على وجه البسيطة أريد أن أكون فيه. دخلت إليها، فاستدار نحوي ستمئة رأس مرة واحدة، وبدأ ستمئة فم بالغمغمة، وتبعتني ألف ومئتا عين بينما أمشي. شعرت بأنفاسي كأنها سفينة مهجورة، ويصدح منها صوت يقول: *عليكم أنفسكم!* نتمنى *لكم حظًا سعيدًا، أنتم وحدكم.* تقدمت منقطعة الأنفاس، وأخذت أخطو خطوة واحدة، ثم خطوتين، ثم ثلاث خطوات. ورحت أعدها كما علمني المدربون والمرشدون النفسيون.

قطعت الطريق قدر سَبعٍ وثلاثين خطوة إلى الطاولة المستديرة حذو النافذة، حيث كانت تجلس آيريس، وبايلي، وجافي دي كاسترو. تشبثت بظهر الكرسي، وبدا شديد الصلابة ويمنح شعورًا بالراحة، حتى إني كدت أظل واقفة، ممسكةً إياه بكل ما أُوتيتُ من قوة. ثم بعدها هبطت جالسةً على الكرسي، وقلت: «حسنًا، كان هذا مسليًا».

ردت بايلي بصوت منخفض لأن الناس من حولنا يحاولون التنصت في حقيقة الأمر: «معرفتي بجاك ماسيلين تمتد منذ أن كنا في الصف السابع، ويصعب عليَّ تصديق أنه قد يفعل هذا. حسنًا، أعني أنه ليس بالطالب المثالي، وقد كانت هنالك تلك المرة في السنة الثالثة -السنة الثالثة له، والسنة الثانية لنا- عندما اختطف هو وديف كامينسكي طالبًا من السنة الأولى، وحَبَساه على السطح خارج حمام الفتيان في الطابق الثاني...».

هزت جايفي رأسها، فأصدرت تسريحة شعرها القصيرة صوت حفيف، ثم قالت: «والت كايسي، والت المسكين».

تجمدت آيريس بينما ترتشف رشفة من مشروبها، وسألت: «ما خطب والت؟».

قالت جايفي: «إنه في حالة... غير سوية». وعبست في الاتجاه المقابل من الكافيتريا، ناحية فتى أظن أنه والت كايسي المسكين، وكان يجلس وحده. وكأنما كان يحاول إثبات وجهة نظرها، أخذ يعبث بأنفه.

واصلت بايلي الحديث على الوتيرة نفسها، وقالت: «ولكني أقصد... لو أنكِ أخبرتِني بشيء شبيهٍ بما حدث، وطَلَبتِ مني تخمين الفاعل، فلم يكن ليخطر ببالي أنه جاك ماسيلين، مطلقًا. فقد كان سيخطر ببالي أشخاص آخرون قبل أن يخطر هو ببالي. ديف كامينسكي مثلًا، وكذلك سيث باول. والأخوان هانت، بالطبع، وريد يونج، وشين أوغوز، وستيرلنج إيمري...». وتابعت بلا انقطاع، ذاكرةً أسماء كل الفتيان الذين وردوا في تاريخ الكون كله.

- أظن أنه في غاية الأسف بسبب فعلته.

نظرن جميعًا إليَّ.

- كان فعلًا متهورًا، فقد اقترف هذه الحماقة وينتابه شعور سيئ حيال الأمر.

سألت آيريس: «أتدافعين عنه؟».

- أنا أتلبس جلده وأضع نفسي مكانه فحسب.

قالت جايفي: «أتيكوس فينش». ثم رفعت يدها لنضرب كفينا، وأردفت: «لو كانت أنا مَن فعل هذا بها، لكنت اغتلته كنينجا محترف». كانت جايفي ستغتال أيَّ أحد يغضبها مثل نينجا محترف.

نظرتُ تجاه بايلي مباشرة، وسألت: «ألم تقترفن شيئًا ندمتن عليه؟».

قالت جايفي: «هل الصورة المدرسية للعام الماضي في الحسبان؟». أخذت أقلب في طعامي -ذاك الغداء الذي أعده أبي بعناية- ثم دفعته جانبًا، فلم أكن أشتهي الأكل، خصوصًا في هذا المكان الذي راح يحدق إليَّ جميع من فيه. ثم سَأَلَت آيريس: «أسمعتِ بتيري كولينز؟ إنها ستنتقل إلى مينيسوتا».

أخذ شعر جايفي يصدر صوت حفيف، وقالت: «تيري المسكينة».

سألت: «هي عضوة حالية في نادي الفتيات، أليس كذلك؟».

رفعت جايفي إصبعها مصححة، وقالت: «كانت كذلك».

جاك

في الكافتيريا، لم يسع كام، وسيث، والحمقى الآخرين ممَّن أسميتهم الأصدقاء الحديث عن شيء آخر. فراح سيث يحكي سردًا مُفَصَّلًا لمن فاتته مشاهدة الأمر.

وهتف أحد الحمقى: «تبًّا يا ماس». ويمكن للمرء تمييز نبرة الإعجاب في صوته، ورؤية علامته ترتسم على وجهه.

رفعت جانبًا واحدًا من فمي كأني لا أبالي أبدًا حتى بمجرد الابتسام، ورفعت يدي كأني أقول: *أيًّا يكن يا رجل، هذا هو دأبي*. ثم قلت: «هذا هو السبب فيما أنا عليه، وفيما أنت عليه يا عزيزي». ثم ضربت كفي بكف سيث، وعدت لمراقبة الفتاة الضخمة الجالسة بجوار النافذة، التي أنا على يقين بأنها ليبي ستراوت.

وفي لحظة من اللحظات، شعرت أن كام يحدق إلي، فسألته: «إلام تنظر؟».

- لا شيء.

ثم استدار ونظر تجاه النافذة، وظل ناظرًا إلى هناك ثواني معدودة، ثم استدار تجاهي ثانية.

- أتعرف؟ في بعض الأحيان يصعب عليَّ فهمك. هل أنت أحمق مثل بقيتنا؟ أم إن هنالك قلبًا ينبض في صدرك غير مكتمل النمو؟

ابتسمت ابتسامة زائفة، وقلت: «لا يمكنني أن أكون بالقدر نفسه من الحماقة مثل بقيتكم».

وهذا هو سبب حبي لكام، على الرغم مما هو عليه. فهو ليس أحمق، وربما يغدو شخصًا لطيفًا يومًا ما، ربما بعد خمس عشرة أو عشرين سنة من الآن. ما قد لا ينطبق على بقيتهم.

راح سيث والبقية يهنئونني على فعلي المضحك للغاية. وشعرت بمدى صغري حين أتت فتاة إلى حيث أجلس، وتبعتها مجموعة من الفتيات اللاتي بدا أن لهن السحنة نفسها، التي كانت مؤلفة من الشعر نفسه، وملمع الشفاه نفسه، والملابس نفسها، والأجسام نفسها. ثم قالت قائدة المجموعة: «لِمَ لا تتخير شخصًا من حجمك يا جاك ماسيلين؟»، ثم أفرغت زجاجة شاي دايت سنابل فوق رأسي.

ثم صرخ أحدهم قائلًا: «إلا الشعر! أي شيء آخر إلا الشعر!». ثم توالت الضحكات.

هَبَبْتُ واقفًا بينما تتساقط قطرات المشروب مني في كل مكان وقد راح الناس يهتفون بفرح. واندفعت الفتاة مبتعدة، فقال لي كام: «إن تخيرتَ من الناس من هم من حجمك، فأخشى أنك ستقتصر على طلاب السنة الأولى». ثم أخرج زجاجته وفتح غطاءها، و-للمرة الأولى- قدمها لي لأشرب منها.

أتى صوت امرأة من فوق كتفي قائلًا: «آمل أن يكون هذا عصير برتقال».

أخذت أنظر إلى كام، فقال: «بالطبع يا سيدة تشابمان، فلا تقتصر أهمية فيتامين سي على نمونا فحسب، بل يقِينا داء الإسقربوط[1] كذلك».

هزت السيدة تشابمان رأسها تجاه كام، ثم -على مرأى ومسمع من الجميع- التفتتْ إليَّ وقالت: «حرصت على الاطمئنان عليك». وراحت تنظر بتمعن إلى ملابسي المبتلة، ومشروب دايت سنابل المتجمع في شكل بركة عند قدمي.

- أنا في أفضل حال، أشكرك.

فقالت: «أعرف أن اليوم لن يكون سهلًا عليك». وعرفانًا لها، فقد خَفَضت صوتها، ولكن هذا فاقم الأمر، إذ بدا كأنها تحوك مؤامرة معي، كما لو أننا شخصان بيننا الأسرار. وأردَفَتْ: «إن أكثر ما يجتمع عليه الناس هو إصدار أحكام على الآخرين، وحتى لو اقترف المرء خطأ ما، فلا يبرر هذا الخطأ إصدار تلك الأحكام...».

وفي تلك النقطة تحديدًا، كانت تتحدث عن نفسها، وليس عني. وشعرت أن الرباط المطاطي الذي يُحكِمُ الضغط على قلبي البارد الميت قد انقطع إلى نصفين. ودون أن أنبس بكلمة، خرجت من هناك.

(1) مرض ينتج عن نقص فيتامين سي. (المترجمة)

ليبي

هرعت إلى الخارج حيث الهواء المنعش، وزفرت كل أنفاسي التي حبستها على مدار الساعة الماضية. وكنت كَمَن يقول: *لقد عُدتِ إلى مسرح الجريمة ونَجَوتِ*. والآن بمقدوري التنفس ثانية. كانت أنفاسي تتسارع، وشعرت بالدُّوار من كَمٍّ الأكسجين المتدفق إلى رئتيَّ ودماغي. وكان مهمًّا أن أحافظ على انخفاض ضغط دمي وثباته، إذ إن هذا يُعَدُّ مسألة حياة أو موت. أنا جادة، حياة أو موت، لأن تلك هي الطريقة التي قد يبدأ بها الأمر: ارتفاع في ضغط الدم، يتبعه دوار، يتبعه وداعًا يا ليبي.

يمكن أن تتوارثه العائلات.

وبما أن هذه الفكرة قد خطرت ببالي، رجعت بي آلة الزمن الموجودة في رأسي فورًا إلى ذاك اليوم. كنت أقف حذو سرير أمي، وكنت أتساءل كيف يحدث أمر مثل هذا، وجودها، هي، فاقدة الوعي في ذاك السرير.

قال أبي في طريقنا إلى المستشفى: «تغشاها السكينة، كأنها نائمة».

في غرفة العناية المركزة، كانت أمي مُوصَّلَةً بجميع الأنابيب والأسلاك، وكان ثمة جهاز يساعدها على التنفس. لم تكن بيدي حيلة، لذا جلست بجانبها وأمسكت يدها. وكانت أمي لا تزال دافئة، ولكن لم يكن الدفء الذي اعتدت شعوره معها. ضغطت على أصابعها، ولكني لم أشدد في الضغط عليها، إذ إني لا أريد التسبب لها في الألم. وكان رأسها راجعًا إلى الوراء، وعيناها مفتوحتين، كأنها كانت تستيقظ لتوها. ولم تبدُ عليها السكينة، بل بدت خاوية.

قلت: «أنا هنا. رجاءً لا ترحلي. رجاءً ابقي. استيقظي. رجاءً، استيقظي. رجاءً لا تتركيني. أرجوكِ. أرجوكِ. أرجوكِ. لو أني أتمنى لأحد أن يعود، فهو

أنتِ. رجاءً عودي. رجاءً لا ترحلي. لا تتركيني وحدي». لأنها لو غادرت، فلن يكون لوجودي معنى.

خارج أسوار المدرسة، اصطبغت السماء بخليط من الزرقة والبياض، ولكن الهواء البارد كان كلفحة على بشرتي شديدة السخونة.

أخرجتُ قلم خطاط من حقيبتي، وعثرتُ على مساحةٍ فارغة على إحدى فَردَتَي حذائي، فكتبت: «كل ما عليكِ هو أن ترفعي رأسكِ عاليًا وترخي قبضتيكِ». (أن تقتل طائرًا بريئًا، هاربر لي). أقنعت عقلي بالتركيز على الجانب الجيد، حقيقة أنه لم يحاول أحد أن يعاملني كثور في مصارعة الثيران في الكافتيريا اليوم، وحقيقة أنه على ما يبدو قد صار لدي ثلاثة أصدقاء في العالم الواقعي، وحقيقة أن تيري كولينز كانت ستنتقل إلى مينيسوتا، وسيحتاج فريق الفتيات الاستعراضي إلى الإتيان ببديل لها. ولكن على ما يبدو، لا يمكنني إغفال الشعور بأن الجميع ينتمي إلى هذا المكان عداي.

فكرت في ماري كاثرين بلاكوود، من كتاب «لطالما عشنا في حصن»، فدائمًا ما أحببتها وشعرت بالأسى عليها، لأنها مريبة، وغريبة الأطوار، مثلي تمامًا، و–كما أقنعتُ نفسي– أُسيء فهمها. ولكن اعتراني ذاك الشعور المُقلِق وكأن ثمة حقيقة محرجة، كأنما ربما كنت مخطئة. ربما بقاؤها حبيسة بعيدة عن بقية العالم كان أفضل. وربما لم تُخلق للعيش مثل الآخرين بعضهم مع بعض. ربما كان هذا المنزل مسكنها الأبدي المناسب.

جاك

من وسط جموع الناس، لمحت تلك الفتاة شديدة الضخامة تأتي نحوي، وكانت هي، ليبي ستراوت. وكانت هنالك مجموعة من الفتيات يدفعن بعضهن بعضًا بمرافقهن. ورغم أنهن كُنَّ يتهامسن، فإنه تسنى لي سماعهن يذكرن شيئًا حول مصارعة الفتيات البدينات. ورحن يحدقن إلى ليبي، وكانت تلك هي اللحظة التي أدركت فيها الأمر فجأة ومباشرة. هذا ما جلبته عليها، فقد رسمت على ظهرها هدفًا أحمر كبيرًا.

وبينما يحدقن ببلاهة، توقفتْ أمامي وناولتني رسالة صغيرة، ثم قالت: «تفَضَّل». انتابت الفتيات نوبة ضحك بعدما سَمِعنَها، وكان بمقدوري سماعهن وهن ينسجن الشائعات.

ليبي

بعد المدرسة، نزلت خارجة من الممر الرئيسي إلى الطابق الأول المقزز، وهو المكان الذي يقع فيه ملعب كرة السلة القديم، ذاك الذي استخدموه منذ سنوات، قبل أن يبنوا مُجَمعًا رياضيًا بتكلفة مليون دولار، يسع عشرة آلاف شخص. كان جاك ماسيلين يميل إلى الخلف مستندًا إلى المدرجات، بينما يمدد ساقيه أمامه، واستند بمرفقيه إلى قائمة المدرج خلفه. وكان يتجاذب أطراف الحديث مع ترافيس كيرنز، من دورة تعليم القيادة، وفتاة تعلو وجهها ابتسامة ولها شعرٌ بنيٌّ طويل، وفتى له رأس أملس حليق، وهو في اعتقادي كيشوان برايس، نجم من نجوم كرة السلة. وكانوا ينصتون بعناية لكل كلمة يتفوه بها جاك ماسيلين. ثم رفع جاك بصره ورآني، وبعدها تابع حديثه.

أو ربما لم يَرَني، رغم أني أضخم فتاة موجودة هنا.

جلست بمعزل عنهم، في الصف الأول. قد تسع صالة الألعاب الرياضية هذه نحو ستة آلاف، وهنالك شيء متعلق بها يبث شعورًا بالحزن، والإهمال، وهو ما كان كذلك بالطبع. وازداد شعوري بعدم وجودي كلما أتت ضحكة من المجموعة التي فوقي في المدرج. ودخل فتى وفتاة آخران، ولكني لم أكن أعرف اسميهما، فجلست الفتاة بجواري، يفصل بيني وبينها قدر قدم، وجلس الفتى على بعد صف واحد أعلى مني. مالت الفتاة تجاهي وقالت: «أنا مادي».

- ليبي.

- أتلك هي حلقة المحادثة؟

ثم دخل السيد ليفين في تلك اللحظة يمشي على مهل، وقال: «مرحبًا، مرحبًا. أشكركم على حضوركم اليوم هنا». ثم توقف أمام المدرجات واضعًا

يديه في خصره. وكان يضع ربطة عنق فراشيَّة برتقالية اللون، وينتعل حذاءً برتقاليًا مماثلًا في اللون، وعدا شعره الرمادي، بدا أنه قد يكون واحدًا منا.

قال: «دعونا ننتهي من هذا الأمر. وأنا لن أحدثكم عن أهمية التعاون، والمساواة، وإدراك أننا جميعًا في خضم هذا، لأني لا أظن أنكم أغبياء، وتفتقدون الحس الأخلاقي. بل أعتقد أنكم أفراد تتمتعون بالذكاء قد فعلتم أشياء غاية في الحمق. إذن مَن يريد أن يبدأ الحديث؟».

جلسنا جميعًا هناك والصمت يلفنا، حتى جاك ماسيلين لاذ بالصمت. فتابع السيد ليفين حديثه: «ما رأيكم في التحدث عن «لِمَ أنتم موجودون هنا؟». وأتساءل عن السبب الحقيقي، وليس الذي يقول: «دفعتني السيدة واسرمان إلى القيام بهذا».

رحت أنتظر أن يتفوه أحدهم بشيء، ولما لم يُقدِم أحد على الحديث، قلت: «أنا هنا بسببه». وأشَرتُ إلى جاك.

هز السيد ليفين رأسه معترضًا، وقال: «في الحقيقة أنتِ هنا لأنكِ خَرَّبتِ مبنى المدرسة، ولأنكِ لَكَمتِه».

فعلق أحد الأولاد: «رائع».

فرد جاك: «اخرس».

قال السيد ليفين موجهًا حديثه إلي: «أيها السادة –وأنا أستخدم المصطلح بشكل عام– كان بإمكانكِ الانسحاب».

- لو كنت مكاني، أكنت ستنسحب؟

- أنا لست الشخص الذي أُمسِكَ به.

قلت: «حسنًا». ثم تنفست. «ماذا عن كوني هنا لأني غَضِبت، لأنه عندما يمسك بك أحدهم فجأة ولا يفلتك، تُصابُ بالفزع، لا سيما على مرأى ومسمع من الجميع، ولا يفعل أي أحد منهم أي شيء لنجدتك، ويبدو أن الجميع ما عداك يظن أن الأمر مضحك. وأنا هنا لأني لا أعرف إذا ما كان الأمر قد انتهى هناك، أم إذا ما كان سيزيد على مجرد الإمساك بي».

أخذ الجميع يحدق إليَّ أنا وجاك، وراح السيد ليفين يومئ برأسه، ثم قال: «جاك، يا صاح، لا تتردد في أن تشاركنا رأيك».

- أنا بخير.

كان هذا ما قاله: *أنا بخير.* وهو جالس هناك باسترخاء وتعلو وجهه تلك السحنة المتململة، وذاك الشعر الهائل فوق رأسه، ويمنعه غروره من المشاركة.

قلت: «في حال لم يكن لديه أي شيء ليقوله، فسأتحدث ثانية». لو كان هنالك شيء أجيده بامتياز في هذا العالم، فهو أن أكون خاضعة للإرشاد النفسي، فقد تلقيته الكثير من السنوات، وأعرف طريقة التحدث عن ذاتي، وعن مُسَبِّبَات الأمور، حتى أمام غرفة تعج بالغرباء.

رَدَّ السيد ليفين: «عظيم. على ما يبدو، لكِ حرية الحديث الآن يا ليبي».

- بعدما استَخرَجوني من المنزل، مكثت في المستشفى فترة. وحتى مع قدرتي الكافية للعودة إلى المنزل، أبقى عليَّ الطبيب في المستشفى، إذ قال إنه ليس بمقدوري الخروج إلى أن أفهم السبب، سبب مكوثي هناك، السبب وراء زيادة وزني إلى هذا الحد.

لم يقاطعني السيد ليفين، ولكن يمكن للمرء أن يشعر بإصغائه الحريص الحقيقي. وكذا كان الجميع، حتى ترافيس كيرنز. وقد أخذت أتحدث، فهذا أمر قد تحدثت عنه مئات المرات من قبل، كثيرًا جدًّا، حتى إنه ليس جزءًا من تكويني بعد الآن، بل هو حقيقة تعيش خارجي في العالم. *أصبحتْ ليبي ضخمة للغاية. استخرجوا ليبي من منزلها. تلقت ليبي المساعدة. تحسنت ليبي.* لو كان ثمة شيء تعلمته من الإرشاد النفسي ومن فقدان أمي، فهو أنه يستحسن للمرء قول ما يجول في خاطره فحسب، وألا يكتم في نفسه شيئًا. فإذا حاول حَمْلَ كل شيء أينما حَلَّ وارتحل، فإنه سينتهي به الأمر ممددًا على ظهره في فِراشه، ضخمًا لدرجة تمنعه من النهوض، أو حتى التقلب من جنب إلى آخر.

- إذن فالمُسَبِّبُ للكثير من الأشياء، كان أني ورثت عن أبي فخذيه الضخمين، والتمثيل الغذائي المنخفض، والتنمر عليَّ في باحة المدرسة، وموت أمي، والطريقة التي ماتت بها، والخوف الذي اعتراني، وشعوري بالوحدة، والقلق، القلق الدائم. وحُزن أبي، وحب أبي للطعام، وعشقه للطبخ، ورغبتي أنا في جعله يشعر بتحسن، ورغبتي في شعوري أنا بالتحسن.

حتى سمعت كيشوان يقول: «تبًّا، يا فتاة». قبل أن أسمع السيد ليفين يقول: «أحسنتِ يا ليبي».

كما صَفَّق اثنان من الفتيان.

قلت: «شكرًا لك». وكنت ممتنة لهذا لسبب ما، ولا أقصد التصفيق، لكن كلام السيد ليفين، فما يظنه بي مهم لي. تابَعت: «لقد كنت حبيسة البيت فترة، لذا كان لديَّ متسع من الوقت، ولا يزال لديَّ متسع من الوقت للتفكير في الأمر منذ ذلك الحين».

نظرنا جميعًا إلى جاك، ولكنه لم ينبس ببنت شفة.

التفت السيد ليفين ثانية إلي، وقال: «إذن لِمَ لَكَمتِه؟».

أردت قول: *انظر إليه، إنه مثالي، فلم يمر به يوم سيئ قط. حسنًا، إنه يعاني هذا الاضطراب الغريب الذي يعوقه عن معرفة الناس، ولكن لم يحدث أن قيل له: يا بدين، أو يا قبيح، أو يا مقزز. ولم يرسل أحد إليه رسائل كراهية بالبريد، أو أخبره أن لو قتل نفسه لكان أفضل. ولم يتلقَّ أبواه رسائل كراهية بالبريد لمجرد إنجابهما إياه. كما إن لديه أبوين. وأشك في معرفته ماهية شعور فقدان أحد الأحبة، فالأشخاص من شاكلتنا لا يقتربون منه، لأنه ليس من مقامك، ولا مقامي، ولا من مقام بقية هؤلاء الطلاب، ولا هذا العقاب. ناهيك بأن أصدقاءه مقززون بالمعنى الحرفي للكلمة.*

أردت قول: *ولِمَ لا ألكمه؟*

ولكن في الحقيقة لم أقل سوى: «كنت غاضبة».

وأعرف أنها إجابة غير كافية من النظرة التي علت وجه السيد ليفين، إذ قد سبق أن رأيتها، فتلك هي التي ترتسم على وجه المرشدين النفسيين في أثناء تحليلهم المرء، عندما يعرفون الإجابة قبل أن يعرفها هو، ولكنهم لن يخبروه، لأنه على المرء التفكير فيها بنفسه.

جاك

لما حان دوري، قلت: «السبب الحقيقي لوجودي هنا هو أني سيد المشاغبين في الكون».

قال السيد الذي يضع ربطة عنق فراشية، الذي لا بد أنه السيد ليفين: «حدثنا بالإنجليزية المفهومة يا جاك رجاءً».

مِلتُ إلى الأمام وحدقت إلى الأرضية، فبدا أني أحاول الإتيان بالكلمات المناسبة فحسب، وهذا ما كنت أفعله. ولكن السبب الرئيسي هو أني كنت أتحاشى النظر المباشر إلى عينيه، ففي بعض الأحيان تحدوني رغبة في أن أغمض عيني وأنسى أنه يمكنني الإبصار، لأنه في بعض الأحيان، أن تكون مصابًا بعمى التعرف على الوجوه يبدو أشبه كثيرًا بأن تكون كالأعمى العادي.

سأل السيد ليفين: «ما السبب الذي دفعك إلى ذلك؟».

أجبت: «ليس لدي سبب، فقط كل ما لدي هو أوه تبًّا، وفيمَ كنت أفكر». وابتسمت في وجهه، ثم التقت عيني عين ليبي. أطلت النظر إليها، وبادلتني النظر. *لقد قرأت خطابي، وبوسعها إفشاء سري هنا*. انتظرتها لتقول شيئًا ما، ولما لم تتكلم، تنحنحت وقلت: «إلى من يهمه الأمر: أتمنى لو لم أفعل ذلك». كان هذا أول شيء صادق أتفوه به في اليوم بأكمله.

***

بعد انصرافنا، التقتني في موقف السيارات. كنت جالسًا بنصفي فقط في سيارة اللاند روفر، بينما كنت أنظر بتركيز إلى الهاتف.

- إذن متى وضعته هناك؟

- ماذا؟
- الخطاب.

قلت في الهاتف: «سأعاود الاتصال بك». ثم أغلقت المكالمة مع كارولاين بينما كانت تقول: من *الذي* تتحدث معه؟ ثم قلت لليبي: «حين أمسَكتُ بكِ».

- أتعتقد أن الخطاب كان بلمسة سحرية سيجعل كل الأمور على ما يُرام؟
- أو فعل ذلك؟
- ماذا تظن؟
- لا يمكنكِ لوم المرء على المحاولة.

وابتسمت لها ابتسامة خاطفة. ولكنها هزت رأسها معترضة، وأشارت بإصبعها في وجهي محذرةً وقالت: «لا تفعل ذلك».

قلت: «حسنًا، لنكن واقعيين إذن. لقد قُلتِ إن لديكِ أسئلة تودين طرحها. اسأليني ما تشائين». ثم طَنَّ هاتفي في جيبي.

- ما مدى طول معرفتك بعمى الوجوه؟
- خمنته وأنا في عمر الرابعة عشرة تقريبًا. ولم يكن هذا انكشافًا بين عشية وضحاها رغم ذلك. ولكن كان الأمر أشبه بذاك النوع من العملية المكونة من خطوات، فكان عليَّ أن أجمع الأدلة، وهذا ما جعل اكتشاف ذلك يستغرق وقتًا.
- إذن يمكنك رؤية وجهي، لكن لا تقدر على تذكره.
- شيء من هذا القبيل. والأمر ليس أشبه بأن الوجوه تكون بلا ملامح، بل يمكنني رؤية الأعين، والأنوف، والأفواه، لكن لا يمكنني ربطها بأشخاصها المحددين. وليس الأمر أشبه بأن يلتقط المرء، ليبي مثلًا، لقطة ذهنية سريعة لشخص ما ويخزنها في عقله للمرة التالية، فأنا ألتقط لقطة سريعة، وتذهب إلى سلة المهملات في الحال. ولو كان الأمر يتطلب منكِ لقاءً واحدًا أو اثنين حتى يكون بمقدوركِ تذكر أحدهم، فالأمر قد يتطلب مني مئة لقاء، أو قد لا أُفلِحُ في ذلك أصلًا، فالأمر أشبه بفقدان الذاكرة، أو بمحاولة التفريق بين الجميع من خلال أيديهم.

ألقَتْ نظرةً خاطفة على يديها، ثم على يديّ، وقالت: «إذن لو أشحت بنظرك ثم عاودت النظر ثانية، فلن تكون متأكدًا ممَّن أنا».

أجبت: «أستوعب ذهنيًّا أنه أنتِ، ولكني لا أصدق ذلك، إن كان هذا يبدو منطقيًّا لكِ. فعليَّ أن أقنع نفسي مجددًا كلية أن هذه *ليبي*. أعرف أن هذا يبدو جنونيًّا. *الجنون بعينه هو الوقوف هنا والتحدث عن هذا الأمر لشخص غير نفسي*».

- أحقًّا تصعب مشاهدة التلفاز أو الأفلام لأنه ليس بمقدورك عدم الخلط بين الشخصيات؟
- شأني شأن الناس: هنالك بعض البرامج والأفلام التي تكون أصعب من غيرها. فمثلًا أفلام الوحوش والرسوم الكارتونية تكون سهلة، أما برامج الجرائم، فلا تكون بهذا القدر من السهولة. فأتساءل دومًا: *أين الشرير؟* وكذلك: *اللعنة، من يكون هذا؟*

رحت أنظر إليها، وسرت فيَّ تلك الشحنة من الأدرينالين المحموم الذي جعل قلبي يخفق. وكان الأمر كله أشبه بمحاورة تطرح عليَّ فيها الأسئلة، ولكني لا آبه، لأن تلك كانت المرة الأولى التي أتحدث فيها عن هذا الأمر مع أحد، وكان هذا الشعور أشبه كثيرًا بالحرية، كأني أقول: *ها هو ذا شخص عساه يكون قادرًا على فهم مَنْ أكون.*

- كيف هي الحال؟ أقصد، من ناحية أن تكون مصابًا به؟
- هي أشبه بسيرك يدور في عقلي، وكأني أقفز باستمرار عبر الحلقات. هي أشبه بأن تكوني في غرفة مكتظة بالناس، وفي بداية دخولك إليها لا تعرفين أحدًا فيها، ثم تظل على هذه الحال دومًا.

لمعت عيناها، وكانت شبه محدقة، وقالت: «مثل العودة إلى المدرسة بعد خمس سنوات وأنت تحاول تخمين ما إذا كنت تعرفه، أو تعرفها، أو تعرفهم، ولكن الجميع يبدون مختلفين، ويغدو الأشخاص الذين سبق لك معرفتهم، مجرد... أشخاص».

- بالضبط، فأنتِ لا تعرفين ماضيهم، ولا أي تفاصيل عنهم، كل تلك الأشياء التي تجعلهم من هم عليه الآن. وأنتِ وحدكِ من يساوره هذا الشعور.
- في حين يذهب بقيتهم إلى الفصل وإلى الغداء وكأنهم يقولون: *أوه، انظر إليَّ، لقد كنت أفعل هذا طيلة الوقت. أعرفك، وأعرفك، أنت كذلك، والزمن لم يتوقف، وأنا هنا.*

- أجل.

كانت عيناها واسعتين، ورموشهما طويلة، ولون عينيها بنيًّا شديد الصفاء، مثل العنبر، أو مشروب الويسكي. وتعذر عليَّ أن أجد الفتاة التي كانت تحملها الرافعة في هذه الفتاة الموجودة هنا. وحتى رغم كون الفتاة الواقفة أمامي ضخمة، فإنها بالغة الرقة على الطبيعة.

ثم سألت: «هل تساءلت إذا ما كان غيرك من الآخرين من يرى الناس بصورة مختلفة؟ مثل... ربما أنت تراهم بالطريقة التي يجب أن نراهم بها بالفعل؟».

- السِّمات المُميِّزة، هكذا أسميها. فكل واحد له شيء واحد على الأقل يميزه.

- أهذا هو السبب وراء ضخامة شعرك؟

- شعري ضخم لأنه غاية في الروعة يا عزيزتي.

أصدرت صوت الهمهمة هذا كأنها لا ينطلي عليها الأمر كليةً، ثم أمالت رأسها إلى جانب واحد وقطبت جبهتها، وقالت: «أشعر أني أعرفك. أتعلم؟ منذ وقت طويل في الماضي».

تسارع نبضي، وبدأ يطن بالطريقة نفسها مثل هاتفي. رحت أفكر في سري: *أنتِ لا تعرفينني. أنتِ لا تعرفينني*. وكأني لي سلطة من نوع ما على عقلها، وأيًّا كان، فلن تعرف أني كنت هناك في اليوم الذي أُنقِذَتْ فيه من منزلها. وإذا تأكد وعرفت، فقد تظن أني أسخر منها لأني رأيتها بينما يجري إنقاذها من المنزل، وهذا هو ما دفعني إلى الإمساك بها.

سألت: «هل ارتَدتَ مدرسة وستفيو الابتدائية؟».

أجبت: «لا يا سيدتي». وقبل أن أردف بشيء آخر، طَنَّ هاتفي ثانية.

- أيجب أن ترد على هذه المكالمة؟ يريد أحدهم أن يتحدث إليك بشدة.

- يمكنه الانتظار.

كانت لا تزال تتفحصني بعينيها، ولكنها خلصت أخيرًا إلى هز رأسها، وكأنها تحاول أن تتناسى هذه الأفكار، وقالت: «ينتابني إحساس «أشعر أني أعرفك» كثيرًا هذه الأيام».

قلت: «تحظين برفقة جيدة، أو رفقة مزرية، بناءً على الطريقة التي تنظرين بها إلى الأمر». وابتَسَمتُ، وكادت شفتاها تفتران عن ابتسامة، إلا إنها منعت نفسها. واستَطرَدْت: «مع عمى التعرف على الوجوه، يبدو أني في خسارة مستمرة لأحبائي».

لاذت بالصمت هنيهة، ثم قالت: «أعرف كيف يكون هذا الشعور». ثم مشت مبتعدة.

***

قدت السيارة راجعًا إلى البيت، وأحضرت أخي في طريقي، ورحنا نبحث في المرأب عن مواد تصلح لصنع الروبوت، فهذا هو المكان الذي أُخَزِّنُ فيه بقايا اختراعاتي التي بنيتها ثم تفككت بعد ذلك.

سألته: «مرحبًا أيها الرجل الصغير، كيف كان يومك الدراسي؟».

- بخير.

- بخير حقيقية أم مزيفة؟

- شيء ما بين هذه وتلك.

ليبي

التقيت ريتشل في المتنزه، وجلسنا على مقعدنا المعتاد، ثم سألتني: «إذن، لِمَ لكمتِه؟».

لأني متأهبة لحياتي الطبيعية، وما أريد إلا المضي قدمًا كأي أحد آخر، دون أن يمسك بي أحدهم في الكافتيريات كما لو كنت بقرة صغيرة تُمنَح كجائزة من نوع ما في مصارعة رعاة البقر.

رحت أقول لنفسي: *تلك هي الشخص الذي بإمكانكِ قول أي شيء له، الشخص الذي يعرفكِ أفضل من أي أحد.* ولكن جل ما نطقت به كان: «لقد كنت غاضبة».

ثم خطرت لي ثلاثة أسئلة إضافية أردت طرحها على جاك.

***

كان السيد ليفين في الصباح التالي يتمرن على الرميات الحرة عندما دخلنا إلى صالة الألعاب الرياضية، وهتف: «لقد حضرتم، ممتاز. كيشوان، وترافيس، وجاك، وليبي، ستلاعبونني أنا، وناتاشا، وآندي، ومادي».

- نلعب ماذا؟

رد: «كرة السلة يا سيد ثورنبرج». ثم رمى الكرة إلى كيشوان، الذي أمسك بها بيد واحدة.

- ألا يجب أن نكون جميعًا ضد كيشوان؟ فقط لنجعل اللعب أكثر إنصافًا.

قال كيشوان: «اهدأ يا ماس، واستعد للخسارة». وأحرز هدفًا برمية في السلة من عند الباب، وهو أمر لا عجب فيه، فقد غدا سيد كرة السلة ثلاث سنوات متتالية خلال فترة سُبات ريب فان[1] ليبي.

علق السيد ليفين: «غاية هذا ليست الفوز أو الخسارة، ولا حتى المنافسة، بل هي العمل الجماعي». فحدقنا جميعًا إلى السيد ليفين، الذي يرقص رقصة جر القدمين السريعة إلى الأمام والخلف الرائعة، كما لو كان في حلبة ملاكمة. ثم أردف: «على كل الموجودين في هذه الغرفة تعلم إجادة اللعب –أو على الأقل اللعب لعبًا أفضل– مع الآخرين».

***

فاز كيشوان بلا شك برمية البداية، ورحنا نحن نقطع الملعب جيئة وذهابًا، وكنا جميعًا –عداه– نفتقر إلى أدنى مهارة في اللعب، حتى الرياضيون من بيننا، مما كان أمرًا مُحزنًا ومُحرِجًا بحق. والشيء الوحيد الذي كنا نعمل على تعلمه، هو كيفية إذلال أنفسنا على مرأى من زملائنا.

كان كيشوان كلما أحرز هدفًا يتصرف كأنه قد فاز لتوه ببطولة الولاية. وكان يصيح بغضب ملقيًا الأوامر على فريقه، ويراوغ بالكرة من وراء ظهره، وبين ساقيه، ويصوب تصويبات القفز الصعبة. والحق أننا كنا كأننا نلعب ضد ليبرون جيمس[2]، لو كان طفلًا بطول ستة أقدام وست بوصات[3]. وفجأة، أخذ السيد ليفين الكرة منه وهتف: «ليست ساعة مجدك يا كيشوان، بل الأمر يتعلق بمد يد العون إلى زملائك. ويتعلق أكثر بأننا كلنا على قدم المساواة. وكذا بالتعاون فيما بينكم». ثم أحرز رمية ثلاثية[4] ممتازة. وأضاف: «خذ وقتًا مستقطعًا يا سيد كرة السلة».

- ماذا؟

---

(1) شخصية وردت في قصة قصيرة كتبها واشنطن إيرفينغ لها الاسم نفسه: ريب فان، ويُكنَّى بها عن شخص يدخل في سبات عميق ولا يدري بما يدور مِنْ حوله مِنْ تَغيُّرات. (المترجمة)

(2) لاعب كرة سلة أمريكي يُقارَن في مهارته بمايكل جوردان. (المترجمة)

(3) ما يزيد على مترين. (المترجمة)

(4) هدف يُحرَز من وراء الخط الثالث في ملعب كرة السلة، ويُحسَبُ بثلاث نقاط. (المترجمة)

- بإمكانك الجلوس على المدرجات دقائق معدودة، فلن يقتلك ذلك.

قال كيشوان: «يا رجل». ثم خرج يجر نفسه، كأنه أبطأ إنسان على وجه الأرض، وانتظرناه حتى يخرج من الملعب. وبعد فترة طويلة، جلس خارج الملعب في نهاية المطاف.

أدارت ناتاشا عينيها وهزت رأسها وهي ترفعهما نحو السقف.

قال السيد ليفين: «إنْ كان جلوسي بالخارج أنا كذلك سيُشعِرُكِ بتحسن، فسأخرج، ونكون متعادلين. أيًّا كان الاختيار الأفضل للمجموعة. أليس كذلك يا كيشوان؟».

نظر إليه كيشوان، ثم تخطاه بنظره إلى ناتاشا، التي رفعت أحد حاجِبَيها تعجبًا، وقال للسيد ليفين: «بالتأكيد».

وبذلك صرنا الآن ثلاثة وثلاثة. وحافظنا على تقدمنا حتى مرر جاك الكرة إلى آندي، اللاعب في الفريق الآخر. وبعدما صوب آندي وسجل هدفًا، هَبَّ كيشوان واقفًا وصاح: «ما هذا يا ماس عليك اللعنة؟». إلا إنه لم يوضح مقصده، بل صرخ بالأمر فحسب.

هتف به السيد ليفين: «تَهَذَّب في كلامك». في الوقت ذاته الذي تمتم فيه جاك بكلام حول انزلاق الكرة.

ولما تكرر الأمر، ظننت أن كيشوان كان سيفقد عقله.

هتف جاك: «مهلًا يا رجل، أحاول فقط أن أؤدي خدمتي الاجتماعية».

فسأل آندي: «وما المقصد من هذا؟».

هز جاك كتفيه باستهزاء، وابتسم شبه ابتسامة تنم عن الغرور، وقال: «أقصد فقط أنه على ما يبدو فإن فريقك بمقدوره الاستعانة ببعض المساعدة».

فرماه آندي بالكرة رمية شديدة بعض الشيء. والآن، قد تأزم الموقف بينهما، وراحا ينظران بغضب بعضهما إلى وَجهَي بعض كأنهما قِطَّان ضالَّان. وقال آندي: «لِمَ لا تُبقي على الكرة يا جاك؟ وسأستعيدها في غضون ستين ثانية».

هتف السيد ليفين: «كُفَّا عن ذلك. توقف عن إضاعة الوقت يا جاك».

وراح يحاول آندي وجاك على مدار الدقائق القليلة التالية الفوز بالمباراة بمفرديها، فأخذ آندي يصرخ على ناتاشا ومادي، ولم يعد جاك يمرر الكرة،

بل راح يتحرك بالكرة من طرف واحد من الملعب إلى الطرف الآخر، ويتعهد بكل تسديدة، إلى أن حاصرته ناتاشا، وتعين عليه ترك الكرة. لآندي ثانيةً. فسارت الثواني الثلاثون التالية على هذا النحو: أحرز آندي تصويبة سُلَّمية، ثم مشى بالقرب من جاك وخبطه في كتفه. فقال جاك بسخرية تامة: «على الرحب والسعة». فقرب آندي وجهه من وجه جاك كأنه يريد أن يضربه، ووقف جاك هناك كأنما يريد من آندي أن يضربه. فوقف السيد ليفين بينهما، وراح يردد خطبته المعهودة حول الانسجام، والتعبير عن المشاعر.

كانت تلك هي اللحظة التي تبادلنا فيها أنا وجاك النظرات. وبذلك عرفت ما يدور هنا: لقد خلط بين آندي وترافيس، إذ لهما البنية الجسدية ذاتها، والطول ذاته، ونوع الشعر ذاته، وكذا لون القميص. حاولتُ تَخَيُّلَ أن آندي وترافيس غريبان عني، وأني أعاني مرض التعرف على الوجوه، وأنه في كل مرة أنظر إليهما ثم أُشيح بنظري بعيدًا، عليَّ أن أعيد ترتيب ملامحهما.

أقنعتُ نفسي: *لا تتدخلي يا لبس. دعي الأمر يسير في مجراه الطبيعي. فرغم كل شيء، ألا يستحق أن يُهان على مرأى ومسمع ليس من هؤلاء الناس فحسب، بل العالم أجمع؟*

والآن عُدنا للعب. وجدتني فجأة أهتف بجاك: «أنت، مررها لي». ورغم أني أملك أسوأ تصويبة في هذه الصالة، أو ربما العالم كُله.

ولكنه قطع أرضية الملعب في الاتجاه الآخر، ولم يمرر الكرة لي. وفي المرة التالية التي أمسك فيها الكرة، قفزتُ إلى الأعلى ولَوَّحتُ بذراعي تجاهه، وقلت: «أنا جاهزة تمامًا هنا». ثم رمقني بتلك النظرة، وقلت في نفسي: *حسنًا، إن لم ترغب في مساعدتي*. ولكنه أعطِيَ حُكمًا بارتكابه خطأ. وقفنا متجاورين نشاهد مادي تسدد الرمية الحرة، ثم قلت: «أعطني الكرة اللعينة فحسب قبل أن يُبقينا السيد ليفين ساعة إضافية».

رمى إليَّ جاك الكرة بعد ما يقترب من دقيقة أو أكثر. وبينما أحاول تنطيط الكرة، استولت مادي عليها، ولكنها لما رمتها إليَّ في المرة التالية، صوبتُ نحو السلة. وبفعل معجزة ما، سجلت الهدف.

جاك

أمسكت الباب ليبقى مفتوحًا حتى يخرج الجميع إلى موقف السيارات. وقد فزنا بفارق ثلاث عشرة نقطة، وكان كيشوان يحمل ناتاشا كأنها كأس دوري كرة السلة الأمريكي (إن بي أيه).

بينما تمر بي ليبي، استحضر عقلي رائحة شعاع الشمس. ربما كان شامبو الشعر، أو الصابون الذي تستحم به، أو ربما كانت هي فحسب. قلت في نفسي: *أكانت لها رائحة مثل رائحة شعاع الشمس قبل أن يزيلوها من منزلها؟ أم إنها اكتسبت هذه الرائحة فيما بعد، بمجرد أن عادت إلى العالم الخارجي؟*

رفعت عينيها، وقالت: «ينبغي لك إخبار أحدهم بحالك».

رددت: «لقد فعلت». وانتابني ضيق لأن هذه الفتاة الآن تعمل على إنقاذي، كأني شخص يحتاج إلى المساعدة. وعلى ما يبدو، فإني كذلك.

- شخصًا آخر غيري، فالأمر لا يكمن في كونك الوحيد المصاب بهذا. وأعرف أن هذا ما قد يبدو لك، ولكن من الناحية الإحصائية، ليس الأمر بهذه الدرجة من النُّدرة، فعلى الأقل لا يُقارَن في ندرته بأن تكون فائق البدانة حتى تُحشَر في منزلك. أذَهبتَ من قبل إلى موقع المراكز البحثية لعمى التعرف على الوجوه[1]؟ فهم يقدمون البطاقة الصغيرة هذه التي يمكنك حملها معك وإعطاؤها للناس بغرض شرح المرض المصاب به. ولا أعني أن هذا حلٌّ قاطع، ولكن عساها تكون البداية.

***

(1) بالإنجليزية «Prosopagnosia Research Centers». (المترجمة)

اتصلتُ بكارولاين في أثناء قيادتي رجوعًا إلى البيت. قلت: «أهلًا أيتها الجميلة».

- تعالَ عندي.
- لا يمكنني.
- ما قصدك بلا يمكنك؟
- لدي عمل أقوم به.
- بعد أن تؤديه إذن.
- أنا مشغول الليلة، سأصطحبك إلى الخارج الليلة القادمة، وسنغدق على نفسينا، ونستمتع بكل مكان في المدينة، ستكون ليلة لن تُمحى من ذاكرتك.
- ما الذي يشغلك؟ أم يجب عليَّ السؤال عمَّن الذي يشغلك؟
- أنا أصنع لداستي هدية عيد الميلاد.
- إننا لا نزال في سبتمبر.
- أنا *أصنعها*.

فلاذت بصمت مُطبِق.

- كارولاين؟ حبيبتي؟
- أتمنى لو أنك لم تُمسِك بتلك الفتاة، ليبي تلك.
- صدقيني، هذا رأيي كذلك. وأود أن أظن أني أسمو على هذا النوع من السلوك الشائن، لذا بإمكانكِ تخيل كم كان مخيبًا ومحبطًا لي.
- إن فترة العقاب هذه تستنزف الوقت الذي نقضيه معًا. لقد بدأتْ تفسد حياتي.

أوه.

أردت قول: *أيمكنكِ إعطاء كارولاين اللطيفة الهاتف؟* ولكن بدلًا من ذلك، قلت: «آسف يا حبيبتي. أعدك أني سأعوضك عن هذا».

لبس

كنا قد ركبنا السيارة أنا وأبي عائدين إلى المنزل على الطريق الوطني وتخطينا الكلية عندما انتابني ذاك الشعور الغامر، وشعرت بالخواء في قلبي، ذاك الخواء الذي سكنه منذ أن ماتت أمي. الخسارة سببت هذا الشعور، إذ يهاجمك بغتة، فقد يكون المرء في السيارة، أو الفصل، أو في السينما، يضحك ويستمتع بوقته، ثم على حين غرة، يكون الأمر كأنما أمسك أحدهم بالجرح مباشرةً، ثم اعتصره بكل ما يملك من قوة. وكان بمقدوري أن أتذكرني أنا وأبي عائدين إلى المنزل بالسيارة، في هذا الاتجاه ذاته، في تلك الليلة التي فقدناها فيها. اجتزنا الطريق، وأمكنني رؤية انعكاس وَجهَينا على الزجاج الأمامي، كنا خاويين كالأشباح.

نظرت إلى أبي الآن، ونظر إليَّ نظرة خاطفة، وسأل: «ما الخطب يا لبس؟».

كنت على وشك التحدث عن الأمر.

إنها أمي، دومًا. إنها الوتيرة المفاجئة لتغيُّر الحياة في طرفة عين، التي تجعل القلق ينتابني عندما أنام، وتجعلني أقنع نفسي بالتنفس والاستمرار في الحياة عندما أستيقظ.

- لا شيء.

وضعت أصابعي على معصمي، حتى بدا أن يديَّ تستندان إلى حجري، حينما كان ما أفعله في الواقع هو تفحص نبضي. تنفسي. *حافظي على ثباتك، فلا داعي لأن تنفعلي.*

- كان مجيء بايلي صنيعًا لطيفًا. لطالما كانت فتاة لطيفة.

- هي كذلك.

- أتعلمين؟ يمكنكِ استضافة أصدقاء في المنزل وقتما تشائين.

قلت: «وبمقدورك أنت كذلك، فلم تكن أمي لتريدك أن تعيش وحيدًا». فقد كنت كأني أسمعها تقول: *امنحني فترة حداد معقولة يا ويل، لكن لا تتوقف عن عَيشِ حياتك.*

قال: «أنا لست وحيدًا». ثم ابتسم لي تلك الابتسامة العريضة الجنونية.

قلت: «وجودي هنا ليس مضمونًا إلى الأبد». *ولا أحد أبدًا.*

- أنا بخير.

ورغم هذا، فإني لا أصدقه تمامًا. وقد رأيتُ إعفاء كلينا من هذا الموضوع، فسألت: «هل سمعت يومًا بعمى الوجوه؟».

- عمى الوجوه؟

- عمى التعرف على الوجوه، هو عدم القدرة على التفرقة بين الوجوه، فلا تتعرف على عائلتك، ولا أصدقائك.

- أهذا يخص مشروعًا مدرسيًّا؟

لقد أخذ عليَّ جاك تَعَهُّدًا بعدم الإفصاح عن الأمر، فقررت الوفاء بهذا، على عكس ما يُمليه عليَّ صوابي. فأجبت: «أجل».

جاك

بدلًا من التحقق من المخزون، أو صرف الطلبات، جلست إلى حاسوب مكتب متجر ماسيلين وبحثت عن المراكز البحثية لعمى التعرف على الوجوه. وأشار موقع الإنترنت إلى أنه يقع في دارتموث، وهارفارد، وكلية لندن الجامعية، ويرأسها رجل يُدعى براد دوشاين. لقد سمعت عنها وعنه، إلا إني لم أتصفح الموقع كليةً، لذا قضيتُ بعض الوقت عليه أقرأ المزيد عن هذا الشيء الذي أنا بكل تأكيد مطلق مصاب به.

لا عجب، قد يتسبب عمى التعرف على الوجوه في مشكلات اجتماعية خطيرة...

ترجع الروايات التي تُفيد بوجود عمى التعرف على الوجوه إلى العصور القديمة...

يُعَدُّ الاعتماد الكبير على المعلومات التي لا تتعلق بملامح الوجه، مثل الشعر، والمِشية، والملابس، والصوت، إحدى الإشارات على وجود أعراض عمى التعرف على الوجوه...

كنت أعرف أغلب هذا. ثم زرت بعضًا من الروابط للنشرة الإخبارية فيس تو فيس[1]، نشرة نصف سنوية، ثم خُضتُ اختبار الوجوه المشهورة، الذي يختبر قدرتي على التعرف على المشاهير، أمثال الرئيس، ومادونا، وأوبرا.

(1) وجهًا لوجه. (المترجمة)

ورغم أني قد خضعت لمثل هذه الاختبارات من قبل، وكان الوجه الوحيد الذي تعرفتُ عليه تعرفًا صحيحًا هو مارتن لوثر كينج الابن، وهذا لأني قد خمنت ذلك ليس إلا.

نقرت فوق صفحة التواصل.

في حال كُنتَ مُصابًا بعمى التعرف على الوجوه، أو تعاني أشكالًا أخرى من ضعف تمييز الوجوه، ويحدوك اهتمام بالاشتراك في الأبحاث، يُرجى التواصل معنا مستعينًا بهذه الاستمارة، وسنحاول إشراكك في الدراسات التي نُجريها، أو سنوصلك بالباحثين في مجالك.

فتحت برنامج البريد الإلكتروني، فوجدتُ حساب أبي مُسجلًا الدخول فيه. وكان هنالك تمامًا ويمكن لأي أحد أن تقع عينه عليه بريد إلكتروني جديد لم يُفتَح بعد واردٌ من مونيكا تشابمان، ومُرسَلٌ منذ إحدى عشرة دقيقة، بينما أجلس هنا أبحث عن دماغي المصاب بالخلل. كان موضوع البريد الإلكتروني: رَد: جاك. تمامًا كما في اسمي، وتمامًا كما في أبي ومونيكا تشابمان، يجعلانني موضع نقاشهما.

أمعنت النظر إلى سطر الموضوع، وإلى اسمها، وإلى اسم أبي، وإلى اسمي.

وإذا ما فتحت رسالة البريد، فإليكم ما سيحدث: ستزيد معرفتي على ما أعرفه بالفعل، مما يعني أني سأضيف إلى الأسرار التي في جعبتي بالفعل.

ثم فتحته.

وليتني لم أفتحه.

لقد رأيت جاك وقد اشتد به الغضب. هل استشار أحدهم؟ أعرف أنه يحضر مع ليفين بعد المدرسة، ولكن ربما عليك أن تفكر في توفير مرشد نفسي مخصص. ويمكنني اقتراح أحدهم، والمستشارون هنا بارعون في الحقيقة، ولكن أعرف آخرين كذلك. سنكتشف هذا معًا، فلا داعي لأن تفعل هذا وحدك. أحبك. م.[1]

---

(1) اختصار مونيكا. (المترجمة)

نظرت إلى الأسفل، فوجدتُ يديَّ ترتعدان. وانتظرتُ أن أحترق من تلقاء نفسي، مثل الفارس الإيطالي بولونوس فورستيوس، الذي دَبَّت فيه النيران بعدما تجرع الكثير من الخمر.

ولَمَّا لم أحترق من تلقاء نفسي، كتبت:

حبيبتي م. إذا كان جاك غاضبًا، فأنتِ وكلانا وراء هذا الغضب، والشيء الوحيد الذي سيساعده هو عدم وجودنا نحن الاثنين كليةً. ربما يجب عليَّ التوقف عن أنانيتي الشديدة، فإذا أحببتكِ حبًّا حقيقيًّا، كنت سأُنهي زواجي، أو حتى على الأقل أصارح زوجتي، فهذا حقها عليَّ، وربما هذا حقكِ عليَّ كذلك. ربما حُبُّنا هو الحبُّ الأعظم على الإطلاق، رغم أني تساورني شكوك حيال ذلك. ولكن أيًّا ما تكون الحال، أريد أن أنتهي عن الجُبن فحسب. ولا يُدهشني اشتداد غضبه. خالص حبي. ن.[1]

لم أرسلها، ولكني تركت الرسالة مفتوحة حتى يراها أبي.

ثم بحثتُ عن كتب تتناول عمى التعرف على الوجوه، والدماغ، وطلبتها جميعًا، واضعًا التكلفة على بطاقته الائتمانية. ثم سجلت الدخول إلى حساب بريدي الإلكتروني، وكتبت رسالة إلى براد دوشاين.

اسمي جاك، طالب في المدرسة الثانوية في السنة الأخيرة، وأنا موقن من إصابتي بعمى تمييز الوجوه. ولست متأكدًا من مدى قدرتي على التعايش مع هذا وقتًا أطول، فكل من في حياتي غرباء، بمن فيهم نفسي. أرجو منك المساعدة.

أرسلتها، واعترتني رغبة فورية في التراجع عنها، ولكن الآن كانت قد وصلت هناك، وجل ما كان بمقدوري هو الانتظار، والأمل أنه عسى، عسى فحسب، هذا الرجل أن يخبرني ماذا أفعل.

---

(1) اختصار نيت. (المترجمة)

ليبي

ما زلت أحتفظ بنسخة «لطالما عشنا في حِصن»، التي أرسلها إليَّ أحد فاعلي الخير الطيبين إلى المستشفى. وكنت أُبقيها على الطاولة الصغيرة بجانب سريري، وأستَخدِمُ الخطاب المُرسَل معها كفاصل كتب.

أردتكِ أن تعرفي أني أدعمكِ.

في بعض الأحيان تكون بنا حاجة إلى سماع هذا، حتى ولو من شخص غريب. وخطر ببالي الأشخاص الذين يحظون بدعمي كلهم: أبي، وريتشل، وبايلي، وآيريس، وجايفي، والسيد ليفين، والمديرة واسرمان، والسيد دومينجيز، وزملاء الفصل في حلقة المحادثة، وربما حتى جاك.

ثم أخرجت استمارة التقديم في فريق الفتيات الاستعراضي، وقرأتها حتى آخرها، حِرصًا على إجابتي عن كل سؤال، وملء كل سطر فيها. ثم دسستها برفق في حقيبة ظهري، ورحت أرقص.

جاك

في أثناء جلوسنا لتناول العشاء، لم يتكلم أحد منا عدا داستي، الذي يرغب في أن يشارك في تجارب الأداء لعرض المدرسة المسرحي لبيتر بان[1]. كان ماركوس يلهو بهاتفه من تحت الطاولة، ولم تتكلف أمي عناء الصراخ عليه. وتكلفت الانشغال بالتظاهر بأن الجو هنا تسوده الثقة، والأمان، وأني لا أريد أن ألكم أبي. واشتد انشغاله هو بالتظاهر بدور *العشيق؟ أي عشيق؟*

***

التقاني أبي فيما بعد في الحمام عندما كنت أُفَرِّشُ أسناني، فدخل وقال بصوت منخفض للغاية: «لم يكن ينبغي لك الدخول إلى بريدي الإلكتروني. وأنا آسف لأنك رأيتَ ما تظن أنك رأيته. إلا إنه هناك أمر احترام خصوصيتي، فالأمر يحمل جوانب أخرى غير ما تعرفه. وما قَرأتَه في البريد مُجَرَّدٌ من سياقه. ورغم ذلك، فأنا آسف».

لقد قالها بلطف. ذلك لأن نيت ماسيلين شخص لطيف، ويهمه أن يكون محبوبًا، لا سيما بعد إصابته بالسرطان. وأجزم أنه ينتظر مني أن أسامحه، وأن أمضي قدمًا كما فعل الجميع، وقد أغضبني هذا.

تمهلتُ في تفريش أسناني وشطفها، ومسح فمي بمنشفة. وفي نهاية المطاف، حدجته بنظرة. كنتُ أطوَل منه قدر شبر، ولم أحسب في ذلك طول

(1) رواية جيمس ماثيو باري (1860 - 1937) الشهيرة، التي تحكي عن الفتى بيتر بان، الذي يرفض أن يكبر، وعن مغامراته. (المترجمة)

تسريحة الأفرو. وقلت: «لا يمكنك استغلال السرطان مبررًا للحقارة بعد الآن». وكنت بالطبع أوجه هذا الكلام إلى نفسي كذلك، رغم أنه لا يعرف هذا.

***

راودني حلم بأني أطير من مطار إلى آخر، وكان كل مطار يعج بالناس. كانت الجموع غفيرة، لدرجة أني لم أقوَ على التنفس أو الحراك. وكانت كل الوجوه خاوية بلا ملامح، فلا يوجد أنف، ولا فم، ولا عينان، ولا حاجبان. وكنت أبحث عن شخص ما أعرفه، عن أي أحد يبدو لي مألوف الوجه. وكنت كلما بحثت، انقبض صدري وضاق نَفَسي.

ثم وقعت عيني عليها. *ليبي ستراوت*. كانت متدليةً من السقف تحملها رافعة، ولافتة للنظر، وجذابة أكثر من أي أحد، والوحيدة التي لها وجه واضح الملامح.

يوم السبت

جاك

كانت غرفة الخزائن شاسعة، وتفوح منها رائحة أشبه برائحة الأقدام والبَول، أو أشبه برائحة ترافيس كيرنز، الذي تُعَدُّ سمته المُميِّزة هي أنه تفوح منه في أغلب الأحيان رائحة كرائحة السكنك[1]، بفعل كَمٍّ الحشيش الذي يُدَخِّنُه. وهي آخر مكان يرغب المرء في قضاء يوم السبت فيه. ولكننا هنا: سبعتنا، والسيد سويني، (له كرش ضخمة، وقصة شعر البوري[2]، وسوالف على الجانبين، وعَرَجٌ خفيف). انتشرنا في المكان، ونأيت بنفسي عن قصد إلى زاوية، إذ لم تكن لي رغبة في الحديث إلى أحد.

***

أخذنا استراحة بحلول وقت الظهيرة من أجل الغداء. وأمهلنا سويني خمسًا وأربعين دقيقة لتناول الطعام خارج المدرجات التي سنعمل على طلائها في عطلة نهاية الأسبوع المقبل، فجلست بعيدًا عن الجميع. كانت المدرجات قديمة وبالية، وكنت سأفقد شهيتي بمجرد النظر إليها. وطلاء هذه المدرجات هو أحد الأشياء المضافة إلى كَمٍّ الخراب الذي هو حياتي. فتحت غطاء علبة المياه الغازية، ثم أغمضت عينَي. وبدت الشمس مبهجة ومشرقة. قلت لنفسي: *تشبع بها أيها المقاتل الشجاع قدر الإمكان.*

كدت أغفو، إلا إني سمعت شخصًا يصرخ: «دعوني وشأني». وراح يكررها، وكان صوتًا عرفته، بدا مزمجرًا، وأشبه بصوت الصافرة الضبابية.

---

(1) نوع من أنواع الحشيش. (المترجمة)

(2) قصة شعر تكون قصيرة عند الجبهة والجوانب، وطويلة من الخلف. (المترجمة)

فتحت عيني، ورأيت شخصًا يمشي بتثاقل متجاوزًا المدرسة، وثمة مجموعة من الشباب تتبعه. كانوا جميعًا من عمري نفسه، وبيض البشرة، ومنسجمين نوعًا ما فيما بينهم. لم أتعرف على أيٍّ منهم، ولكن ذاك الصوت الشبيه بصوت الصافرة الضبابية هو صوت جوني رامسفورد.

ترجع معرفتي بجوني إلى مرحلة الروضة، ذاك الوقت الذي كان يُدعى فيه «برم»، اختصارًا لاسمه. ودائمًا ما كان أضخم من أي شخص آخر، عملاقًا لطيفًا من نوع ما. وطوال معرفتي به، كان الأطفال يلاحقونه في كل مكان يسير فيه، ويعترضون طريق، ويضايقونه، لأن فيه شيئًا من البطء، والسذاجة، والبلاهة، كأنهم قطيع ضباع يستهدف جاموسًا.

أخذت أراقب هؤلاء الأشخاص الآن، وقد كانوا يصيحون في وجهه قائلين أشياء لم تميزها أذناي حتى. كانت كتفا الفتى الذي قد يكون رم مرفوعتين إلى الأعلى، كأنه يحاول سحب رأسه إلى داخل رقبته، أو ربما إلى أسفل صدره. ثم بعدها، رمى أحد الأشخاص شيئًا ما عليه، وضربه على قَفَاه. وفجأة، رأيت حالي مثل الجميع، كنت أحد الفتيان الضباع الذين يضايقون أُناسًا لا يستحقون ذلك، ويعترضونهم، ويصرخون في وجوههم، ويلقون بالأشياء عليهم.

وضعت شطيرتي، وانطلقت كأني صاروخٌ قد انطلق إلى القمر. ظَنَّ من يكون / أو لا يكون رم في البداية أني أجري مباشرة لألحق به، فتجمد مكانه، وبدا أن الخوف قد تملكه. وراح الأشخاص الملتفون حوله يضحكون، ويلقون بالأشياء المقززة: الأحجار، والمهملات، وأي شيء يجدونه. ثم جريت مباشرة متخللًا قطيعهم. لم يتسنَّ لهم الوقت للتفكير حتى، فوقع أحدهم على مؤخرته في التراب، وفجأة انقطعوا عن الضحك.

سألتهم بينما أشير إلى رم: «هل فعل لكم شيئًا؟ هل *فعل*؟».

- ماذا بحق الجحيم يا ماس؟

بالطبع يعرفونني، فعلى الأرجح أنا صديق لهؤلاء الحثالة.

- أخبروني بشيء واحد فَعَلَه لكم.

وقف أحد الأشخاص مُقَرِّبًا وجهه من وجهي. كان يماثلني في الطول، وأعرض مني قدر عدة أشبار. ولكن لم أتراجع، لأني أفوقه في الغضب ثلاث

مرات. وقال: «هل أنت جاد يا ماس؟ هل ستصب غضبك علينا؟ ما الذي قد فعلته بك تلك الفتاة البدينة؟ ها؟ أخبرني بشيء فعلته بك؟».

وهتف آخر: «صحيح أيها الأحمق. كيف هو الاحتجاز التأديبي؟».

لم أفكر، بل تصرفت. ربما لأني كنت غاضبًا، من الجميع، ومن نفسي. وشعرت أن بمقدوري تحدي العالم كله الآن. قلت لرم: «ارجع إلى بيتك يا جوني، اخرج من هنا». ثم حانت مني التفاتة، ولَكَمتُ أول واحد منهم رأيته، فسقط أرضًا، ثم اندفع آخر نحوي، فابتعدت قليلًا وسددت له لكمة كذلك. وتابعت الضرب فيهم، حتى مع شعوري بانكسار يدي، حتى مع عدم إحساسي بمفاصل أصابعي بعد الآن. وفجأة، شعرت كأني قد تركت جسدي على الأرض وأخذت أطفو في السماء، حيث راقبت العراك كأنه يحدث لشخص آخر.

راح بعض مني يفكر: *ماذا لو أن هذا هو الوضع؟ ماذا لو أنه أينما كان الخلل الكامن في دماغي الذي يسبب عمى التعرف على الوجوه هذا فهو آخذ في الانتشار، حتى لا يعود باستطاعتي التعرف على المكان الذي أنا فيه أو ما أفعله؟ ماذا لو أن دماغي بأكمله خَرِب، ولن أستطيع النزول والرجوع إلى نفسي مجددًا؟*

لم أعرف على وجه التأكيد كم مر من الوقت، ولكن في لحظة تنبهت إلى وجود شيء ما، أو شخص ما يسحبني من ذراعَيَّ بقوة. حانت مني التفاتة، فوجدتني على الأرض ثانيةً، وكانت تلك ليبي ستراوت. وراحت تشدني بقوة لترجعني.

قال أحد الأشخاص لليبي: «لا تؤذيني يا فلابي ستاوت! لا تؤذيني!». وتظاهر بالانكماش خوفًا ويداه مرفوعتان أمام وجهه.

فهَتَفَتْ: «لا تُنادِني بهذا».

- ما قصدكِ بهذا، يا فلابي؟

قلت وأنا متمالك نفسي وكلي هدوء: «أعرف أنك لا توجه الكلام إليها».

- هي تعرف إلى من أوجه كلامي.

ولم تَرُق لي طريقة حديثه، فلكمته. ثم كان هنالك هذا الشخص الطويل أسود البشرة ذو الرأس الحليق الأملس، وأخذ يحدق إلى قطيع الضباع، وقال: «يُفَضَّلُ لكم أن تهربوا، فصديقي هنا، وسيقتلكم، وإذا لم يفعل، فعلت أنا». حتمًا هذا كيشوان برايس.

انطلق الفتيان مبتعدين، ووقف الشخص الذي لا بد أنه كيشوان يراقبهم، وقال: «أنت غبي مثلما تبدو يا فتى». وأخذ يحدق إليَّ، وأردف قائلًا: «ماذا قد يفعل بك سويني في ظنك لو رآك؟».

قالت ليبي: «إنه بالداخل، ولم يرَ شيئًا. هيا». وسحبتني تجاه المدرجات. ثم أضافت: «شفَتك، إنها تنزف ثانيةً».

ولكني لم أتذكر أني قد ضُرِبتُ حتى. التَفَتُّ لأنظر إلى الشارع ثانيةً، فوجدت رم يقطع الجسر الذي أعرف أنه سيوصله إلى منزله.

ليبي

كانت قد تبقت لنا خمس عشرة دقيقة حتى نُنهي غداءنا، وارتمى جاك ماسيلين على المُدَرَّجات وشفته تنزف على قميصه. ورحت أراقبه وهو يُمدّ نظره بعيدًا عند خط الأشجار، وأحاول أن أتلبس جلده ثانية وأضع نفسي مكانه.

فكرت في العودة إلى المنزل، وكيف سيكون الأمر لو دخل أبي المنزل ولم أستَطِع تمييزه، أو عادت أمي من الموت بفعل معجزة ما ولم أعرفها. ولو تلبست جلد جاك ماسيلين ووضعت نفسي مكانه، كنت سأشعر بوحدة قاتلة. وربما بالفزع، فكيف لي أن أعرف من أضع ثقتي بهم؟

جلست بجانبه وقلت: «إنها ليبي ثانيةً». رغم أني لا أحتاج إلى قول هذا على الأرجح، إذ إن هذا واضح وضوح الشمس في هذه المجموعة، حتى لشخص يعاني عمى التعرف على الوجوه.

وراح يشخص ببصره تجاه الشارع كأنه يتوق إلى عراك آخر. وأخذ الدم يقطر من أسفل ذقنه على قميصه، ولم يفعل أي شيء ليمسحه، فناولته منديلًا.

- لا، شكرًا.

- خذه، فلا ينبغي أن يراك سويني هكذا.

مسح على ذقنه بالمنديل، فجَفَل قليلًا من الألم، ثم وضع علبة المياه الغازية عليه كأنها كيس ثلج. ثم حدجني بنظرة جدية، وقال: «هل كان هذا بسببي؟».

- ماذا؟

- فلابي ستاوت، هل تسببتُ في هذا؟ بقيامي بلعبة المصارعة؟ أود أن أعرف على وجه الدقة كيف يجب أن أشعر بمدى كوني شخصًا مؤذيًا الآن.

- لم تكن لك يد في الأمر، بل يتعلق بشخصية موسيز هانت، كونه موسيز هانت. موسيز هانت نفسه، ذاك الشخص الذي كان عليه في الصف الخامس.

- موسيز هانت. عظيم.

للإخوة هانت سمعة سيئة، شأنهم شأن عصابة جيمس[1]، فثمة خمسة منهم على الأقل، أو أكثر، إذ إن أبَوَيهم ينجبان الأبناء فحسب. من الناحية العمرية، يأتي موسيز في منزلة ما بين الإخوة الصغار، رغم أنه يبدو في عمر الأربعين، وذلك يرجع إلى ظروفهم المعيشية الصعبة، أو سِنِّه المخلوعة، وكذا إلى حقيقة أنه بالغ الحقارة.

سأل جاك: «هل أنتِ بخير؟».

أجبته: «كل ما في الأمر أنه بيننا ماضٍ، فجزء مني يود لو أني تركتك تقتله، أما بخلاف ذلك، فنعم، أنا بخير». كنت مرتبكة، ولكني بخير، قلبي يخفق، ولكني بخير، صدري منقبض، ولكني بخير. «شكرًا لدعمك لي». هز جاك رأسه، وشَخَصَ ببصره تجاه الشارع مجددًا. جلسنا هناك برهة، يراقب جاك الشارع وأراقبه أنا. وفي نهاية المطاف قلت: «إن لم تتوخَّ الحذر، فقد تصطدم بشخص أشد غضبًا منك».

رَد: «أشكُّ في وجود هذا الشخص». وهذا ليس كلام جاك ماسيلين الجذاب، بل كلام فتى أثقلت الحياة كاهله. وضعت نفسي هناك، داخل جلده. أفعل هذا مثل أتيكوس[2]، ومع أمي.

قلت: «إن لم تكن حذرًا، فستأكل الكثير من الطعام، وستحشر في منزلك، صدقني. فأنت تظن أن لا أحد يتفهم وضعك، وأنك وحيد، وهذا يؤجج غضبك، وتكون كمن يقول: *لِمَ لا يتفهمون؟ لِمَ لا يقول أحدهم:* «مرحبًا، *يبدو أن العالم*

---

(1) عصابة جيمس (1866 - 1882)، أسسها جيسي جيمس وإخوته في الولايات المتحدة، ميزوري. كانت العصابة تسرق البنوك، والقطارات، والأغنياء، كما كانت مثالًا على الخارجين عن القانون في الغرب الأمريكي المتوحش. (المترجمة)

(2) أتيكوس من رواية أن تقتل طائرًا بريئًا. (المترجمة)

قد أَثقَل كاهلك، دعني أحمل عنك هذا الثقل، دعني أحمله بعض الوقت حتى لا تحمله وحدك طيلة الوقت». ولكن تقع عليك مسؤولية الحديث والإفصاح». ثم هتفتُ به قائلة: «تحدث إن كان لديك ما تقوله!».

التفت الطلاب الآخرون الذين يخضعون للاحتجاز العقابي وحدقوا إليَّ، فأشرت إليهم.

- أنتِ امرأة بالغة حكيمة.

- أنا كذلك بالفعل، وستَعجَب من ذلك. ولكني قضيت الكثير من الوقت في القراءة، ومشاهدة البرامج الحوارية، والتفكير. الكثير جدًّا. الكثير من الوقت في التفكير. أحيانًا جل ما كنت أفعله طوال اليوم هو أن أجول في عقلي.

- إذن ما الذي يُغضِبُكِ؟

- الحمقى، المزيفون، الأنذال، فخذاي، أنت، الموت، حصة الألعاب الرياضية. يتملكني القلق من الاحتضار دومًا، طوال الوقت.

عَدَّلَ مكان علبة المياه الغازية حتى تتسنى له رؤيتي بصورة أفضل.

- ماتت أمي لما كنت في العاشرة. استَيقَظَتْ ذاك الصباح شأنها شأن أي صباح، وذهبتُ أنا إلى المدرسة، وأبي إلى العمل، وما قلت لها إني أحبها إلا لأنها قالتها أولًا. ثم قادَتْ سيارتها إلى المستشفى. كانت تشعر بالدوار. ولكن بوصولها إلى هناك، لم تعد تشعر بالدوار، ولكن الأطباء طلبوا إجراء بعض الفحوصات على أي حال.

وضع علبة المياه الغازية أرضًا، ولكنه لم ينبس بكلمة.

قلت: «في لحظة كانت تتحدث معهم، في اللحظة التالية لم تكن كذلك. حدث الأمر في طرفة عين: واعية...». فَرقَعتُ أصابعي، ثم تابعت: «غير واعية. قال الأطباء إن سبب الوفاة كان نزيفًا في شطر المخ الأيمن. انفجر شيء ما فحسب».

- كما الحال في تمدد الأوعية الدموية؟

أجبت: «نوعًا ما. أُخرِجت من بين الجَمع، وأتى أبي ليأخذني. ذهبنا إلى المستشفى حتى يتسنى لي توديعها. وكان على أبي إخبارهم بأن يوقفوا الأجهزة. ثم بعدها بنصف ساعة، ماتت. وأخبرتني إحدى الممرضات أنه «يمكن أن تتوارثه العائلة»، لذا فقد ثَبتَ في عقلي أني سأُصاب به. ولا تزال

احتماليته قائمة». رحت أتحقق من نبض قلبي. *أجل، يبدو أنه بخير*. تابعت: «أوَيتُ إلى فراشي تلك الليلة ويتردد في عقلي: *كانت هنا الليلة الماضية. كانت هنا هذا الصباح. والآن قد رحلتْ، وليس عدة أيام، بل إلى الأبد. كيف يمكن لشيء أبَديٍّ كهذا أن يحدث في غمضة عين هكذا؟* بلا أي مقدمات، ولا إنذارات، *ولا أي فرصة حتى يتسنى للمرء القيام بما خطط له. ولا أي فرصة للوداع*».

تقوَّسَ حاجباه أكثر فأكثر، حتى بَدَوَا كحرف V. وأخذ ينظر إليَّ كأنه يطَّلِعُ على ما في قلبي وروحي.

- الآن أنت الشخص الوحيد الذي يعرف شيئًا عني.

- أنا آسف لخسارتكِ أمكِ.

قلت: «أنا آسفة أيضًا». وحدقت إلى غدائي وأدركت أني لست جوعى. في الماضي، كنت سآكله عن آخره لمجرد أنه أمامي. أظن أن هذا يجعلنا متعادلين.

- أهو كذلك؟

- لن تلكمني، إنْ كان هذا ما تفكر فيه.

ضحك ثم قال: «ليس كذلك». وتمهل قليلًا، ثم أردف: «ما المكتوب على حذائك؟».

مددت قدمي حتى أُريه، وقلت: «اقتباسات أحبها من الكتب».

أشار إلى أحدثها، المكتوب بقلم خطاط أرجواني، ذاك الذي يقول: «*المزيد من الوزن*».[1]

- أين سمعتُ هذا من قبل؟

- جايلز كوري، من مسرحية *البوتقة*.[2] كان آخر مَنْ أُعدِمَ في سلسلة محاكمات ساحرات سالم. كان ذلك منطوقه الأخير، كان مثل: تبًّا لكم. للأشخاص الذين كبسوه تحت الحجارة حتى الموت.

ظهر السيد سويني ونادانا حتى نرجع إلى الداخل.

---

(1) قالها جايلز، الذي حُكِمَ عليه بالكبس بالحجارة من أجل تهمة لم يرتكبها، فكان يطلب منهم وضع المزيد من الوزن (الحجارة) حتى يُعَجِّلوا بموته. (المترجمة)

(2) مسرحية لآرثر ميلر تحكي عن سلسلة محاكمات عُرِفَت بمحاكمات ساحرات سالم في ماساتشوستس، التي أُقِيمَت وحُكِمَ فيها بالإعدام على نساء ورجال دون دليل أو بينة. ويُحاكي ميلر في مسرحيته واقع الحياة الأمريكية، والمكارثية التي سادت عصره، وكان هو نفسه ضحية لها. (المترجمة)

وبينما نحن نجمع مخلفاتنا ونمشي تجاه الأبواب، هتف جاك: «موسيز ومَن أيضًا؟».

سألته: «ذاك الذي تنمر على جوني رامسفورد؟»، فأومأ. فأجبته: «أخوه مالكولم، وكذلك ريد يونج».

سأل: «مالكولم؟»، فأومأت. فرد: «تبًّا، إنه أحقرهم جميعًا».

- أظن أن الاثنين الآخرين من طلاب السنة الأخيرة.

قال بينما يضع يده في جيبه: «أشكركِ».

- على الرحب والسعة.

انجذب الضوء إلى شعره الأشعث واستقر به. *وفجأة!*

بلا أي مقدمات.

وبتلك الطريقة.

وعيت وعيًا تامًّا بوجوده الرجولي بجانبي: ساقَيه الطويلتين، ومشيته السلسة البسيطة، كأنه قد خُلِقَ ليمشي في الماء. ولكنها في الوقت نفسه تخدم غرضًا ما، مما يجعله يبدو أطول مما هو عليه. ولا يوجد الكثير من الأشخاص من عمري نفسه يمشون بهذه الطريقة، *باختيال.*

كما لو كنت قد اكتشفت ذكورته فجأة. فسَرَتْ سخونة في وجهي، وغدا ظهري رطبًا بفعل التعرق، ورحت أفكر في بولين بوتر، والدخول في العلاقات الحميمية حتى أخسر كل هذا الوزن. وكنت أنظر إلى يديه وكأني أقول: كفي *عن النظر إلى يديه. ما الذي تفعلينه؟ إنه عدوكِ! حسنًا، ربما ليس العدو، ولكن بالطبع لن تفكري فيه بهذه الطريقة.*

أدركتُ أنه كان آخذًا في الحديث، فعدت بهمة إلى الانتباه إليه. كان يقول: «أُريدكِ يا ليبي ستراوت، لطالما أردتكِ. وهذا هو السبب الذي من أجله أمسكت بكِ».

أو ربما كان يقول في الحقيقة: «قد لا ترين هذا، ولكني أبتَسِمُ في صميمي».

قلت: «وأنا أبادلك الابتسام». ومع أن شفتي ليست مشقوقة مثله، حاولت أن أجعل وجهي خاليًا من أي تعبير. ولكني لم أقوَ على مغالبة الأمر، ولسبب من الأسباب، افتَرَّت شفتاي عن ابتسامة كانت جليَّةً للجميع.

جاك

أوصلتُ كارولاين إلى باب بيتها بحلول منتصف الليل. وعند الدرج، أمسكتُها من خصرها وقربتها مني. كان جسدها متصلبًا كأنه من عِصِيّ المكانس والرخام. واعترتني رغبة في سؤالها عما يجعلها على ما هي عليه: متزمتة، ومتحكمة، وخسيسة. ورحت أتساءل أين تكون كارولاين الذكية في الوقت الحالي، وإذا كان اليوم الماضي حقيقيًّا أم ضربة حظ، وكارولاين الأحدث والأكثر بريقًا قد ابتلعت كارولاين القديمة كليةً. أردت أن أقول لها: *هل من أحد بالداخل؟* وبدلًا عن ذلك، شدَدَتُ في تقريبها مني، ولففت كلتا ذراعيَّ حولها، وحاولت اعتصار كارولاين الذكية المرتبكة اللطيفة منها.

هتفت: «أووه، أنت تقسو في فعل هذا دومًا». ثم دفعتني، وتابعت: «قد يحبها الناس أكثر لو أنها تخلت عن شعورها الدائم بالمظلومية».

- مَنْ؟

رَدَّت: «ليبي ستراوت». لقد داومت على الحديث عن ليبي طوال الليلة: على العشاء، وفي السينما، وفي طريق عودتنا إلى البيت.

ضحكت، لأن هذا كان مضحكًا جدًّا، خصوصًا لأن كارولاين مَنْ تقول هذا.

- لِمَ يُضحِكُكَ هذا؟

- ليس مضحكًا، ولكنك تعرفين، الإناء والغلاية[1].

---

(1) «The pot calling the kettle black» مَثَل أصله إسباني، ومعناه: «يُعَيِّرُ الإناء الغلاية بسوادها». ويُذكر عندما ينتقد شخص شخصًا آخر فيه الصفات نفسها. (المترجمة)

عقدت ذراعيها، وقالت: «لا، لا أعرف. أخبرني بالمزيد».

بَسِّط الأمر، قُلْ لها ما ترغب في سماعه.

ولكني لم أفعل، لأنه باغتني شعور بعدم مقدرتي على ذلك. لقد أرهقتني، وأرهقتها كذلك، لقد أرهقنا أحدنا الآخر في علاقتنا. لقد كنت أقول لها ما ترغب في سماعه على مدار السنوات الأربع الماضية.

قلت: «أتعرفين؟ سأتحدث إليكِ فيما بعد».

- إذا مشيت مبتعدًا يا جاك، فلا تعد ثانية. فليس مسموحًا لك بفعل هذا والعودة ثانية.
- شكرًا، فَهِمت.

شعرت بتلك الطاقة الغريبة المنفعلة تسري بي، كأني أفعل شيئًا عظيمًا ويغير الحياة. أقنعت نفسي بينما أرجع إلى سيارة اللاند روفر وأقودها مبتعدًا: *أنت تحتاج إليها.*

***

توجهت مباشرة إلى ساحة الخردوات، حيث قفزت من فوق السور، وتمشيت داخل الساحة، ولم يُضَيِّق عليَّ أحد، إذ إن الوقت كان متأخرًا، ولا يوجد بالمكان غيري. ويا لروعة ما قد تجده: أغراض مؤلفة من لوحات أرقام السيارات، ومفكَّات قديمة، ومصدات صدمات معدنية. والشيء الأعظم بين كل الأشياء بالنسبة إليَّ هو التروس. فلا يهم إن كانت كبيرة أو صغيرة، التروس أشبه بمصدر طاقة لكل الآلات، الشيء الذي يحدد قوتها وسرعتها.

رحت أنَقِّبُ عن الأشياء فترة، وعَمَّ الهدوء والسكينة المكان، كأني الإنسان الوحيد في الجوار. ولكن عقلي ليس موجودًا في هذا الإنسان، ولا حتى قلبي، فالكثير من حياتي يبدو بهذه الطريقة، أحاول تدوير شيء قديم ليكون جديدًا وأفضل، أضفي على نفاية أحدهم حلة جديدة وبَرَّاقة.

***

أخرجت هاتفي عند مدخل منزلي، فوجدت ثلاث عشرة رسالة نصية وبريدًا صوتيًّا من كارولاين، كانت قد أرسلتها على مدار الساعة الماضية. وثمة رسالة نصية من كام، وأخرى من سيث. فتحت بريدي الإلكتروني، وتريثت إلى أن

يُحَمِّل. وراح عقلي يفكر في ليبي ستراوت عندما رأيته، ذاك البريد المُستَلَم في تمام الساعة 6:35 مساءً.

ردٌّ من براد دوشاين، من المراكز البحثية لعمى التعرف على الوجوه في دارتموث.

يوم الإثنين

ليبي

كانت هيذر ألبيرن وفريق الفتيات الاستعراضي قبل الحصة الأولى يُجرين تدريبات في ملعب كرة القدم، ووقفتُ عند الخطوط الجانبية للملعب ورحتُ أراقبهن. ولانبهاري الشديد برؤيتهن، لم أستطع التحرك، لأن ها هن أولاء هناك. حلت الذكرى الخامسة والستون لإنشاء فريق الفتيات الاستعراضي هذا العام. وكان التأسيس الأصلي للفريق على يد طالبتين مُحِبَّتين للرقص، وتكوَّن الفريق في بدايته الأولى من عشرين فتاة. وكن يرتدين تنانير تصل إلى رُكَبِهن، وهو ما كان صادمًا لبعض الناس. وارتدين قفازات بيضاء، وأدَّين عروضهن بالكريات المزركشة والأعلام. أما الآن، فثمة أربعون عضوة، تِسعٌ وثلاثون من غير تيري كولينز. وسيحول جميع سكان آموس بحلول نهاية العام الدراسي أنظارهم إلى عرض فريق الفتيات الاستعراضي، الذي يُقام في قاعة الاحتفالات الأهلية، مركز الفنون المسرحية في البلدة.

ولي رغبة في أن أكون على ذاك المسرح.

***

كانت حالتي المزاجية رائقة، إلى أن حَلَّ موعد الحصة الثالثة، فقد واجهت موسيز هانت دون وقوع كوارث رغم كل شيء، وقد عزمت على أن أكون عضوة في فريق الفتيات الاستعراضي. وقد تلبست جلد جاك ماسيلين ووضعت نفسي مكانه، وكنت الشخص الأعقل[1] بالطبع.

---

(1) التعبير «bigger person» مستخدم على وجهين، بمعنى الأعقل والأضخم حجمًا. (المترجمة)

في واقع الحال، أخذتُ أُصَفِّرُ بينما أمشي إلى خزانتي. فتبعتني آيريس بغية معرفة سبب سعادتي البالغة. ثم فتحتُ الباب.

وانهالت الرسائل مثل قصاصات الورق الملونة الصغيرة، وتبعثرت في كل أنحاء الممر، كأنها سجادة تفرش الأرض. وراح الناس يدوسونها وهم يمرون، وجثوت أنا على ركبتي لأجمعها قبل أن يراها أي أحد ويعرف أنها لي.

مالت آيريس إلى الأرض لتساعدني، ثم فتحت رسالة وقرأت «أنتِ لستِ مرغوبة»، ثم فتحت أخرى ووجدت «أنتِ لستِ مرغوبة». فشَدَدتُ الرسائل من يدها حتى لا تقف هناك تقرأ كل واحدة منها، فلا بد أن ثمة مئة منها. وسألت: «هل هذه الرسائل إليكِ؟».

- على ما أظن يا نانسي درو.[1]

- من عساه يفعل هذا؟

ولكني أعرف أنه سؤال استفهامي مجازي، لأن آيريس إنجلبريكت دون غيرها تعرف ما في وسع الناس فعله.

ولما لم أُجِبها، قالت بصوتها شديد الإحباط والكآبة الواقعي مثل إيور[2]: «عليكِ التحدث إلى أحدهم. خذي الرسائل إلى المديرة. هيا بنا، سأرافقكِ، لنذهب حالًا. يمكنهم أن يكتبوا لنا إذنًا للحصة التالية».

أخذتُ أحشر الرسائل في حقيبة ظهري، وقلت: «لن أذهب إلى المديرة بتلك». وبدا صوتي مجروحًا، وغاضبًا، ومُحبَطًا، مثلما أشعر تمامًا.

- ألستِ أنتِ من أخبَرَتني بأن أكون شجاعة؟

- لم أخبركِ قط بأن تكوني شجاعة.

- لقد قُلتِ لي لو لم أتحدث عن الأمر، فقد يظن ديف كامينسكي أنه يمكنه أن يستمر في فعل مثل هذه الأشياء بي.

- هذا أمر مغاير.

- كلا، ليس مُغايرًا. عليكِ أن تريهم أنه ليس بإمكانهم فعل هذا بكِ. لنذهب.

---

(1) لقب يُطلَق على شخص يطرح الأسئلة ويقوم بدور المحققين. (المترجمة)

(2) إيور من كتاب ويني الدب، الذي كان يتسم بالكآبة الشديدة. (المترجمة)

أمكنني الشعور بأن الخفقان الضارب في قلبي قد بدأ يهدأ ويتوازن، وذاك تأثيرٌ آخر لآيريس على الآخرين. إنها المُعادِلُ البشري لعقار فاليوم المهدئ.

أغلقتُ باب الخزانة بقوة، ووضعتُ حقيبة الظهر على كتفي، وأخذت أمشي. كان وزن هذه الرسائل يثقلني ويثبتني في الأرض. ومشت آيريس بتثاقل من خلفي، وكانت لا تزال تتحدث: «حسنًا، فهمت الأمر. في ظني يمكنكِ النظر إلى الجانب المشرق من الأمر بدلًا من ذلك، فالأمر لن يدوم إلى الأبد، ففي نهاية المطاف سيجدون شخصًا آخر يصبون تركيزهم عليه، ومن ثم سيغدو أمر مصارعة الفتيات البدينات في طي النسيان».

وفي اللحظة نفسها، مرت بنا مجموعة من الفتيان يصرخون ويصيحون تجاهي بأشياء مثل: امتطوا جيدًا يا رفاق! مَنْ يريد دورًا؟

«أوغاد». أتت هذه الكلمة من آيريس، لأنه بدلًا من أن أتحدث، أخذتُ أفعل الشيء الذي اعتدته في صغري، حاولتُ أن أجعل نفسي أصغر حجمًا بالقوة، وكأنما لو بَالَغتُ وشددت في تركيزي على فعل ذلك عساي أبدأ في الانكماش إلى أن يغدو حجمي عاديًّا كالجميع، حجمًا مقبولًا، أيًّا كان، حجمًا لا يؤرق الآخرين.

خبطتْ آيريس ذراعها في ذراعي، كما لو كانت تنبهني بوجودها، وأني لست وحدي. ولكن لسبب ما أغضَبَني هذا، فأنا لم أتطوع قط لأكون مُخَلِّصَتَها وحَامِيَتَها، فلا يمكنني حتى حماية نفسي. وراحت تغني مقطع الأسد الجبان من فيلم *ساحر أوز*: «إن كنت أمتلك الشجاعة».[1] وقدر ما كان مزعجًا، عليَّ الاعتراف بأن لآيريس صوتًا غنائيًّا عذبًا للغاية.

بم.

بم.

بم.

توقفت عن السير، وعلا صوتي على صوت غنائها قائلة: «لِمَ تريدين أن تكوني صديقتي بأي شكل؟ هل لأني أجعلكِ تبدين بمظهر أقل غرابة عندما

---

(1) فيلم ساحر أوز المقتبس من رواية «ساحر أوز العجيب» لليمان فرانك بام، التي تُعَدُّ إحدى أشهر كلاسيكيات الأدب الأمريكي. والأغنية المقتبسة هنا هي "If I Only Had the Nerve". (المترجمة)

نوضع في مقارنة؟ أم لأنه بوجودكِ معي يتركك الجميع وشأنكِ من قبيل التغيير ويركزون علي؟».

اتسعت عينا آيريس إنجلبريكت، ثم ضاقتا، وراحت تحدق إليَّ كأنها تراني حمقاء كذلك، ثم ردت مستفهمةً: «ألأنه عندما لا تكونين فَظَّةً مثل ذلك فأنا أحب صحبتكِ؟ ألأنه بغض النظر عن هذه الفظاظة فأنتِ قدوتي؟». ثم مشت مبتعدة.

قالت كيندرا وو بنبرة تخلط فيها بين الاستفزاز والتفاخر وهي تتمشى مع كارولاين لاشامب: «المتسول لا يملك الاختيار».

وقفت هناك ويدي مستندة إلى باب الفصل، وهتفت: «ما المفترض أن يعنيه هذا؟».

كانتا لا تزالان تبتعدان عني، ولكن كارولاين حانت منها التفاتة وهي تمشي برشاقة إلى الخلف مثل مشيتها الاعتيادية، وقالت: «ما تحاول قوله هو أنه لا يمكن للمرء هدم الجسور في حين يقف معزولًا في جزيرة». ثم افتَرَّت شفتاها عن أخَسِّ ابتسامةٍ رأيتها في حياتي.

***

في دورة تعليم القيادة، قال السيد دومينجيز: «ليبي؟ وقتما تحببين الانضمام إلينا».

قلت: «عذرًا». وتوقفت عن التحديق إلى الفراغ.

مَرَّرَت إليَّ بايلي رسالة قصيرة تقول: *هل أنتِ على ما يُرام؟*

بدلًا من الإجابة عن هذا، جلست وتظاهرت أني أُبدي الانتباه. وحتى عندما قال السيد دومينجيز: «نحن مستعدون للبدء في قيادة السيارة الأسبوع المقبل». اللحظة التي لطالما انتظرتها طوال حياتي القصيرة البائسة، كنت كأني أجلس في غرفة أخرى في مدرسة أخرى متناهية البعد.

جاك

كنت في الحمام بعد الحصة الثالثة، عندما دخل شخصان إلى هناك. كانا أبيضين، وليست لهما صفة مُميِّزة، غير أن أحدهما ضخم الجثة، والآخر يقارب طوله طولي. أغلَقَا الباب، وكانت هذه إشارة لا تبشر بالخير، لأنه طوال وجودي في مدرسة مارتن فان بورين الثانوية، لم يُغلَق عليَّ الباب بهذه الطريقة.

سألت: «ماذا هنالك؟»، وأومأت إيماءة رأسي الاعتيادية، وتصرفت تصرفًا طبيعيًّا. وحتى مع عدم تمييزي وجهيهما، فإني مَيَّزتُ حركتهما. كانا يشتاطان غضبًا. مشيت متمهلًا تجاه المخرج، وحاولتُ بما في وسعي أن أبدو غير مبالٍ في هذا الوضع بعينه. إلا إن الشخص الأصغر في البنية الجسدية اعترض طريقي.

- لَمَّا عبثتَ مع حبيبتي، تغافلتُ عن الأمر، ولكن عندما تهاجمني أنا وأصدقائي دون سبب وجيه وتحاول أن تبرحنا ضربًا؟ فإياك وهذا يا رجل. إياك أن تعبث مع مَن أحبهم.

تبين لي من هذا على وجه التأكيد تقريبًا (من المحتمل) أنه ريد يونج، وأن وراءه تحديدًا على وجه التأكيد (من المحتمل) يقف موسيز هانت. وكنت أشعر شعورًا كافيًا بالتهور لأقول: «إذن أتقول إنك تحبه؟». وأومأت نحو موسيز.

ثم قفزا إلى الأمام ليمسكا بي. وكنت لا أقوى على الدخول في عِراكٍ آخر، لذا فقد خفضت رأسي وجسمي لأتفادى هجومهما. والشخص الذي من المحتمل أنه ريد، افترش الأرض، في حين أن الشخص الذي من المحتمل أنه

موسيز، ارتد عن الحائط. ثم فتحت الباب عن آخره، وخرجت من هناك. ولم أَجرِ. قطعًا، لا، بل انطلقتُ كالنار في الهشيم، قاطعًا طريقي إلى الممر.

طوال وجود الإنسان، اعتمدنا نحن البشر على التعرف على الوجه من أجل النجاة. فقديمًا في أزمان إنسان الكهوف، كانت تعتمد حياة الإنسان أو موته على قدرته على التعرف على الوجوه، إذ تَعَيَّنَ على المرء أن يعرف عدوه. وهأنذا، بالكاد قدرت على الخروج حيًّا من حمام المدرسة الثانوية.

ليبي
مكتبة
t.me/soramnqraa

كان السيد ليفين (يرتدي ربطة عنق فراشيَّة بلونٍ أزرق زاهٍ، وينتعل حذاءً رياضيًّا بلونٍ أزرق زاهٍ) يجلس على قوائم المُدَرَّجات ينتظرنا بينما ندخل إلى صالة الألعاب القديمة. ثم جلسنا في مقاعدنا الاعتيادية. ثم بعدما تسنت لنا الفرصة حتى نستقر، هَبَّ واقفًا، وقال: «سنجرب شيئًا مختلفًا اليوم». وهو ما يقوله كل يوم.

وإلى الآن، كنا قد غنينا الأغنيات، وجرينا مضمارًا به عوائق من نوع ما (نتوقف عند كل نقطة للحديث عن شعور ما محدد، أو طرائق قد نغير بها سلوكياتنا)، ومثلنا مشهدًا من حلقة من مسلسل *ستار تريك*[1]، حول اثنين من الأعداء يتعين عليهما العمل معًا للنجاة. ويسمي السيد ليفين هذه بـ «تمارين تنشئة المراهقين».

ولكن هذه المرة، خرج من صالة الألعاب.

انتظرنا، ولما لم يرجع السيد ليفين، سأل ترافيس كيرنز: «أيمكننا المغادرة؟».

ثم عَمَّ الظلام أرجاء صالة الألعاب، وكان الضوء الوحيد الذي يشع في المكان آتيًا من تلك النوافذ الضيقة أعلى السقف. بعد هنيهة، بدأت الغرفة تدور من تأثير كرات الضوء الدوارة. كانت ألوان الضوء مؤلفة من الوردي،

(1) سلسلة خيال علمي أمريكية شهيرة في كل أنحاء العالم، تدور أحداثها في الفضاء. (المترجمة)

والبرتقالي، والأخضر، والأصفر، والأزرق. كانت أشبه بما تخيلته عن ملهى رقصٍ أوروبي في السبعينيات.

- ما هذا بحق...

لكن لم يُكمل ترافيس جملته، إذ دوت أغنية من نظام مكبر الصوت. كان الصوت عاليًا للغاية، حتى كدت أسَدُّ أذنيَّ. كانت أسخف أغنية من الثمانينيات سمعتها على الإطلاق، وكل ما كان ينقصنا هو منسق أغانٍ، وباقة من الورد على قميصي.

عاد السيد ليفين إلى داخل الصالة، وقال: «هُبُّوا واقفين». وأشار بيده كأنما هو قائد الأوركسترا ونحن فرقته الموسيقية. وتابع: «انهضوا، انهضوا، إننا نضيع الوقت. لنعمل على بناء حب الذات».

وقفنا واحدًا تلو الآخر. بدأ كيشوان وناتاشا يرقصان الرقصة الهادئة البطيئة على سبيل المزاح، ولمَّا توقفا، قال السيد ليفين: «استَمِرَّا، أجل، إنه بتلك البساطة. والآن، فلينضم إليهما بقيتكم».

طلب ترافيس كيرنز من مادي الرقص معه، التي كانت جميلة لكن خجولة، إذ كانت تنظر إلى قدميها طوال الوقت. ورغم أنه لا يوجد الكثير من الفتيات للرقص معهن، فلم يطلب مني أحد الرقص معه. وشرع آندي ثورنبرج يرقص الفالس مع شريكة غير مرئية، *إذ -على ما يبدو- إن الرقص وحيدًا أفضل من الرقص معي*. خفق صدري. الإشارة الأولية على الهلع.

هتف السيد ليفين: «اطلب منها الرقص معك يا جاك».

- ماذا؟

- لقد سمعتني.

تبادلنا أنا وجاك النظرات.

- قبل انتهاء الأغنية من فضلك.

وبقينا واقفين هناك، وقد أصبحت يداي مبتلتين بفعل العرق. الإشارة الثانية على الهلع. وما سيحدث تاليًا سيكون هذا الانضغاط الغريب في صدري ورأسي، كأنما تعتصرني أفعى الأصلة العاصرة العملاقة. وسيغدو كل شيء بالتدريج مظلمًا وبعيدًا، وسأتقلص إلى أن أكون في حجم إنسان عادي، ثم أواصل التقلص إلى أن أكون صغيرة بما يكفي حتى أُسحَقَ تحت حذاء أحدهم.

وأخيرًا، أخرج السيد ليفين جهاز التحكم ذاك ونقر فوقه، ثم بدأت الأغنية من جديد. تأوَّه الجميع، فقال: «يمكنني مواصلة فعل هذا اليوم بطوله، فهاتفي مشحونٌ بالكامل، وثمة المزيد من الأغاني المماثلة في الهاتف، وحتى أسوأ منها».

تبادلت أنا وجاك النظرات، وراحت الأضواء تومض على وجهه، مما جعل عينيه تتحولان إلى اللون الأخضر، والبني، والأزرق، والذهبي، كأنه حرباء تغير ألوانها.

مَدَّ إليَّ جاك يده، فأمسكتها. هذا لأنه يتعين علينا ذلك. *ليست هذه هي الطريقة التي في مخيلتي عن أول حفل راقص في المدرسة.*

بحثتْ كلتا يدينا عن بعضهما بارتباك، ووقفنا مبتعدين قدر الإمكان، كما لو كان يفصل بيننا أحدهم بمسطرة. أكثر في الشبه بعصا القياس. رحنا نجرجر أقدامنا إلى الأمام والخلف كما لو أننا مخلوقين من خشب، ونحدق إلى السقف، والأرضية، والجدران، والطلاب الآخرين، وأي شيء، ولكن ليس أحدنا إلى الآخر.

وزاد سخف الأغنية كلما تقدمت، وأخذت الأضواء تلف، وتتألق ببريقها اللامع، وعيناه تومضان باللون الأخضر، والبني، والأزرق، والذهبي. ثم فجأة، وجدتني أفكر في راحَتَي يدي، وكم هما تتصببان عرقًا. ولم يكن بمقدوري إلا أن أسمع جاك ماسيلين راجعًا إلى أصدقائه ويخبرهم عن راحتَيَّ المتعرقتين، وكيف كانت تجربة الرقص مع الفتاة البدينة.

عَلَّق جاك: «قد يثنيني هذا عن الحفلات الراقصة المدرسية إلى الأبد».

كان شعوري الأولي هو أنه يقصدني، أو يقصد يديَّ المبتلتين، لذا رددت: «حسنًا، لَستُ أحظى بأسعد وقت في حياتي بالمعنى الحرفي للكلمة».

- لم أقصد أنكِ ستثنينني، رغم أنكِ تفعلين هذا الآن.

قلت: «عذرًا». إذ أدركت أنه يقصد الأغنية، والأضواء، والسيد ليفين، الواقف هناك مثل الوصيفة المرافقة الأكثر نباهة في العالم.

كنا شبه نتمايل الآن، وكان هذا لا بأس به، إذ إن تلك هي المرة الأولى التي نتلامس فيها دون أن أضربه، أو أمنعه من ضرب أحدهم.

قلت: «هذا أول حفل راقص لي في المدرسة».

- حقًا!

- حسنًا، إنه الشيء الأقرب إلى حفل راقص شاركت فيه، على أي حال. وأنا بهذا لا ألزمك أي شيء.

- ما من ضغط، إنه القلق المفرط على الأداء، حلم كل رجل.

- لست راقصًا مروعًا.

- تبلغ ثقتي عنان السماء الآن.

- كل ما في الأمر أني لم أتخيلها بهذه الطريقة.

- حسنًا، وكيف عساي أغير هذا؟

- آه...

- جمالكِ باهِ الليلة.

وما إن أدركت أنه يشارك في الرقص، حتى ثبتت قدماي على الأرضية كأنهما جذور تمتد فيها. وشدَّد جاك في إمساكه بي، ونكزني بلطف ليحثني على التحرك ثانية.

ثم قال: «خصوصًا في هذا الفستان، فلونه يضفي على عينيكِ جمالًا».

قلت: «حقًّا». ورحت أفكر. ثم تابعت: «أسماه موظف المبيعات بنيَّ هيرشي».[1] *أوف. ماذا؟*

- في الواقع أشبه بلون الكهرمان.

وراح ينظر إلى عينيَّ كأني الشيء الوحيد الذي يقع ناظراه عليه. وقلت لنفسي: *يا له من ممثل بارع*، بينما تسري تلك القشعريرة الحثيثة أسفل ظهري. ثم انتشرت بوتيرة أسرع في ظهري، وفي كتفيَّ، وامتدت إلى أسفل ذراعي.

وفجأة، أخذنا نرقص متقاربين، وكنت واعية، ليس ليديه فحسب، بل لكل إصبع من أصابعه تلامس جسدي، وساقيه وهما تخبطان ساقيَّ. وددت لو ملت إلى الأمام واستنشقت نفحة من عبيره، وأرحت رأسي على كتفه، أو ربما تحسست رقبته. ثم بعد ذلك سيوصلني إلى المنزل، ويقبلني عند عتبته، قبلة رقيقة في البداية، ثم تزداد حرارة، حتى نسقط بين الشجيرات، ونتدحرج في فناء المنزل.

ثم دون أي مقدمات، توقفت الأغنية، وبدأت أغنية ذات وتيرة سريعة. وفتحت عينيَّ فجأة، فابتعدنا عن بعضنا في الحال، ومسح جاك يديه في بنطاله الجينز. *أوووه*.

---

(1) نوع من الشوكولاتة. (المترجمة)

هتف السيد ليفين: «لا تتوقفوا، إنها منافسة في الرقص. فلتنطلقوا، هيا، هيا!»، وأخذ يرقص كالمجنون. في لحظة، كل ما أمكننا فعله هو التحديق إليه فاغرين أفواهنا، وأعني لكون أدائه مذهلًا، فقد راح الرجل يتراقص بساقيه وذراعيه، وشعره يتطاير. ثم أضاف: «كلما توانيتم عن الرقص، طال وجودكم هنا. سأراقصكم على ثلاث أغنيات على الأقل». وأخذ يكرر ذلك مجددًا.

هتف جاك ماسيلين: «تبًّا». ثم بدأ يحرك جسده. وفكرت في نفسي: *بالطبع، بالطبع يمكنه الرقص*. ولأنه كقائد الأوركسترا بالنسبة إليهم، شرع الآخرون في الرقص. في البداية آندي، ثم كيشوان، ثم ناتاشا، وترافيس، وحتى مادي. وجاك ماسيلين ليس قائدي، لذا فقد بقيت واقفة هناك.

ومرة ثانية، كرر السيد ماسيلين الأغنية، وقال: «سأواصل فعل هذا حتى ترقصوا جميعًا».

كان ثمة فارق كبير بين أن أدور مع ريتشل في المتنزه شبه الخالي من الناس، وبين أن أبدأ في الاهتزاز والقفز في مبنى المدرسة أمام مرشدي النفسي، وزملائي في الفصل، أو بالأحرى الخاضعين للعقاب التأديبي. وتراجع حلمي بالانضمام إلى فريق الفتيات الاستعراضي في تلك اللحظة، إذ إن تجارب الأداء ستكون أسوأ، ففي تجارب الأداء ستجلس هيذر ألبيرن وقادة مجموعتها –بمن فيهن كارولاين لاشامب– إلى طاولة، يشاهدنني. وإذا كان بوسعي اجتياز الإذلال المحتمل لهذه اللحظة، فكيف *لي أن أؤدي عرضًا مرتدية زيًّا مخصصًا للمدرسة؟*

ولكن... آآآه! هذه الأغنية. إنها في غاية... وأدركتُ أني تقريبًا أنقر بقدمي، وأهز رأسي. قلت في نفسي: *لا، إياكِ يا ليبي*. ولكن الأغنية... أوه، يا إلهي. شعرت بخاصرتَيَّ تبدآن في التحرك قليلًا. *لا، لا، لا. إياكِ أن تفعلي هذا.*

ولكني كنت حيَّةً وحاضرة.

لا نعرف تمامًا إلى متى سيدوم ما بين أيدينا، ولا نضمن المستقبل، فقد أموت في هذا الوقت، وهذا المكان.

قد ينتهي كل شيء في طرفة عين.

لقد استيقظَتْ شأنها شأن أي يوم، مثلما استيقظتُ، ومثلما استيقظ أبي. حسبناه يومًا عاديًّا كباقي الأيام، ولم يعرف أيٌّ منا أننا كنا نستيقظ على أسوأ

يوم في حياتنا. ولو عرفنا سابقًا، فماذا كان عسانا أن نفعله؟ أكنا سنتمسك بها بشدة ونحاول إبقاءها هنا؟

تكررت الأغنية، فهتف كيشوان: «هيا يا ليبي، تبًّا».

ما الذي قد ترغب مني أمي أن أفعله الآن؟ إذا كان بوسعها رؤيتي، فما الذي قد تقوله؟

ثم فاجأنا جاك ماسيلين وخرج عن حركات الرقص تلك، وأخذ كيشوان وناتاشا يقومان ببعض حركات الرقص الروتينية، وراح السيد ليفين يركل ساقيه كأنه هيذر ألبيرن، راقصة الروكيتس[1] السابقة. وحتى مادي الصغيرة الخجولة، كانت تهز كتفيها.

اثبتي، تريثي حتى تنتهي الأغنية. لا تفعلي هذا يا ليبي.

ولكن شعرت برغبة جسدي تطغى على عقلي، وهذا ما حدث. *الرقص كامنٌ فيَّ.* وفجأة، وجدتني منسجمة تمامًا: ألوِّح بذراعَي، وأهز خصري، وأتمايل بشعري. وقفزت قليلًا، ولمَّا لم تَنْهَر أرضية صالة الألعاب، قفزت بارتفاع أكبر.

بدأ جاك بالقفز. وقبل أن أتمكن من منع نفسي، لففت في دائرة، وهتف جاك: «ما اسم هذه الرقصة؟».

تفوهت بأول اسم خطر لي: «السعيد يدور!».

ورحت أدور مرارًا وتكرارًا. ثم حذا السيد ليفين حذوي، وأخذ يدور، وكذا جاك، ودار كل الآخرين كذلك، مثلما تدور الأضواء، حتى انقلبت صالة الألعاب رأسًا على عقب.

***

كانت هيذر ألبيرن لا تزال في مكتبها، ثم قالت بصوتٍ دافئ ناعم كالعسل: «ليبي، أليس كذلك؟».

رددت: «سمعت أن تيري كولينز ستنتقل، وكنت أتساءل إذا ما كانت ستُعقَد تجارب أداء لفريق الفتيات الاستعراضي». كنت لا أزال محمرَّة الخدَّين، وتسري *فيَّ الحماسة كليَّةً* من الرقص. واعترتني رغبة في أن أصعد فوق مكتبها وأجعله مسرحي، وأقوم بتجربة الأداء في هذا المكان، وهذا الوقت، ولكني استعضت عن ذلك بمناولتها طلب التقديم.

(1) شركة روكيتس لعروض الرقص بنمط موحد. (المترجمة)

قالت: «شكرًا جزيلًا لكِ على هذا». وابتَسَمَت، فكان عليَّ أن أُدير وجهي، لأنها بالغة الرقة والجمال. واستَطرَدَتْ قائلة: «سأعلن عن التجارب في الأسبوع المقبل».

***

بدأ المطر يهطل بالخارج، وكان موقف السيارات خاليًا، ولم يأتِ أبي، لذا فقد وقفت مستندة إلى المبنى أحتمي من البلل، رغم أن آخر شيء وددت أن أفعله هو الوقوف مستندة إلى المبنى هكذا، كأني رجعت ثانية ليبي ستراوت التي في الصف الخامس، المنفية من ساحة اللعب.

بعد هنيهة، أتت تلك السيارة التي تشبه الجيب، ثم أُنزِلَ زجاج نافذة السائق، ثم قال جاك ماسيلين: «أتحتاجين إلى توصيلة؟».

- لا.

- أتريدين الانتظار داخل السيارة على الأقل؟

- لا بأس.

ثم كأن السماء انشقت إلى نصفين، وراح الماء ينهمر منها. أسرعتُ إلى السيارة، وفتح جاك الباب عن آخره، ثم دخلتها بما في وسعي من رشاقة، وهو ما يعني للأسف أني رحت أنزلق وأتزحلق في كل أرجاء المكان. وكان حذائي يصدر صوت صرير عند احتكاكه بفرش الأرضية، وشعري يلتصق بوجهي. سحبت الباب بقوة لأغلقه، ثم هأنذا، ضخمة، وألهث، ومبتلة من رأسي إلى أخمص قدمي، جالسة في المقعد الأمامي لسيارة جاك ماسيلين اللاند روفر. كنت واعية لكل شيء يقطر بالماء: شعري، ويديَّ، وبنطالي الجينز. وكانت تلك إحدى المرات التي شعرت فيها أني أشغل حيزًا كبيرًا.

قلت: «سيارة جميلة». كانت الأجزاء الداخلية للسيارة بلونٍ برتقاليٍّ محروق، ولكنها بدائية وبسيطة للغاية، ومتينة. ولكن غدا شيءٌ واحدٌ جليًّا، وهو: *أنا في سيارة شاب لطيف*. ثم أردفت: «إنها أشبه بشيء تركبه في رحلات السفاري».

- شكرًا.

- شاحنة؟ أم سيارة؟ ماذا تسميها على وجه التحديد؟

- ماذا عن أفضل سيارة في آموس؟

- لنكن عقلانيين.

جاك

شَغَّلتُ المدفئة، وراح الضباب يتكاثف على زجاج النوافذ.

قالت: «ظننت الجميع قد غادر».

- كنت أقود مبتعدًا، ثم رأيتكِ تخرجين، فظننت أنك قد تحتاجين إلى توصيلة، أو على الأقل مأوى من المطر.

قالت بينما تخرج هاتفها وتتفقده: «يأتي أبي في الموعد عادة». وكان بوسعي رؤية القلق باديًا عليها، رغم أنها راحت تحاول أن ترمش، عَلَّها تبعده.

- سيحضر.

جلسنا نشاهد المطر ينهمر، وكان صوت الموسيقى منخفضًا، والبخار يكسو النوافذ. لو كانت هذه كارولاين، لكنا نتغزل واحدنا في الآخر.

ثم رحت أفكر في مغازلة ليبي ستراوت.

ماذا بحق الجحيم؟

قلت لنفسي: *تلك هي الفتاة التي شاهدتها والرافعة ترفعها من منزلها.*

ولكني رحت أفكر أكثر في مغازلتها.

توقف عن التفكير في مغازلة ليبي ستراوت.

قلت: «اسمحي لي أن أسألك عن شيء. إذا كان يوجد اختبار يمكنك إجراؤه لمعرفة إذا كُنتِ مصابة بالمرض الذي أصيبَتْ به والدتكِ، فهل ستجرينه؟».

أمالت رأسها إلى أحد الجوانب، ودققت النظر إلى تابلوه السيارة، ثم قالت: «أخذني أبي بعد موتها إلى طبيب مخ وأعصاب، وقال: «يمكنني إجراء مجموعة

من التحاليل لكِ لمعرفة إذا كنتِ مصابة بتمدد الأوعية الدموية في المخ. وفي حال اكتشفنا إصابتكِ بها، فثمة فرصة سانحة لأن نزيلها، حتى لا تتحول إلى معضلة صحية فيما بعد. ولكن لا يوجد ما يضمن أنها قابلة للعلاج». فعُدنا أنا وأبي إلى البيت وتناقشنا في الأمر. ولصغر سني، لم أستوعب الأمر كليةً، لذا أخذ أبي على عاتقه مهمة اتخاذ القرار».

- هل أجريتها؟

- لا.

- ماذا عن الوقت الحالي؟ أمِنَ الممكن إجراؤها حاليًّا؟

- لا أعرف.

وحتى في خضم حديثنا عن تمدد الأوعية الدموية، كانت فكرة مغازلتها لا تزال تجول في خاطري. لذا قلت: «رباه، يمكنكِ الرقص يا امرأة».

فابتَسَمَتْ.

وابتَسَمَتُ.

قالت: «لقد سَلَّمتُ لتوي طلب التقديم للالتحاق بفريق الفتيات الاستعراضي».

- حقًّا؟

قوَّسَت حاجبيها وقالت: «عذرًا، هل هذا صادم لك؟».

- أنا فحسب ليس بمقدوري تخيلكِ وأنتِ ترقصين الرقص النمطي الموحد. فلا يصل إليَّ إحساس جَوِّ التلويح بالأعلام وارتداء الزي نفسه مثل ثلاثين فتاة أخرى. هذا لأني أراكِ فتاة تفعل الشيء بطريقتها. فلو طلبتِ رأيي، فأنتِ أفضل من فريق الفتيات الاستعراضي.

- شكرًا لك.

ثم فَتَحَتْ سحاب حقيبة ظهرها وأخرجت شيئًا، وبدا في البداية شيئًا بريئًا، مجرد مجموعة من الورق الأبيض المرصوص، ولكني قرأت المكتوب فيه: «*أنتِ لستِ مرغوبة*».

- من أين حصلتِ على هذا؟

- من خزانتي.

- أتعرفين من وضعهم فيها؟

- لا، لكن هل يَهُم؟

وعرفت ما ترمي إليه. لا، لا يهم. ليس في الحقيقة، فالفكرة تكمن في إرسالها من البداية، أن أي أحد يظن هذا بها، أو يقوله لها.

- بوسع الإنسان أن يكون لطيفًا، كما بوسعه أن يكون مروعًا. وأنا في أغلب أحوالي مروع، ولكن ليس مطلقًا. أما أنتِ يا ليبي ستراوت، فأنتِ لطيفة.

قالت وهي تأخذ من يدي ورقة وتلوِّحُ بها: «لا أتفق معك في هذا تمامًا. ولكن هذا الشيء الماثل بين يدي هو أحد الأسباب التي تدفعني لأقوم بتجارب الأداء. يمكنهم أن يقولوا لي كل ما يريدونه، ولكني لن أصغي إليهم». ثم كَوَّرَت الورقة ورَمَتْ بها في حقيبتها.

فقلت: «لدي شيء لأُريكِ إياه كذلك».

ثم تصفحتُ هاتفي، وسحبتُ شيئًا إلى الأعلى، وأمسكتُ بالهاتف لأريها إياه.

راحت تقرأ رسالة البريد الإلكتروني بصوتٍ عالٍ: «السيد الفاضل جاك». وأحببتُ الطريقة التي نطقت بها اسمي. أقصد... أُعجِبتُ إعجابًا شديدًا بها. «شكرًا لتواصلكم. نهتم بفحصك للغاية. وفي حال لم تكن قادرًا على المجيء إلى هانوفر، نقترح عليك أن تتواصل مع الدكتورة آمبر كلاين، من قسم العلوم المتخصصة في المخ، تخصص علم الأعصاب الإدراكي، جامعة إنديانا في بلومنجتون. أطيب الأمنيات، براد دوشاين».

رفعت نظرها إليَّ، وقالت: «أهذا بخصوص عمى التعرف على الوجوه؟».

- أجل، لولاكِ ما كنت راسلته.

- هل أنت عازم على القيام بالأمر؟

قلت: «لا أعرف». وفكرت: *أجل.*

- ألن تحتاج إلى إذن والديك؟

- سأبلغ الثامنة عشرة عما قريب.

- متى؟

- أول يوم في أكتوبر.

أعادت إليَّ الهاتف، وأخذت تمعن النظر إلى التابلوه مجددًا. ثم نظرت إليَّ بعينيها الواسعتين الكهرمانيتين.

- إذن لنذهب.

- ماذا؟

- بمجرد أن تبلغ الثامنة عشرة، فلنذهب إلى بلومنجتون.

- حقًّا؟

- ولِمَ لا؟

وقبل أن أعرف ما الذي يجري، أخذت عيناي تنظران إلى عينيها، وكذا أخذت عيناها تنظران إلى عينَي، فكانت أعيننا كأنها تعطينا شعور تشابك الأيدي من فوق المقعد الذي نجلس عليه. وجلسنا على هذه الحالة إلى أن جَعَلَنا صوت نفير السيارة نقفز فجأة في مكانينا.

***

تريثت إلى أن قادا السيارة مبتعدين، قبل أن أتوجه إلى متجر ماسيلين، إذ كنت في حالة مزاجية صافية، حتى إني تعاملت باحترام وأدب مع والدي. وأحسست قليلًا كم هو مؤلم أن أراه دَهِشًا لهذا، لذا فقد تماديت وحدثته عن الروبوت الذي أصنعه لداستي، وسيكون له طول داستي نفسه، أو ربما أطول. وسيتحدث، وسيكون أفضل روبوت على الإطلاق.

إحقاقًا للحق، تحلى أبي بالأدب، وراح يطرح الأسئلة. ولم نأتِ على ذكر مونيكا تشابمان، ولا رسالة البريد الإلكتروني. وفي لحظة قلت في نفسي: *ربما هذا هو النطاق المسموح لنا البقاء فيه. في تلك المنطقة الصغيرة، حيث يسودها الأمان. علَّ بمقدورنا البقاء هنا بالتحديد، بهذا الشعور بالأمان، إلى الأبد.*

***

عندما عدت إلى سيارة اللاند روفر بعدها بساعتين، كانت لا تزال تفوح منها رائحتها: *شعاع الشمس.*

ليبي

بعدما تناولنا العشاء، جلست أنا وأبي نشاهد التلفاز وبصحبتنا قطي جورج. كان أبي يأكل العنب واحدة بواحدة، فراح يميل رأسه إلى الخلف ويرميها في الهواء، ثم يلتقطها بفمه بينما يضربها جورج بمخلبه. أملت رأسي إلى الخلف والتقطت واحدة بفمي. واستطعمتها بالطريقة التي يُفتَرَضُ بي أن أستطعم الطعام المفيد لي. قضمتها قليلًا، ثم انفجرت باعثة في فمي مذاقًا طيبًا.

كنتُ متألقة اليوم، وألهَبتُ صالة الألعاب القديمة. كان عليك رؤيتي! أنا أعوض كل دقيقة مهدرة فاتتني حين كنت لا أقوى على التحرك، أو النهوض من الفراش. الرقص كامنٌ فيَّ! تريث حتى يروني في تجارب أداء فريق الفتيات الاستعراضي. سأنجح في الأمر، وسأرقص بكل ما فيَّ من طاقة وحماس، حتى يراني العالم أجمع.

- هل كلُّ شيء بخير مع فتى آل ماسيلين؟ هل يتركك وشأنك؟

قلت: «إنه لا يضايقني». *ليس بتلك الطريقة على الأقل.*

- تعرفين يا لبس أنه بمقدورك الحديث عن أي شيء.

وشعرت أني أتحول إلى اللون الأحمر الباهت. *ماذا لو أن باستطاعة أبي قراءة أفكاري؟ ماذا لو أن بإمكانه معرفتي على حقيقتي؟ في هذه اللحظة بالتحديد، أخلع عن جاك ماسيلين ملابسه بينما آكل حبات العنب هذه.*

- أعرف يا أبي.

وكنت أول مرة في حياتي لا تعتريني رغبة في الحديث معه، لا عن جاك، ولا عن الرسائل، فلو فعلت، فسأكون عبئًا عليه القلق حياله، وقد كنت كذلك وقتًا طويلًا.

قلت: «أفكر في التغيب عن المدرسة في الأول من أكتوبر». كان أحد الأشياء التي أخذ عليَّ والدي عهدًا بها بعد موت أمي هو أن أُعلِمَه دومًا بالمكان الذي أكون فيه، وفي ظني، بوسعي إخباره بهذا القدر فحسب. استطردت: «صديق لي يحتاج إلى الذهاب إلى جامعة إنديانا ليشارك في دراسة بحثية».

- من يكون هذا الصديق؟

قلت: «مجرد واحد من المدرسة». لم أخبره أنه جاك. وفي اعتقادي أنه يكفي جلوسي هنا وإخبار *والدي* أني أريد أن أتغيب عن المدرسة. تابعت: «إنه يمر ببعض المشكلات الآن، وأردت أن أدعمه».

- هل لديكِ أي اختبارات في هذا اليوم؟ أي شيء مهم ستفوتينه؟
- لا على حد علمي.
- هل هذا... إنه...
- موعد غرامي؟ لا.

لا أعتقد هذا. أقصد أنه ليس كذلك. ولكن السؤال أثار فيَّ التساؤل: *أيمكن أن يتحول إلى موعد غرامي؟*

أردفت: «لا، كنت أنا صاحبة فكرة الذهاب».

وكدت أقول: *أفكر في إجراء الفحوصات أيضًا. أعرف أننا تحدثنا في الموضوع من قبل، بعد وفاة أمي، ولكن بحكم أني قد كبرت الآن، أظن أنه قد تكون لي رغبة في هذا. ربما بهذا أدفع عني بعض القلق.* رميت في الهواء حبة من العنب، وفوَّتَت الحبة فمي. *أو ربما سيزيد قلقي، بناءً على ما سأجده.* التقطت حبة العنب من فوق قميصي، ثم نظرت بعبوس إلى القميص. ثم قلت: «ما رأيك في ذهابنا إلى التسوق؟».

رفع حاجبه متعجبًا، وسأل: «من أجل موعدكِ غير الغرامي؟».

- في الواقع ليس يجب عليك الذهاب. يمكنك إقراضي المال، أو يمكنني الحصول على وظيفة.
- لا وظائف، ليس الآن. الشيء فالشيء.
- بهذا يمكنني اقتراض بعض المال إذن؟
- هل أدرَكتِ أنكِ قد سألتِني لتَوِّكِ إذا كان لكِ التغيب عن المدرسة وكذلك اقتراض المال في معرض الحديث نفسه؟ أتعرفين أني أفضل أب في العالم؟

- أعرف.

أمال رأسه إلى الخلف، ورميت له حبة عنب. ثم رميت لجورج واحدة، فضربها بمخلبه، فطارت إلى الجانب الآخر من الغرفة. ورميت واحدة لنفسي، والتقطتها هذه المرة كالمحترفين.

***

في غرفتي، أمسكت هاتفي ومِلتُ إلى الوراء، وأسندت ظهري إلى لوح رأس السرير. اتصلت ببايلي، لأن هذا ما يفعله الأصدقاء في العالم الواقعي، على عكس الخياليين. ولمَّا رَدَّت، سألتها: «ما رأيكِ في جاك ماسيلين؟».

- على المستوى الشخصي؟ أم كونه فتى؟

- كلاهما.

- أظنه بالأساس شخصًا صالحًا، يفتقر أحيانًا إلى التبصر بالأمور. أما كفتى، فهو لطيف ومرح، وهو يعرف هذا، ولكنه ليس أحمق مثل غالبيتهم. لِمَ تسألين؟

- أوه، أنا أسأل فحسب.

- أنا لا أُملي عليكِ مشاعركِ يا لبس، ولكن هو وكارولاين يشكلان هذا النوع من الثنائي الأبدي. أعني حتى في انفصالهما، فهما معًا، ولو كنتُ مكانكِ، لم أكن لأقترب منه. لقد تَجَهَّزتِ لتوكِ لانفطار قلبك.

- لم أقل إن لي اهتمامًا به.

ولكن هل أنا كذلك؟

حوَّلت مجرى الحديث إلى تيري كولينز، وفريق الفتيات الاستعراضي. ثم حكت لي بايلي عن الفتى المعجبة به، القاطن في نيوكاسل. وتجاذبنا أطراف الحديث فترة. ثم بعدها تصفحت حساب آيريس على الإنستغرام، حيث وضعت إعجابًا على كل واحد من أحدث منشوراتها. كنت أختار واحدًا عشوائيًّا وأعلق عليه، وكدت أقف عند هذا الحد. ولكنني قررت الاتصال بها، فذهبت مباشرة إلى البريد الصوتي، وتركت لها اعتذارًا غير مباشر، فاتصلتْ بي بعدها مباشرة، ومع أني لم أرغب في الرد، فقد فعلت ذلك، لأني لست كالجزيرة المعزولة.

جاك

في المنزل، التقيت أمي التي ترفع شعرها إلى الأعلى في مكتبها منهمكة في العمل، وكتب في القانون مفتوحة، ويصدر حاسوبها الشخصي صوت همهمة. طرقت الباب بخفة، وقلت: «الابن الأكبر حاضر في الخدمة».

حدجتني بنظرة من نظرات الأمهات تلك، ثم سألت: «هل تمكنت من إتمام يومك بخير دون أن تعتدي على أحد أو تضطر إلى الذهاب إلى مديرة المدرسة؟».

أجبت: «نعم، تمكنت من ذلك». ورفعت ذراعَيَّ وأشرت بيدي بعلامة النصر على شكل حرف V، كما لو كنت قد عبرت خط النهاية في سباق ما لتَوِّي.

رَفَعَت يدًا واحدة، وعقدت إصبعيها آملة الخير، بينما كانت اليد الأخرى تحدد الموضع الذي تقف عنده في أحد الكتب، وقالت: «أحسنت، لِنرَ إذا ما كنا سنحظى بمزيد من مثل هذا اليوم. بالمناسبة، ثمة طرد أتى من أجلك، تركته على طاولة المطبخ. ماذا طلبت؟».

أجبت: «مجرد أغراض للمدرسة». وآمل أن يقع هذا منها موقع الدلالة على جاك الجديد، الذي حَسَّنَ من نفسه وفَقِهَ الدرس.

رَنَّ هاتفها، فهزت رأسها وقالت: «اذهب واحصل على البيتزا، أو أي شيء للعشاء، ما لم يُحضر والدك وجبة ما سريعة».

- لا أظن أنه عاد إلى المنزل بعد.

خلا وجهها من أي تعبير. وقبل أن تنبس بأي شيء، ولأنها تعمل بجد واجتهاد وهو عديم المروءة، ولأنها لا تستحق أن يخالجها شعور محبط حيال

أي شيء، تمشيتُ إلى مكتبها وطبعت قبلة على خدها، وقلت: «هنيئًا لكِ كل تلك الغنائم يا أمي. ولديَّ الكثير لأقدمه. وإليكِ المزيد لمساعدتكِ في العمل على قضيتكِ». ثم حضنتها. لم يكن حضنًا طويلًا، لكن جعلها تضحك، حتى وهي تدفعني بعيدًا عنها.

***

فتحت الصندوق الموجود في غرفتي. كان فيه كتابان لأوليفر ساكس، ومجلدٌ كتابي حول الإدراك البصري، باسم «الوجه والعقل»، وسيرة للرسام المصاب بعمى التعرف على الوجوه تشاك كلوز، الذي اشتهر برسم الوجه، وهو غاية في البراعة. كان قعيدًا على كرسي متحرك، وله يد معاقة، كما إنه مصاب بعمى التعرف على الوجوه. ولكن رغم ذلك، أبدَعَ هذه اللوحات بالغة الروعة، وتلك هي الطريقة التي أنتج بها لوحاته:

يُصَوِّر الوجه صورة فوتوغرافية.

يُقَسِّمُ الوجه بإنشاء شبكة تقسيمات فوتوغرافية له.

ثم يبدأ في إنشاء الوجه قطعةً بقطعة على قماش الرسم، مستخدمًا الألوان الزيتية، أو ألوان الأكريليك، أو الحبر، أو قلم الرصاص، أو أقلام الرصاص الملونة.

ومن وجهة نظره، يعتمد الأمر دومًا على الوجه.

الوجه، ولا شيء غيره.

لأن الوجه هو خارطة الطريق للحياة.

ليبي

راسَلتُ جايفي، وبدأ حديثنا كالعادة عن أتيكوس فينش.

أنا: «لنفترض أن أتيكوس والدكِ».

جايفي: «هل أنا سكوت أم جيم؟».[1]

أنا: «أحدهما. أو جايفي، جايفي فينش».

جايفي: «من عائلة فينش الفلبينية، تابعي».

أنا: «لنفترض وجود مرض تتوارثه العائلة، وعندما كنتِ صغيرة، قرر أتيكوس أنكِ لن تخضعي للفحوصات لمعرفته».

جايفي: «أتيكوس يكون في الأغلب محقًا. هل هناك علاج؟».

أنا: «لا في الحقيقة».

جايفي: «هل أتحدى أتيكوس الآن لأني قد صرت امرأة كاملة النضج؟».

أنا: «ربما».

جايفي: «كم أبلغ من العمر الآن؟».

أنا: «في عمرنا عينه».

جايفي: «كنت سأفترض أن أتيكوس الكبير له أسبابه الوجيهة، فهو أتيكوس فينش رغم كل شيء».

بعد خمس ثوانٍ:

جايفي: «إلا إنه في اتخاذ قراراتكِ بنفسك ثمة منفعة لن تفوتكِ».

---

(1) بَطَلا الرواية الصغيران: ابن أتيكوس وابنته. (المترجمة)

طريقة صنع الروبوت

كتبها جاك ماسيلين

* * *

1. اجمع قدر ما تستطيع من قطع تركيب الليجو والمواد الأخرى.
2. ارسم رسمًا بيانيًّا للتصميم.
3. تجنب مواقع الويب بعنوان «كيف تصمم روبوتًا من قطع تركيب الليجو»، لأن هذا من أجل داستي، وهو يستحق شيئًا فريدًا لم يُصنَع من قبل.
4. إعادة مشاهدة فيلم *«اليوم الذي صَمَدَت فيه الأرض»*[1] (الإصدار الأصلي، وليس إصدار إعادة الإنتاج). لأغراض التسويف المقصود منه استجماع أشكال من الإلهام.
5. خذ أي شيء تجده ذا نفع من ساحة الخردوات.
6. اطلب القطع الناقصة (في حال كان يستحيل إيجادها في ساحة الخردوات)، التي تكون مؤلفة من: رقاقة التحكم، ولوحة توصيل، ولوحة الدائرة، وبطارية، ووصلات سلكية، ومحركات التروس، ومقبس طاقة، ومكبر صوت، ومستقبل الأشعة تحت الحمراء، والمحركات المساعدة على الدوران، والعديد من أذرع التثبيت، والمعدات، ومنشار زخرفة مزود بمحرك، وما إلى ذلك.

---

(1) «The Day the Earth Stood Still» فيلم خيال علمي أمريكي من إنتاج عام 1951، تدور قصته حول فضائيين ينزلون على كوكب الأرض ويحملون رسالة إلى أهل الكوكب أن عليهم العيش بسلام، لأن حروبهم تشكل خطرًا على الكواكب الأخرى، وإلا فستدمرهم تلك الكواكب. (المترجمة)

7. إنشاء مخططات تُملي على الروبوت ما يجب عليه فعله. برمجة دماغه بالمعنى الحرفي.

حين كنت في عمر السادسة، صعدت إلى سطح المنزل، إذ كنت أحاول أن أكون بطلًا خارقًا. كنت الرجل الحديدي «أيرون مان» في بزة الرجل الحديدي، إلَّا إني كنت في الواقع أرتدي قميصًا بنصف كم، وسروال سباحة، ما معناه أنه بدلًا من الطيران، فقد غُصتُ أرضًا واقعًا على رأسي، وانشقت جمجمتي جراء ذلك. وخُيِّطَ رأسي بسبعٍ وستين غرزة. هل كنت أتعرف على الناس قبل ذلك؟ لا يسعني التذكر.

8. تزويده بدماغ بارع. دماغ كامل وطبيعي، وعادي، ويعمل عملًا تامًّا.

بعد أسبوع واحد

صادف الأول من أكتوبر يوم الثلاثاء، فادَّعَيت المرض، وخَبَّأتُ مفاتيح سيارة اللاندروفر حتى لا يتسنى لماركوس الذهاب بها إلى المدرسة. ولما دخل إلى غرفتي فتى طويل أشعث الشعر وأخذ يصرخ في وجهي، خمنت أنه هو. ثم قال: «أعرف أن المفاتيح بحوزتك أيها اللعين».

سَعَلتُ بصوتٍ أعلى.

ثم راح يبحث في أغراضي، المؤلفة من أرفف الكتب، والأدراج، وخزانة الملابس. ورفع بنطالي الجينز من الأرضية وبحث في الجيوب.

رحت أسعل بشدة وببطء كأني مصاب بمرض السُّلِّ، حتى أتت امرأة ووقفت عند الباب وأرادت أن تعرف ما الداعي التافه وراء ما يحدث هنا.

فسَعَلتُ حتى أعييت نفسي كجواب عن سؤالها، مما جعلها تشير إلى الباب وتخبر الفتى الطويل أشعث الشعر بالانصراف، والنزول إلى الطابق الأرضي. حالًا. ثم سألت المرأة: «هل تحتاج إلى شيء قبل أن نغادر؟».

رددت: «سأكون بخير». وقد بَدَوت مستميتًا، مع أني لم أقصد ذلك. ثم تماديتُ في سعالي قليلًا.

بعدها انصرفت المرأة، وبقيت مستلقيًا أستمع إلى الأصوات التي يصدرونها وهم يغادرون آتية من الطابق الأرضي.

سمعت صوت إغلاق باب المنزل، واستلقيت مكاني فترة قصيرة، حتى سمعت صوت تشغيل محرك السيارة، فنهضت ووقفت عند النافذة، ثم رحت أعدُّ الأجسام الواقفة بالأسفل. دخلت المرأة إلى واحدة من السيارتين مع

الطفل الصغير ذاك، ثم ركب رجل له شعر أسود كثيف سيارة أخرى بصحبة الفتى الطويل أشعث الشعر. رأيتهم ينصرفون مبتعدين، ثم ينعطفون في اتجاهين مختلفين عند نهاية المفرق الأول، ثم الثاني. وبهذا رُحتُ مُسرِعًا أجلب المفاتيح من تحت الشراشف، وارتديت ملابسي، وركضتُ نازلًا السلم، ورميت بكعكة بيجل في فمي، ودخلت مسرعًا إلى اللاندروفر، وقطعت الطريق في البلدة إلى بيت ليبي.

***

في حي ليبي، تتراصُّ تلك البيوت الجديدة المتطابقة بيتًا بعد بيت، وشارعًا تلو الآخر. ولم تكن ثمة علامة فارقة تميز بيتها عن البيوت الأخرى، إلا تلك الفتاة التي تقطن هناك. كانت تنتظرني واقفة عند حافة الرصيف، مرتديةً ذاك الفستان الأرجواني، ما قد جلب إلى ذهني فستانًا قد ترتديه امرأة بالغة، فقد كانت به ثنيات هنا، وكان انسيابيًّا هناك، ومشدودًا في موضع آخر. وكان شعرها مسدلًا، ويلمع تحت أشعة الشمس.

تمكنت من رؤية الجمال. كلما كانت الوجوه متماثلة، بدا لي الشخص عاديًّا، لأن صفة التشابه هذه تسري عليه، حتى لو ظن الآخرون أنه جذاب. فلا بد أن يكون للشخص شيء مميز يتفرد به. أما ليبي، فوجهها متماثل، ولكن جمالها بعيد كل البعد عن التشابه. فقد مَيَّزتُه وهي تفتح الباب وتدخل سريعًا إلى السيارة. كانت رشيقة، لا سيما بالنسبة إلى شخص كبير الحجم، فقد كانت تتحرك بخفة وانسيابية مثل طرزان. ثم ركلت حذاءها لتخلعه، وأخذت تحرك أصابع قدمها وتلويها. وكانت أظفار أصابع قدميها مطلية باللون الأرجواني كذلك.

عَلَّقتُ: «إطلالتك باهية».

فسألت بينما تهز رأسها: «هل تغازلني يا جاك ماسيلين؟».

فأجَبت: «أنا أُقِرُّ بالظاهر فحسب».

ثم سحبت شعرها عن عنقها. وأردت أن أقول لها: *لا تفعلي هذا، ستتلاشين أمام عيني*. ولكن يتضح للمرء أنها تفكرت في الأمر ثانية –ربما قد تذكرت أني قد أخبرتها بهذا من قبل– وتَرَكَتْه ينسدل ثانيةً على كتفيها.

ثم ناولتني شيئًا مُغَلَّفًا بورق عيد الميلاد (الكريسماس)، وبنحو خمس عشرة «فيونكة». وقالت: «أهنئك بعيد ميلادك. على ما يبدو فإني أعشق ورق عيد الميلاد».

- ما كان عليكِ إحضار شيء.
- أردتُ ذلك. افتحها.

مزقت ورق التغليف، فطارت الفيونكات في الهواء، فالتَقَطَت واحدةً وألصقتها بشعرها، فوق أذنها اليسرى تمامًا. ثم التقطت أخرى وألصقتها على ركبة بنطالي الجينز. والتقطتُ أنا واحدة وألصقتها بطرف أنفي، ثم ألصقت واحدة بطرف أنفها.

فقالت من وراء الفيونكة: «افتحها رجاءً».

كانت الهدية كتاب «لطالما عشنا في حصن»، لشيرلي جاكسون. ضربني الارتباك في البداية، ورحت أتساءل عما إذا كانت تعرف. فلا بد أنها قد عرفت بأني أنا من أرسل إليها هذا الكتاب في المستشفى. نظرت إليها، ولكن عَلَت وجهها ابتسامتها العريضة المنفرجة، فكان بوسعي معرفة أن لا، لم تعرف.

أخذت أتصفح الكتاب، فتبين لي أنها ليست النسخة عينها التي أرسلتها إليها منذ عدة سنوات، وهذا لا ينفي أن الكتاب كان باليًا، وقُتِلَ قراءةً.

- لم أعرف ما قد أُحضِرُه لك، إذ ماذا يحضره المرء لفتًى لديه كل شيء، بما في ذلك عمى التعرف على الوجوه؟ لذا فكرت في إحضار شيء أحبه لك؛ إنه كتابي المفضل. لا تتحتم عليك قراءته، إلَّا إن الفتاة ماري كاثرين -ميريكات، كما يسمونها- إنها تذكرني بـ... أوه، بنفسي، حسب ما أعتقد. كما... لا أعرف، حسبت أنك قد تجد رابطًا يربطك بها كذلك.

قلت وأنا أبتسم في وجهها: «سأقرؤه. شكرًا لكِ».

رَدَّت: «على الرحب والسعة».

كنا نحظى بما يشبه الشعور بالانسجام التام فيما بيننا. وفجأة، امتلأ الهواء بالفيونكات، كان مملوءًا بما يشبه تيارًا كهربائيًّا يوصل مقعدها بمقعدي.

لقد فعلت ليبي المستحيل، قطعت التيار بالتحدث أولًا. فسَأَلَت: «إذن أنت جاهز لهذا؟».

- مستعد أكثر من أي وقت.

***

كنت في البداية مفعمًا بالحماس والطاقة، لدرجة جعلتني أتحدث إليها فترة طويلة. فأخذت أخبرها عن كل اختبار عبر الإنترنت خضعت له، وذاك

الشخص المصاب بعمى التعرف على الوجوه الذي يُدعى بيل شواسر، الذي يقطن في سان فرانسيسكو، وهو شخص عجوز مُلتَحٍ، ألَّف كتابًا عن عمى التعرف على الوجوه، ونشره على الإنترنت لتُتاح للجميع قراءته. ومفاد الكتاب كله يدور حول الأثر الذي يتركه عمى التعرف على الوجوه على التعامل في المدرسة، والعمل، والعلاقات، والحياة.

ولكن كلما اقترب وصولنا إلى بلومنجتون، غلبني الهدوء والصمت. وشعرت أن نَفَسي يغادرني. *ماذا سأجد؟ هل سيكون بوسع الطبيبة أمبر كلاين علاجي؟ هل سيتطلب الأمر الذهاب إلى نيو هامبشاير بدلًا من زيارة براد دوشاين؟ ماذا لو أن هذه الرحلة كانت بلا جدوى؟ ماذا لو قالوا لي إني مصاب بمرض خطير؟ ماذا لو تبين أنه ليس عمى التعرف على الوجوه، بل سرطان في المخ؟*

- أشعر تقريبًا أنك غارق في التفكير الآن.

نظرت إليها.

- هل نسيت أني موجودة معك في السيارة؟

كنت منغمسًا في غشاوة أفكاري لدرجة أنني كدت أنسى فعلًا، فقلت: «آسف».

ثم مررنا بلافتة تقول: «*بلومينجتون... 16 كيلومترًا*». من القلق شعرت أن معدتي قد سقطت واستقرت في مكان ما بجانب دواسة الوقود.

- أيوجد في هذا الشيء راديو؟

أجبت: «أيوجد فيها راديو؟ ماذا تظنين يا امرأة؟ يا إلهي». ثم ضغطت زرًّا، فانتشرت الموسيقى في كل أرجاء اللاند روفر، وشَغَلَت كل الفراغ من حولنا. حاولت التركيز على الكلمات، على النغم، ولكنها أخذت تبحث في الأغاني، وبدا هذا الوضع كحال دماغي، فهو مؤلف من شذرات من الكلمات، وشذرات من النغم، وشذرات من اللحظات، وشذرات من الأشياء.

وأخيرًا، عثرت على أغنية تعجبها.

قلت: «أغنية ديسكو؟ هل تمازحينني؟». ومددت يدي إلى الراديو، ولكنها ضربت يدي لتبعدها. فلففت يدي حول يديها، فضربتها ثانية. ولم يعد الأمر يتعلق بإغلاق الموسيقى، بل بلمس يدها، وراحت يدانا تتغازلان. وفي نهاية المطاف، أمسكت أصابعي وتشبثت بها. وراح التيار الكهربائي يقدح شررًا من إصبع الإبهام، ومن الخنصر، والثالثة الوسطى. سعلت، لأنه *ما الذي* يجري

بحق *الجحيم*؟ فقلت موجهًا كلامي إلى السيارة: «أنا آسف لأن هذا حدث لكِ يا عزيزتي. أنا آسفٌ لأنكِ اضطررتِ إلى سماع هذا. وأنا آسف لأني اضطررت إلى سماع هذا، وآسف لأني ما زلت أسمعه».

صرخت ليبي قائلة: «ماذا؟ لا أسمعك من صوت غنائي، وهذا الإيقاع الرائع».

وأخذت تغني بأعلى صوتها، وترقص كذلك. ثم تركت يدي، وصاحت قائلة: «حفلة رقص وليدة اللحظة!». واستمرت في الغناء، وراح رقصها يزداد نشاطًا وحيوية، كأنها على خشبة مسرح في حفل ما.

«أحب الحب، ولكن حبيبي يحب الرقص، إنه يريد الرقص، ويحب الرقص، وهو ماهر في الرقص».

- ماذا بحق...؟

«في اللحظة التي بدأت فيها الفرقة تغني، هَبَّ على قدميه يحاكي الإيقاع، ويرقص طوال الليلة. توقف، فأنا أدور بسرعة، وسنرقص حتى نسقط...».

إنها أكثر أغنية مبتذلة سمعتها في حياتي، ولكن ليبي تستمتع بها. إنها ترقص على الكرسي، وتهز كتفيها وجسمها تجاهي، وفي الاتجاه المقابل. كانت تغمز لي وتغني بأعلى صوتها، وكانت مغنية مروعة. لذا أخذت أغني معها، كنوع من الدفاع عن النفس.

ثم رحنا نرقص في نمط موحد: رأسانا يتمايلان إلى اليمين، ثم إلى اليسار، والكتفان إلى الأمام، ثم إلى الخلف. ورحنا نصرخ بالكلمات، وأخذت أدقدق على عجلة القيادة. ورفعت ذراعيها إلى الأعلى في الهواء، وكانت أفضل أغنية سمعتها في حياتي، ثم وجدتني أبتسم في وجهها.

وبادلتني الابتسام.

كانت لحظة انسجام ملآنة بالمشاعر.

لحظة كاشفة.

قالت: «انتبه إلى الطريق يا كازانوفا». ولكنها قالتها بذاك الصوت الناعم الذي لم أسمعها تتحدث به من قبل. «تذكر فحسب أنه أيًّا كان ما نعرف اليوم، فلن تغير هذه الفحوصات أي شيء».

أحببت الطريقة التي جمعتني بها في كلامها كأنها في خضم هذا معي.

- أنت لا تزال جاك ماسيلين. أنت لا تزال ذاك الفتى المشاغب. أنت لا تزال أنت.

ليبي

كانت بيني وبين جاك ماسيلين لحظة انسجام وإعجاب، وإذا سألني سائل قبل بضعة أسابيع، أو حتى قبل يومين، إذا كان يقع في مخيلتي مثل هذا الأمر، كنت سأضحك حتى تخرج روحي مني. فذاك هو الشيء المتعلق بالحياة خارج البيت، رغم ذلك، لا يعرف المرء أبدًا ما قد يحدث.

أظن أنه يشعر بتلك اللحظة كذلك. لا أقطع بذلك يقينًا.

من الأفضل لو يشعر بها.

كان من الأفضل ألَّا أكون أنا فحسب هنا، وحدي، بمفردي، أعيش لحظة إعجاب وانسجام بجاك بالمعنى العكسي لتشاركنا هذه اللحظة.

وتصرفت كمن يقول: *ليس الأمر بالخطب الجلل، لنذهب إلى بلومنجتون، ولنرَ إذا كنت مصابًا بعمى الوجوه فعليًّا.* ولكن في صدري، راح قلبي ينقبض وينبسط، ويخفق، ويضرب سريعًا، كأنه سينفجر خارجًا من صدري ويطوف في أنحاء السيارة. ابتسمت ابتسامة مُتَكلّفة، ونظرت خارج النافذة وقلت في نفسي: *آه منك يا قلبي الخائن.*

جاك

كان المختبر مزدحمًا. وقادتنا المساعدة إلى الطبيبة آمبر كلاين (شَعرٌ بُنيٌّ فاتح، وعظمتا خَدٍّ بارزتان ونظارات). كانت متشحة بالسواد، ومُشَمِّرة كميها حتى مرفقيها، وشعرها مرفوع في تصفيفة عملية. كان عمرها على مشارف الأربعين. وكان المختبر يتشح بالسواد كذلك: الزهور، والحوائط، والسقف. كانت الغرفة مُقَسَّمة إلى حجيرات بالستائر -التي كانت سوداء بالطبع-، ما جعلنا نشعر أننا في موقع تصوير مقطع فيديو موسيقي، فقد كانت ليبي ترتدي فستانًا باللون الأرجواني، وأنا في ملابسي باللون الأخضر، ما جعلنا لافِتَين للنظر وكأننا نشع ضوءًا.

عرضت علينا الطبيبة كلاين الجلوس على كراسيٍ خلف واحدة من الستائر السوداء، وبهذا كنا كأننا داخل غرفة صغيرة. ثم شَغَّلَت حاسوبها الشخصي، وقالت: «أفترض أن عليك الرجوع إلى البيت قبل العصر؟». كانت ترتدي ساعة يدٍ حقيقية، ثم نظرت إليها للتحقق، وكان الوقت الحالي 9:54 صباحًا.

فأجبتها: «يوجد وضع حظر تجول من نوع ما». وابتسمت لليبي، وبادلتني الابتسام. كانت لا تزال تضع الفيونكة فوق أذنها اليسرى، ولكن ابتسامتها ذكرتني بالابتسامة التي كانت تبتسمها أمي خلال جلسات العلاج الكيميائي التي كان يخضع لها أبي. كأنها عاقدةٌ العزم على بذل ما في وسعها من أجله ومن أجلي، حين عرفت كم كان الأمر ميؤوسًا منه.

قالت الطبيبة كلاين: «سأُجري لك مجموعة من الاختبارات». ثم جلست وراحت تنقر على لوحة المفاتيح.

قالت لي ليبي: «سأنتظر في الخارج، فقد رأيتُ مقهى لستاربكس في الجوار. فقط راسلني حينما تنتهي». وأخذت هاتفي وسَجَّلَت رقمها. ولما أعادت إليَّ الهاتف، أحسستُ بهذا الهلع الغريب.

ومن فوق كتفي ترددت، فقالت: «إلا... أقصد لو أنه مسموحٌ لي بالبقاء...». ولكني شعرت أنها لا تريد البقاء. وأتساءل عما إذا كان جَوُّ الأطباء وفحص المخ هو ما يؤرقها.

- لا، أنا بخير.

راقبتها بينما تغادر وشعرها يتمايل.

سألتني الطبيبة كلاين: «هل في العائلة أحد مصاب بعمى التعرف على الوجوه؟».

أجبتها: «لست متأكدًا. لِمَ؟».

- في أغلب الحالات يكون عمى التعرف على الوجوه وراثيًّا. ولكن ينقسم عمى تمييز الوجوه إلى ثلاث فئات: مكتسب، وتَطَوُّري، ووراثي. كما قد يكون عَرَضًا لاضطرابات أخرى، مثل التَّوَحُّد. هل تعرضت في حياتك للسقوط؟ أو لمرض ما في المخ في صغرك؟

- لقد سقطت من فوق السطح حين كنت في عمر السادسة.

- وهل حدث ارتطام في الرأس؟

- هل يسبب أمر كهذا عمى التعرف على الوجوه؟

- أجل. مع أن الأمر ليس شائعًا كعمى التعرف على الوجوه التَطُوري، ولكنه مُحتَمَل.

قلت: «لقد ارتطم ارتطامًا شديدًا، لدرجة أني اضطررت إلى علاجه بالخياطة». ودون شعور مني، مددت يدي إلى التجعد الرفيع العالي بمحاذاة فروة رأسي.

راحت تكتب كثيرًا، وبينما تفعل، خطر لي: *ستعبث هذه المرأة في مخك، ولا يمكنك التفَلُّت منها.*

وأرادت أن تعرف نوعية الفحوصات التي أُجريت بعدما سقطت، كما أرادت أن تعرف إذا ما كنت قادرًا على التعرف على الوجوه قبل عمر السادسة.

والإجابة الصريحة عن هذا هي: *لا أعرف*. بالطبع أجريتُ كل فحص قد يخطر على البال لمعرفة الضرر الذي لحق بمخي. ولكن هل كنت أعرف الناس بوجوههم في ذلك الحين؟ لست متأكدًا.

قالت: «مؤكد أن والديك كانا سيلاحظان اختلافًا في حال واجهت مشكلة في التعرف على الجميع فجأة».

رددت: «أظن أني كنت بارعًا دومًا في إيجاد بدائل، والتستر على هذا. أقصد حتى في ذلك الوقت. وربما كان بمقدوري التعرف على الناس قبلها، ولكني كنت صغيرًا جدًّا».

- هل لاحظ والداك أي تغييرات سلوكية طرأت عليك؟

- قالت أمي إنها توقعت أن أغدو ذاك الطفل الهادئ، إلا إني ازدَدت شغبًا. قالت هذا لما بدأ شعرها يشيب.

ابتسمت للطبيبة، ولكنها كانت منشغلة بالكتابة، فجلست هناك ورحت أتطلع إلى ما حولي، وأقول لنفسي: *استرجل يا فتى ولا تشعر بالقلق*. بعد فترة قصيرة، طوت يديها في حجرها واستهلت الكلام قائلة: «لا أدري إلى أين وصلت في البحث يا جاك، ولكن يعود تاريخ إحدى حالات عمى تمييز الوجوه الموَثَّقة إلى عام 1883. وأُشيِعَ عن لويس كارول[1] أنه كان مصابًا بعمى التعرف على الوجوه، ففي المرة التالية التي تقرأ فيها *أليس في بلاد العجائب*، قد ترى الدلائل. وأنا واثقة أنك تعرف السمات المميزة. فكما تعرف، يمكن أن تُغيِّرَ تسريحة الشعر والملابس يوميًّا. وقد التقينا سيدة تتعرف على الأشخاص من خواتم الزفاف، لأن هذه السمة المميزة نادرًا ما تتغير».

كانت على وشك الاطلاع على كل ما أخفيه.

واعتراني فجأة شعور بالانكشاف. وخفضت نظري لأرى في الحقيقة إذا ما كنت مرتديًا ملابسي.

***

كان الاختبار الأول هو الوجوه الشهيرة، كان هذا مشابهًا لاختبار خضته عبر الإنترنت؛ كان مؤلفًا من صور للمشاهير وقد أزيل الشعر والأذنان منها. ثم قالت الطبيبة كلاين: «حسنًا يا جاك، نحن لسنا في عجلة من أمرنا، لذا خذ ما يكفيك من الوقت دون تردد».

(1) لويس كارول (1832 - 1898) كاتب، ومدرس الرياضيات في جامعة أوكسفورد، ومؤلف القصة العالمية الشهيرة: أليس في بلاد العجائب. (المترجمة)

أدارت حاسوبها الشخصي تجاهي حتى أتمكن من الاستعانة به في الفحص. ظهر وجه على الشاشة، وكان مجرد شكل بيضاوي له عينان، وأنف، وفم. ولو أطلت النظر إليه، فيبدو أنه لا يشبه الوجه أبدًا، ولكنه كوكب تنقره الثقوب وتنعكس منه الظلال. رحت أكتب الأسماء واحدًا تلو الآخر، ولكن للأمانة، ما كنت أقوم به هو هراء محض.

ولما انتهيت، انتقلنا مباشرة إلى الاختبار التالي. وقالت الطبيبة كلاين: «إن الجهاز الذي يعالج قراءة المشاعر على الوجه منفصل عن ذاك الجهاز الذي يقرأ الملامح. هل يمكنك في العادة أن تعرف إذا كان الشخص سعيدًا أم حزينًا؟».

- طوال الوقت غالبًا. لا يمكنني تمييز الوجوه، لكن يمكنني قراءتها.

- هذا لوجود جهاز معالجة بصرية له هدف وحيد، وهو التعرف على الوجوه، وتحديدًا الوجوه البشرية فحسب. فدماغك يُعَرِّفُ كلبك أو قطتك على أنهما كائنين. فالمعالج التكويني[1] هو ما يُمَكِّنُ الناس من رؤية الوجه بصورته الكاملة، وليس بأجزائه المنفصلة.

كان الاختبار حول تحديد الانفعالات، وكان بي أمل أن أتفوق في كل إجابة من الإجابات، إلا إني لم أعرف ولو القليل حتى.

أما الاختبار التالي، فكان مجموعة من الوجوه المقلوبة، ومفترض بي أن أُطابِقَهَا مع الوجوه ذات الاتجاه الصحيح، ولكني لم أنجح كذلك. عرفت أني لن أفلح.

وكلما زاد شعوري بالانهزام، بدا الحماس على وجه الطبيبة كلاين رغم ذلك. فقد مالت تجاه الحاسوب الشخصي، وراحت تقول: «البشر الذين لا يواجهون مشكلة في التعرف على الوجوه، يفشلون في التعرف على الصور المقلوبة رأسًا على عقب، إذ بمجرد أن تقلب هذه الصورة رأسًا على عقب، لا يعود بمقدورك الاستعانة بإستراتيجية المعالجة التكوينية للتعرف على هذا الوجه. لذا تستعيض عن هذا بالاستعانة بإستراتيجية مَلمَح بمَلمَح، وهو ما نتعرف به على الكائنات من غير البشر. ويُقارَنُ الأمر بالطريقة التي تتعامل بها مع الوجوه العادية، لأن معالج الوجوه البشرية لا يعمل إلا مع الوجوه المعتدلة، التي يكون اتجاهها إلى الأعلى. وهذا بخلاف القردة، فهي بارعة في التعرف على القردة الأخرى، بغض النظر عن الاتجاه».

(1) التكويني هنا تعني أنه عند رؤية وجه ما، فإن الدماغ يعالج ملامح هذا الوجه عند رؤيتها، ويكَوِّنُ تصورًا عن هذا الوجه بهذه الملامح. (المترجمة)

كان الشيء الوحيد الذي استشفَفتُه من هذا هو: حتى *القردة* تتعرف *بعضها* على بعض.

- والآن سنختبر قدرتك على التعرف على الكائنات من غير البشر. بهذه الطريقة، سيكون بوسعنا أن نعرف أنه اضطراب في التعرف على الوجوه بالتحديد، وأنه لا يمتد إلى الكائنات من غير البشر.

جلست هناك ورحت أطابق بين المنازل، والسيارات، والأسلحة، والمناظر الطبيعية، والحيوانات. وبلا أي مقدمات، وجدتني أقول في نفسي: *ماذا لو خلطت بين هذه الأشياء كذلك؟ كل تلك الأشياء التي لم أواجه مشكلة في التعرف عليها قط؟ ماذا لو أني فقط ظننت أني تعرفت على قطة، أو كلب، أو منزل، أو سيارة، لكن اكتشفت عدم معرفتي بها، شأنها شأن الوجوه.* مِلتُ إلى الوراء برهةً وأغمضت عيني، لرغبتي في الهرب في المقام الأول، من الحاسوب، ومن هذا المختبر، وهذا المبنى الجامعي، ومن أفكاري.

قالت الطبيبة كلاين: «أريدك أن تتذكر أن الجميع يُجيب ببعض الإجابات الصحيحة وبالأخرى الخاطئة. فعلى هذا الأساس صُمِّمَ الاختبار».

وهو ما لم يرفع من معنوياتي إطلاقًا، ولكني فَتَحتُ عينيَّ وتابعت.

بل هبطت معنوياتي أكثر في الاختبار التالي، وهو اختبار المرأة الصلعاء، الذي كان مؤلفًا من صورة تلو الأخرى لإناث عاديات من غير المشاهير، دون شعر أو أذنين مرة أخرى. وكان عليَّ أن أضغط زِرًّا إذا لمحت واحدة لها شكل مختلف، ولكن بَدَوْنَ لي جميعًا الشخص نفسه، لذا لم أكلف نفسي عناء المحاولة حتى، فرحت أضغط على «مشابه» مرارًا وتكرارًا.

أما الاختبار الأخير، فذكرني بفحص الأعين. فقد مِلتُ لأستَنِدَ إلى مسند الذقن، وألصقت جبهتي بهذا الجهاز الغريب الذي يشبه القناع. وأرادت الطبيبة كلاين مني تفحص شاشة الحاسوب بعناية، حيث توجد كاميرا مُوجَّهة إلى حدقَتَي عَينَي، وهذا حسب كلامها سيُسَجِّلُ طريقتي في معالجة الوجوه.

- تتعامل عوامل الإدراك الطبيعية مع الملامح الداخلية للوجه، وتستخدم تسلسلًا مُثَلَّثِيَّ الشكل، يتنقل بين العينين، والأنف، والفم. أما المصابون بعمى التعرف على الوجوه، فيبدؤون من الملامح الخارجية، مثل الأذنين والشعر، فهم في الغالب يتجاهلون منطقة العين.

وهذا على ما يبدو صحيح. ثم أخذت أتساءل أين ليبي، وماذا تفعل.

ليبي

كنت أقف في قسم علوم الدماغ، علم الأعصاب الإدراكي، في جامعة إنديانا، في بلومنجتون، حيث تحيط بي الإجابات عن كثير من التساؤلات. كانت سني صغيرة حين ماتت أمي، وحين تحدثنا أنا وأبي إلى الأطباء بخصوص الفحوصات. وقد تركت أبي يقرر لي إذا ما كنت سأجريها أم لا. ولكني هنا الآن، ويمكنني أن أتحدث إلى واحد من الأطباء أو العلماء ذوي المعاطف البيضاء. *ماتت أمي جراء تمدد في الأوعية الدموية، وأحتاج إلى أن أعرف إذا كان هذا مصيري أنا أيضًا.*

أخذت أقطع الممر جيئةً وذهابًا. إذا أجريت الفحوصات، فهم إما أن يكتشفوا إصابتي بتمدد الأوعية الدموية في الدماغ، وإما عدم ذلك. وهم إما أن يكونوا قادرين على إزالتها ومحاولة احتوائها، وإما عدم ذلك.

ولكن إليكم الأمر: حتى لو لم يُوجد أي تمدد أوعية في دماغي، فالحقائق لن تتبدل؛ سأقف دومًا موقف المشاهد، وسأظل الشخص المتأهب المستعد، لأنه في أي لحظة قد تتوقف الأرض عن الدوران. لقد نجوت من أسوأ ما حدث لي على الإطلاق، وأعرف سابقًا ما في وسع الناس فعله.

مَرَّ بي رجل يرتدي معطفًا أبيض، وأومأ إلي، فرددت عليه بإيماءة.

وقلت في نفسي: *قد تكون عنده إجابات.*

راقبته وهو يمشي مبتعدًا.

قلت في نفسي: *لو كانت أمي هنا، فماذا سيكون رأيها؟*

طَنَّ هاتفي، وكنت أقرب إلى عدم الرد عليه، إلا إنه قد يكون جاك.

كانت رسالة نصية من جايفي.

«ليبي + غائبة عن المدرسة = تتساءلين عن أتيكوس؟ تخطر لي فكرة وحيدة أخرى، إذ أدركت أنه قدر ما يكون الجهل بالشيء سيئًا، إلا إن الجهل رائع كذلك، فلا يزال بوسعكِ الانطلاق من هذا».

ثم أضافت:مكتبة سُر مَن قرأ

«قدر ما يكون بوسع المرء وهو في المدرسة الثانوية في إنديانا».

جاك

انتظرت الطبيبة كلاين حتى تخبرني بالنتائج، ورحت أقنع نفسي أن الأمر لا بأس به، وأن المسألة بسيطة. *أقصد، الأمر ليس كأنك لا تعرف بالفعل أنك فاشل في التعرف على الناس. ولكن اسمع، لقد أبليتَ بلاءً حسنًا. لقد تعايشتَ مع الأمر رغم صعوبته، فأنت تُجيد تخمين السمات المميزة، وقمت بالأمر كله دون أي عون أو إرشاد من أحد.*

كنت أحادث نفسي الحديث الأكثر حماسةً وتشجيعًا في حياتي، حتى استدارت الطبيبة كلاين. وجلست قبالتي، ثم قالت: «أنت قطعًا مصاب بعمى التعرف على الوجوه. وعمى التعرف على الوجوه يأتي في تسلسل متدرج، فقد تكون حالة المرء سيئة بدرجة طفيفة، أو يكون المرء مصابًا بعمى التعرف على الوجوه بدرجة كبيرة. وأنت مصاب بعمى التعرف على الوجوه بدرجة كبيرة. في الواقع، أنت من أصعب الحالات التي مَرَّت علي».

إذن فالأمر غدا رسميًّا.

لقد توقعت أن تنخفض معنوياتي أكثر، أو حتى ترتفع بتأكد الأمر.

- ما العمل إذن؟ هل من علاج؟

لم أصادف علاجًا في أيٍّ من أبحاثي عن الأمر، ولكن هذا لا يعني أن الطبيبة آمبر كلاين، اختصاصية المخ والأعصاب، لن تعرف علاجًا لذلك.

كانت ابتسامتها مقلوبة، وتوحي بالاعتذار، ثم قالت: «إننا بالتأكيد نحرز تقدمًا كبيرًا في بحوثنا، ولكن رغم ذلك لا. لا يوجد علاج. إننا نجرب طرائق تُعَلِّم مصابي عمى الوجوه طريقة أفضل للتعامل معه. لقد كنا نجري بعض

التدريبات المتكررة على الوجوه، وسيتدرب المشاركون في الأبحاث مدة ساعة أسبوعيًّا. ويتضمن التدريب عشرة مستويات من الصعوبة. وقد عمل معنا فتى مراهق -أصغر منك بقليل- على مدار خمسة أشهر، وغدت استراتيجيات حركة عينه طبيعية بقدر أكبر...».

- هل يتعرف على الوجوه؟

- لا، ولكن نأمل أن التدريب المكثف سيبدأ في مساعدته في حياته اليومية.

بدأ الأمر يختلط علي، وأحَسَّت هي بذلك، لذا استدارت لتحضر شيئًا، ولما التفتت ثانيةً، كانت كأنها شخص جديد كليةً. غدت الصفحة بيضاء تمامًا، إن صح التعبير.

كان الشيء الذي مدت يدها لتحضره نموذجًا لدماغ الإنسان. وأشارت إليه وهي تتحدث: «تجاه الجزء الخلفي من دماغك، عند الأذن اليمنى -هنا بالضبط- ثمة منطقة محددة مسؤولة عن التعرف على الوجوه».

مددت يدي إلى الأعلى، ومررت أصابعي على الندبة ثانية، عند أذني اليمنى، وقلت: «التلفيف المغزلي الثاني عشر».[1]

- يمكننا إجراء تصوير بالرنين المغناطيسي، وسيقدم لنا هذا المزيد من المعلومات، فالكثير من المصابين بعمى التعرف على الوجوه يواجهون مشكلات في التعرف على السيارات، والأماكن. وفي الأغلب يكونون مصابين بالعمى الطبوغرافي، بمعنى أنهم يضلون طريقهم بسهولة، ولا يتعرفون على منازلهم، أو أماكن عملهم. وقد يعانون مشكلات في السمع. ونرى أن عمى التعرف على الوجوه هو السر لاكتشاف آلية معالجة الدماغ للكائنات عامة، فقد اعتقدنا طويلًا أن الدماغ كيان واحد، ولكننا نعرف الآن بكل تلك الأجهزة المنفصلة في الدماغ، أو إن شئت قلت: التي هي جزء أصيل من تكوينه، وحقيقة أن تلك الأجهزة لا تتفاعل وتتصل بعضها ببعض، بل هي غير مُدركة بعضها بوجود بعض حتى.

- باختصار، منطقة معالجة الوجوه في دماغي إما غير موجودة، وإما بها خلل، وإما منفصلة عن دماغي؟ ولكن هل بإجراء التصوير بالرنين المغناطيسي لا وجود لعلاج كذلك؟

---

(1) فصان من فصوص الدماغ، مسؤولان عن مهمة التعرف على الوجوه، وبتلفهما ينتج اضطراب عمى الوجوه. (المترجمة)

- أجل.

لم يكن بيدها شيء تقدمه لي أكثر من ذلك، وأنا أعرف، وهي تعرف ذلك.

ثم علقت: «أقترح إخبار الناس بهذا، عائلتك على الأقل. أخبرهم أنك تعاني هذا، فهذا سيُسَهِّل الأمور عليك على المدى الطويل».

أمسكت الهاتف وراسلت ليبي.

«انتهيت».

وكنت كذلك بالفعل.

- وشيءٌ أخير يا جاك. لا يعَوِّلُ معظم المصابين بعمى التعرف على الوجوه الوراثي على الوجه بالطريقة نفسها مثلما يفعل المصابون بعمى التعرف على الوجوه المُكتَسَب. فالحال مشابهة للشخص المولود فاقدًا البصر، فهو لم يعرف قط إلا فقد البصر. فهؤلاء المولدون بعمى الوجوه لا يشعرون بهذا الفقد بالطريقة نفسها، أما مكتسبوه، فليس من الغريب عليهم المحاولة الدؤوبة في استخدام الوجه كحل أساسي للتعرف. إنها الغريزة.

لسبب ما، شعرت كأن هذا لكمة في صدري. *لقد جلبت هذا على نفسي، فلو أني لم أصعد على سطح المنزل ذاك اليوم. لو لم أحاول التباهي. لو لم أسقط. لم أكن لأجلس هنا أتحدث إلى اختصاصية المخ والأعصاب*. ينبغي لي أن ينفطر قلبي على نفسي وأنا في عمر السنوات الست مُستَلقٍ في الباحة الأمامية، فقد تغير عالمي إلى الأبد. عوضًا عن ذلك، اعترتني رغبة مُلِحَّة في الخروج من هنا.

- أشكرك يا دكتورة كلاين، عليَّ العودة إلى المنزل.

صافحتني وشكرتني على وقتي، واعتَذَرَت لأنها لم يكن بمقدورها تقديم المزيد، وكأن الذنب ذنبها. أردت أن أقول لها ألا تعتذر، فلم تكن هي من دفعتني عن السطح حينها. ولكني استعضت عن هذا بقول: «حظًّا موفقًا في البحث».

- جاك؟

التفَتُّ إليها، فرأيتُ امرأةً تضع نظارة، ولها عظمتا خَدٍّ بارزتان، وشعر مرفوع عن عنقها. ثم قالت: «يوجد شخصٌ من بين كل خمسين شخصًا مصابٌ بعمى الوجوه. قد يخفف عنك تذكر هذا. أنت لست وحيدًا أبدًا».

ليبي

في عودتنا بالسيارة إلى آموس، طرحتُ عليه أسئلة حول الفحص، فأجاب عنها بتلك الطريقة المقتضبة: نعم، لا، نعم، لا. ثم جلسنا في صمت. كان يبدو شاردًا، وكنت أعرف هذا الشعور؛ رغبة المرء في الانغلاق على ذاته. لذا لم أحثه على مواصلة الحديث. وقدنا فحسب.

سرنا بالسيارة قدر ستة عشر كيلومترًا دون أن ننبس ببنت شفة، فقد لَفَّنا الصمت كالغطاء. وأخذت أحدق إلى الطريق في المدى البعيد، ولكن بعد هنيهة، بدأ غطاء الصمت يشعرني بالاختناق، كأنه يوقف سير الدم في عروقي.

كدت أخبره أني كنت على وشك أن أخضع للفحوصات كذلك، ولكن ما تفوهت به كان: «أريد أن أكون راقصة. ليس عضوة في فريق الفتيات الاستعراضي فحسب، ولكن راقصة محترفة».

والحق يُقال، إنه لم ينحرف عن الطريق، بل رَدَّدَ: «راقصة». وكان لا يزال شاردًا، ولكني شعرت بالاستجابة قليلًا في صوته.

- حين كنت صغيرة (ليس في السن فحسب، ولكني بالمعنى الحرفي، صغيرة الحجم) تلقيتُ دروسًا في الباليه، وكنت بارعةً فيه. ولي صورة وأنا أرتدي ثوب الرقص وأقف تحديدًا في المرتبة الخامسة، الأفضل على الإطلاق. كانت الصورة قد التُقِطَت عشية عرضنا، أول عرض لي، كنت متألقة. بعد ذلك، أخبرتني معلمتي: «لن تصبحي راقصة أبدًا. بوسعي الاستمرار في تعليمكِ، ولكن لن يكون هذا إلا إهدارًا لمال أبَوَيكِ. هذا لأن عظامك كبيرة للغاية، فأنت لا تحظين بالجسد المؤهل للرقص. وكلما عَلِمتِ بهذا مبكرًا، كان أفضل».

- عجبًا، يا لها من وغدة!

قلت: «لقد حطمني ذلك، ولم أرقص فترةً طويلة، مهما كان ما قالته أمي من كلام مشجع. حتى إنها قد عرضت عليَّ العثور على معلمة مختلفة، ولكن كان قد انهار فيَّ شيء ما. لقد سمحت لهذه المرأة أن تهدمه فيَّ». وحدقت إلى وجهه من الجانب وهو يصب جم تركيزه على الطريق السريع. وتابعت: «ولكن ليس لها أن تثنيني عن الرقص، ولن يقول لي أحد بأن أكف عن الرقص، ولا ينبغي لأحد أن يُملي على المرء ما يمكنه فعله وما لا يمكنه، حتى لو كانت نفسه».

أخذنا نقود في صمت ثانيةً، ولكن ساد الجوَّ شيءٌ من الصفاء والراحة. وكان مزاجه قد بدأ يتحسن ويعود من شروده.

- أبي في علاقة خارج الزواج.

- كيف عرفت؟

- عرفت فحسب. إنها السيدة تشابمان من مدرستنا.

- السيدة تشابمان نفسها؟ مدرسة الكيمياء؟

- هي بعينها.

قلت: «حقًّا؟ بغض النظر عن صغر سنها، فلا شيء لافت في السيدة تشابمان يصرخ ويقول: *اتخذني عشيقتك*». تابعتُ: «وأنت مضطر إلى أن تراها في المدرسة».

- أجل.

- أقصد، تضطر إلى التقائها في المدرسة.

- أجل.

- يا لها من وقحة!

- آسف لأن الناس أسمعوكِ كلامًا مؤذيًا عن وزنكِ. وآسف من أجل أي شيء فعلته فاقم الأمر.

- أنا آسفة لأنك مضطر إلى مواعدة كارولاين لاشامب.

ضحك، وفجأة تحول جَوُّ السيارة إلى الدفء، وسادته قرقعة كقرقعة الكهرباء.

ثم رد: «لا أواعدها بعد الآن». وغمرتنا هذه الكلمات الأربع، واستولت على الهواء من حولنا، حتى قال: «آسف لكون أصدقائي حمقى في بعض الأحيان».

- آسفة لأنك لا تقدر على التعرف على الناس الذين تعرفهم. ربما كنت ستختار أصدقاء أفضل لو كان بوسعك.

ضحك ثانية، ولكن لم يشتد ضحكه كالمرة الأولى.

- انظر إلى الأمر من هذا المنظور: كلٌّ من تقابله، كلٌّ من تعرفه، إذا استفزك أو ضايقك، فلا بأس، فغدًا سيصيرون أشخاصًا جُدُدًا، أشخاصًا مختلفين.

قال: «أظن هذا». ولم يكن يضحك حينها.

كنا قد وصلنا إلى لافتة طريق تقول: «آموس... 5 أميال».

قال: «يمكننا مواصلة السير بالسيارة».

- هل تحب الغروب؟

- لِمَ لا؟

ثم فجأة، كان الأمر كأني أراقب كلينا من السماء: اثنين خارجين عن القانون، جاك ماسيلين، وليبي ستراوت، يجلسان معًا في المقعد الأمامي لسيارة قديمة رائعة. ساقاه على بعد شبر من ساقيها، ويداه على عجلة القيادة، ويتنفسان الهواء نفسه، وتخطر لهما الأفكار ذاتها، ويتشاركان مع بعضهما الأشياء التي لا يتشاركانها مع أي أحد آخر.

التقت عيناه عينَيَّ ثانية، وقال: «بما أني شَخصٌ شُخِّصَ بعمى التعرف على الوجوه حديثًا، قيل لي إني لا أعالج الوجوه مثلما يفعل الأشخاص العاديون. فمثلًا، أنا لا أنظر إلى الأعين. ولكن لا يبدو أني أجد صعوبة في النظر في عينيكِ. وفي الحقيقة، أحب النظر فيهما، كثيرًا».

نظرنا إلى بعضنا دون التفات.

بالمعنى الحرفي لـ *«دون التفات»*.

بالمعنى الحرفي لعدم تخيلي إبعاد عيني.

قلت: «الطريق». ولكن بالكاد كانت مسموعة.

جاك

كنت أفكر في الاقتراب منها، وكان ذلك باليسير: أتوقف بالسيارة على جانب الطريق، وأميل نحوها، وألمس خدها، وأقترب أكثر فأكثر منها (قربًا كافيًا يجعلها تشعر بأنفاسي)، وأنظر في عينها وأغوص بعينيَّ في بحر نفسها العميق. أو ربما أُبعِدُ شعرها عن وجهها. كل تلك الأمور التي تعلمت القيام بها حتى أكون الفتى الذي تبتغيه الفتيات.

تحولت برأسها إلى الاتجاه الآخر، لذا لم أرَ إلا شعرها. ولَمَّا عادت للحديث، بدا صوتها أجشَّ وعاليًا بعض الشيء، وبين ثناياه شيء آخر.

الشيء الآخر هو:

علها تبادلك الإعجاب.

ما يدل أنك قد تُعجَبُ بها.

إذ إن مبادلة أحدهم الإعجاب يعني وجود مشاعر متبادلة من قبل.

كالحال في أنت أُعجِبتَ بها أولًا.

كالحال في أحب ليبي ستراوت.

آه، تبًّا، هل أنا كذلك؟

ولأني كنت أفكر في السرطان، وذاك العجوز من سان فرانسيسكو المصاب بعمى التعرف على الوجوه، والطبيبة آمبر كلاين، وتمدد الأوعية الدموية، وكيف ومتى يبدأ المرء في معالجتها، ولأن قدرًا كبيرًا من الحياة ما لنا فيه حيلة، لذا قررت أن تكون لي حيلة في شيء واحد فحسب.

مددت يدي، وأمسكت يدها، فوجدتها ناعمة ودافئة، وأحتويها في يدي. ومن باب الأمانة، لم أكن أتوقع أي شيء في الحقيقة، ولكن فجأة، أحسست بالتوتر يسري في جسدي، كما لو كنت قد وُصِّلتُ مباشرةً بالشمس.

نظرنا إلى الأسفل إلى يدينا كما لو كنا نراها أول مرة.

وتذكرت بطريقة ما أني أقود السيارة، فرجعتْ عيناي إلى الطريق، لكن لم أُفلت يدها. ورحت أمَسِّدُ بشرتها بإبهامي، وساورني شعور أشبه بتفريغ شحنة كهربائية ساكنة، تدفق الكهرباء هذا بين جسمين مشحونين بالكهرباء حدث بينهما تلامسٌ مفاجئ، إذ تنشأ عن التفريغ الكهربائي -كما يسمونه- شرارات كهربائية مذهلة. ولكن قد تنجم عنه آثار ضارة كذلك، كانفجارات غبار الفحم، أو الغاز. وبخلاف ما يكون عليه الأمر مع كارولاين، التي يغلب على جَوِّ مرافقتها أن يكون مشحونًا بالغاز وغبار الفحم، مع ليبي لا توجد أي آثار ضارة.

كانت ليبي محسوسة وحقيقة، وكلما طال إمساكي يدها، فإنها لن تتبخر أمام عيني.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ليبي

انعطف جاك عن الطريق السريع إلى بوابة خروج مدينة آموس، واجتزنا مركز الترحيب، ووكالة بيع سيارات فورد، والمركز التجاري، وسلاسل المطاعم كلها. كما اجتزنا البيوت على الطراز الفيكتوري التي تتراصُّ على طول الشارع الرئيسي، ومتحف التاريخ الصغير، والمفارق الأربعة في وسط المدينة، ودار القضاء. ثم مررنا بالمدرسة الثانوية، والجامعة، ومستودع حفظ الجثث، ثم وصلنا أخيرًا إلى حَيِّيَ السكني.

هل أحب جاك ماسيلين؟ كالحال في الإعجاب به؟

في لحظة من اللحظات، كنت سأضطر إلى النزول من هذه السيارة والسير إلى الممشى، أفتح باب البيت وأدخل. وكان عليَّ أن أغلق ذاك الباب، وأكون أنا في جانب، وهو في الجانب الآخر. وسيسير مبتعدًا عن الممشى، ومبتعدًا عن هذا المنزل، وسيركب سيارته ويقفل راجعًا. وكنت سأذهب إلى غرفتي وآوي إلى فراشي وأتساءل إذا كان هذا قد حدث أم أنا من اختلقته، وكيف بالله أشعر حيال الأمر.

توقف وأطفأ المحرك، وعاد كلانا إلى التحديق إلى يدينا. لم أرفع بصري، لأني إذا فعلت، فقد يرفع بصره كذلك، وماذا لو قَبَّلَني؟

قد يتناثر جسدي إلى مليون شعاع من الضوء البراق اللامع.

جاك

أردتها أن ترفع عينيها. ورحت أكرر في نفسي: *ارفعي عينيكِ. ارفعي عينيكِ. ارفعي عينيكِ.*

طَنَّ الهاتف، ما جعلنا نجفل من صوته المفاجئ. كان هذا جرس التنبيه الذي يُعَرِّفُني أنه قد تبقت لي ثلاثون دقيقة قبل عودة الجميع إلى المنزل.

تبًّا!

لم تتمهل حتى لأُطفئه، فما كان منها إلا أن أسقَطَت يدي كأنها جمرة لاهبة، وقفزت خارجة من السيارة. لقد أفسد التنبيه متعة اللحظة، وجلست هناك مع أفكاري: *ما الذي أفعله بحق الجحيم؟*

كدت أقود مبتعدًا في طريقي، ولكن بدلًا عن ذلك، خرجت من سيارة اللاند روفر، وكانت ليبي قد وصلت إلى عتبة المنزل. وأول مرة هذا العام، أحسست بقدوم الخريف، فقد كان الهواء ممزوجًا ببرودة جعلتني أفكر في النيران التي تضطرم في العراء. ولكن يدي كانت لا تزال دافئة، فدفعتها في جيبي، فسرى فيها دفء أكبر، وانتقل عبر بنطالي الجينز إلى جلدي.

قالت: «شكرًا لإعادتي إلى المنزل». وكان باديًا على نبرة صوتها... لقد كانت متوترة.

نظرتُ مباشرة إلى عينيها، وقلت: «أنتِ أروع شخص قابلته في حياتي، أنتِ مختلفة. أنتِ من أنتِ، دومًا. من له أن يقول هذا بخلاف سيث باول ربما؟ وهو أحمق على أي حال. فأنتِ يا ليبي ستراوت لَستِ بحمقاء».

قالت بينما تشير إلى صدري: «أنت معجب بي بالفعل».

- ماذا؟

- جاك ماسيلين معجب بالفتاة البدينة. إلا إنك لم تتقبلها كليةً.

قلت في نفسي: حسنًا، *لِنَرَ إلى أين يأخذنا هذا.*

- لا أقول إنكِ محقة، ولكن ماذا لو أني تقبلتها؟

فرَدَّت: «أظن أن علينا فعل شيء حيال الأمر إذن». ثم دخلت إلى المنزل وأغلقت الباب.

ليبي

وقفت بالداخل، وأخذ قلبي يخفق. وأمكنني سماعه على الجانب الآخر من الباب. كان بمقدوري الشعور بوجوده هناك، وعرفت بالتحديد اللحظة التي غادر فيها، بعد دقيقتين، هذا لأن الهواء من حولي عاد لطبيعته، وليس الهواء الخطر، والملبد بعواصف كهربائية، تلك التي قد تصعقك في أي لحظة. وراح قلبي يخفق ويخفق بينما يقطع جاك طريقه إلى العودة.

جاك

فكرت في أن أُقِرَّ لأمي بالأمر بينما كانت تمرر لنا السلطة، وبينما يلقي علينا داستي نَصَّه من مسرحية بيتر *بان*، وبينما يمرر أبي المعكرونة بصوص الجبن. *أنا مصاب بعمى التعرف على الوجوه. بشكل رسمي. لقد فحصتني اليوم متخصصة مخ وأعصاب.*

ولكن لم يعرف أحد أني كنت خارج المنزل طوال اليوم عدا ماركوس، الذي راح يردد أشياء مثل: «ألم يكن انطلاق جرس إنذار الحرائق جنونيًّا اليوم في أثناء الغداء؟ ألم يكن جنونيًّا يا جاك؟»، وكل تعليقات التصَيُّد هذه، التي كان يحاول الإيقاع بي من خلالها. ولمَّا لم يكن أبي وأمي ينظران، أشرت إليه بإصبعي إشارة بذيئة.

فلمحني أبي، وقال: «أنت! ليس هنا على الطاولة».

واعتَرَتني رغبة في إخباره بألا يتحدث إليَّ. وأردت أن أقول: *أنت آخر مَنْ يوبخ أحدًا.*

ولكني كنت في ذاك المزاج الصافي الغريب، رغم ما قالته الطبيبة كلاين، ورغم دماغي التالف. لذا لم أتفوه بكلمة، لا إلي أبي، ولا إلى ماركوس، وهذا أكثر مما يستحقان. فبقيت حبيس أفكاري، أُعيدُ عَيشَ رحلتنا إلى هناك، ورحلة العودة إلى المنزل، وتشابك يدي مع يد ليبي ستراوت، وطريقة تبسمها لي، والطريقة التي نطقت بها قائلة: «*أظن أن علينا فعل شيءٍ حيال الأمر إذن*».

***

بعدما انتهينا من العشاء، نزلت إلى الطابق السفلي وعملت على روبوت الليجو. كنت أحاول أن أنشغل في عملية صنع شيء ما، ولكن ما كنت أصنعه الآن كان أكبر كومة في العالم لمخلفات مكونات الروبوت. إن أصعب ما في المشاريع هي مرحلة الإتيان بفكرتها، وبمجرد أن أعرف ماهية الشيء، لا يتبقى لي إلا جَمعُ القِطَعِ التي أريدها، وتركيبها معًا بالترتيب الصحيح. أما الآن، فلا أستطيع تحديدها بدقة، فقد خطرت لي خمسون فكرة مختلفة لخمسين روبوتًا مختلفًا، ولكن ولا واحدة من بينها صحيحة، أو متميزة بما فيه الكفاية.

ثم تناهى إلى سمعي وقع خطوات. ومن عند السلم سأل صوت: «هل كنت مريضًا بحق اليوم؟».

داستي.

- ليس جراء الأنفلونزا.

- أتريد التحدث عن الأمر؟

أجبت: «أنا بخير». فمشى نحوي وراح يتفحص القطع المبعثرة على الطاولة والأرضية. وقلت: «أتريد التحدث عن أي شيء؟ ألا يزال الناس مؤذين؟».

- أنا بخير أيضًا، فأنا بيتر بان.

وتفهمت الأمر، لقد كان يريد أن يبقى مستمتعًا بهذه اللحظة. ولكن لحظات الكدر تجد طريقها إلى العودة ثانيةً، مبكرًا جدًّا.

***

صعدت إلى غرفتي وخرجت من النافذة، ثم تسلقت الشجرة، ثم صعدت إلى السطح. استلقيتُ على ظهري، وحدقت إلى السماء، وفكرت في أنها هي السماء عينها التي نظرت إليها حين كنت في السادسة، قبل سقوطي، وفي كل ما حدث بين ذاك الحين والوقت الحالي. كان لا بد أن تكون سماء أخرى مغايرة، بسبب كل ما حدث. كان لا بد أن تبدو مختلفة تمامًا.

كان ماركوس يلهو في الباحة، وصعدت أنا إلى السطح لأتَفَلّتَ منه ومن أمي، التي دأبت على إخباري بالانتباه إليه. كان الصعود إلى السطح أصعب مما توقعت، وقد دَهَشَني ذلك. وكان السطح أقذر مما توقعت: براز طيور،

وأغصان، وكرة لينة قديمة، التي ربما كانت هناك على مدار الأعوام العشرين الماضية. لم يكن سطحنا مُسَطَّحًا -كان منحدرًا-، فانزلقتُ وأنا جالس إلى حافته، حتى وجدتني أطل على الشارع والحي. ثم تشبثت بيد واحدة، ورفع ماركوس بصره في اللحظة ذاتها. ثم أفلَتُّ يدي لأني أردته أن يرى أني كنت قويًا، ولا أهاب شيئًا، وأكبر وأعقل بدرجة لن يصل هو إليها.

استغرق السقوط أقل من ثانية لأقع عن ارتفاع ما يقترب من أربعة أمتار، ولكن شعرت أنها دامت إلى الأبد. في لحظة السقوط تلك، يُقال إن الذاكرة تُفتَح عن آخرها، إذ يمكن للمرء رؤية أشياء لم يفكر فيها، أو رآها، أو يتذكرها على الأغلب. أما أنا، فقد كان وجه أمي، تحديدًا كانتا عينيها. ليس بمقدوري تذكر كيف كانت تبدو في اللحظة التي رأيتهما فيها، ولكني يمكنني تذكر أني رأيتهما.

ليبي

- مرحبًا؟
- أنا جاك، كنت أفكر فيما قُلتِه.
- لقد قلت العديد من الأشياء، هل بوسعك أن تكون محددًا قليلًا؟
- كنت أفكر فيما قلتِه حول فعل شيء نتعامل به مع وضع أُعجِبُكِ وتعجبينني بأكمله.
- لم أقل قط إنك تُعجِبُني.

صمت.

- جاك؟
- ما سَمِعتِه لتَوِّكِ هو صوت قلبي يحتضر بموتٍ سريعٍ مباغت.
- لنفترض، لو (ولا أتكلم على وجه الحقيقة) ولكن لو أُعجِبتُ بك، ماذا كنت ستفعل حيال الأمر؟
- كنتُ على الأرجح سأرغب في إمساك يدك.
- على الأرجح؟
- افتراضيًّا، أجل. من المؤكد افتراضيًّا أني كنت سأرغب في الإمساك بيدكِ.
- حسنًا إذن، على الأرجح افتراضيًّا أني كنت سأمسك يدك أيضًا.
- وكنت سأرغب افتراضيًّا أن أصطحبكِ إلى السينما، رغم عدم حبي للأفلام غالبًا، بسبب وضع اختلاط الوجوه بأكمله.
- إلى أي واحد؟

- أي فيلم؟
- أود أن أعرف إذا كان شيئًا أرغب في رؤيته.
- ألن يكون كافيًا أن أكون معكِ، يُمسك بعضنا بيد بعض الافتراضية في الظلام؟
- كنتُ سأرغب على الأقل في أن أعرف أي نوع من الأفلام سنراه.
- آه، أظن أنه يجب أن يكون فيلمًا يحوي بعضًا من كل شيء: الكوميديا، والدراما، والإثارة، والغموض، والرومانسية.
- يبدو هذا فيلمًا رائعًا.
- إذن، هل ستُمسِكين بيدي في أثناء مشاهدته؟
- على الأرجح.
- حسنًا، سأقبل بـ «على الأرجح» الآن. كما أريد أن أصطحبكِ إلى العشاء، إما قبل الفيلم، وإما بعده، على حسب، وسأرغب قطعًا في أن أمشي معكِ لأوصلكِ إلى باب بيتك.
- ماذا لو أردتُ أن تُراقِصَني وصولًا إلى بيتي بدلًا عن ذلك؟
- أنا لها إذن.

هل أنت كذلك؟ هل هذا هو المقصود من ذلك؟ راح قلبي يقفز خارجًا من الغرفة، وصولًا إلى الممر، وخارج الباب، ثم إلى الشارع.

- ولكن بعد أن أراقصكِ إلى البيت، سأرغب في تقبيلكِ.
- أستفعل ذلك؟
- سأفعل.

ثم لم يعد قلبي موجودًا على الأرض، بل كان بوسعي رؤيته يتخطى القمر، والنجوم، وينفجر في مجرة أخرى.

- افتراضيًّا.
- حسنًا إذن، سأدعك تُقبلني.
- افتراضيًّا؟
- لا، بل بالتأكيد.

بحلول الساعة 1:46 صباحًا، بعد ساعتين من إغلاقنا المكالمة، استلقيتُ هناك بقية الليلة أنتظر عودة قلبي إلى صدري.

الأيام الثمانية التالية

بحلول يوم الاثنين على الغداء، جلست إلى الطاولة قبالة كام وسيث، اللذين جلسا متجاورين. وكنت أرسم أفكارًا تصميمية لروبوت داستي، وكنت في غاية الحماس للمرة الأولى، وأمكنني رؤيته، كما الحال في: لقد عرفت أخيرًا ما أفعله. وكان دمي يتدفق، وقلبي يضخ، كأني قد قطعت لتوي سباق جري، وعدوت بأسرع قوتي إلى خط النهاية. ولا شيء -بالمعنى الحرفي لـلا شيء- يمكنه أن يقطع تدفق تلك الأفكار. إلى أن هتف سيث: «أتعرف؟ لدي أنا وكام شيء قد يُسَهِّل عليك وضعك».

رفعتُ نظري، وكانت رؤيتي ضبابيةً بعض الشيء، ذلك لأن رأسي كان مستغرقًا في الورقة التي أمامي، وليس في كافتيريا مدرسة مارتن فان بورين الثانوية. وأخذ سيث يضحك كمتواطئ في جريمة ما، وأيًّا كان الأمر، فلا أود سماعه.

إلا إني قلت في حذر بالغ: «أي وضع؟».

لكز سيث كام بمرفقه بشدة، ما جعل كام يُسقِطُ حفنة من البطاطس المقلية التي كان على وشك أن يحشو بها حلقه. ثم قال: «تبًّا يا باول».

ولكن سيث واصل حديثه قائلًا: «أجريتُ بحثًا الليلة البارحة». ثم أخرج من جيبة ورقة.

قلت: «يا إلهي، مواد إباحية». كان عليَّ توقع هذا. وعدت للرسم ثانية.

أجاب: «ليست مواد غير لائقة. عجبًا!». كان يتمتع بالجرأة ليظهر عليه الاستياء، حتى إنه -حسب ما أعرف- فإن سيث يعتقد أن الإنترنت قد اختُرِعَ لغرضين وحيدين: المواد الإباحية، والقمار. وتابع: «أولها: يسهل التحدث إليهن».

سألت بينما ما زلت أدَوِّنُ الملاحظات: «من هن؟ من يسهل التحدث إليهن؟».

رد: «الفتيات البدينات». رفعت رأسي بسرعة خاطفة شديدة. كان يحاول كتم ضحكاته، ولكنه لم يقوَ على ذلك. لقد راح يضحك بالفعل.

- ثانيًا: الجميلات لسن لطيفات دومًا.

هتف كام: «تلك النقطة حقيقية».

سألته: «ما الذي تقرؤه عليَّ؟».

رد: «عشرة أسباب لمواعدة فتاة بدينة». لقد وجدته على الإنترنت. ثم لَوَّحَ لي بالورقة، ورفعها إلى وجهه ثانيةً، ثم راح يقرأ شيئًا بصمت، وشرع في الضحك. حاولت انتزاعها من بين يديه، إلا إنه أبعدها عن متناولي، ورفعها فوق رأسه. وراح يقول: «ثالثًا...».

انتزعها منه كام وأعطاني إياها، فحوَّلتها إلى كرة، وهممت أن أرميها لتمر عابرة كل الكافتيريا لتصل إلى سلة المهملات، إلا إني لم أرغب في أن يجدها أحدهم هناك، لذا، بدلًا من ذلك، فقد دسستها في جيبي الخلفي، ثم ملت إلى الأمام فوق الطاولة، وضربت سيث ضربة شديدة فوق رأسه.

فما كان منه إلا أن واصل الضحك، فهتف كام: «أبله». ثم حَشَرَ ما تبقى من البطاطس المقلية في فمه.

أعرف أن سيث يظن أنه يمزح، ولكن أحشائي تتحرق، كأني قد ابتلعت نيرانًا متأججة.

- دَعكَ منها يا رجل، أنا جاد.

رد: «عجبًا، أكيد، أكيد يا ماس. لا أهتم». وأخذ يمسح الدموع من عينيه ويحاول التقاط أنفاسه. وجلس في صمت وهدوء هنيهة، ثم بضحكة واحدة، انفجر في نوبة ضحك أخرى.

حاولت ألا أنزعج من الأمر. من *يهتم لما يظنانه*؟ ورحت أقنع نفسي أن الأمر لا يتعلق بكونها بدينة، فهذا لا يساورني أي قلق حياله. أنا لست بقلق في المقام الأول، بل ما أردت منهما إلا أن يتركاني وشأني، أن يتركانا وشأننا. ولكن جزءًا مني راح يقول: *ماذا لو كنت شخصًا سطحيًّا؟ ماذا لو أن هذه هي سِمتك المميزة؟*

قلت: «أنت أخرق محض يا سيث باول». ثم استَجمَعتُ أفكاري وباقي غدائي، وشققت طريقي بعيدًا عنهما.

ليبي

كان كشف التسجيل في تجارب أداء فريق الفتيات الاستعراضي مُعَلَّقًا على باب هيذر ألبيرن. وكانت سبع فتيات قد سجلن إلى الآن. كنت أنا الثامنة. ناولتني جايفي قلمًا، ثم انحنيت وسَجَّلت اسمي. وتناهى إلى سمعي من خلفي: «يا إلهي، هل ستشتركين في تجارب الأداء؟».

ثم نظرت إليَّ كارولاين لاشامب من علوها، وارتسمت على وجهها تلك الابتسامة الزائفة التي تجعلها تبدو كسفاحة ملكات الجمال.

سألت: «أوه، يا إلهي، من أين عرفتِ؟».

فرمشت بعينها إليَّ، ثم إلى الاسم المدون في الكشف، ثم إلى جايفي، ثم إليَّ مرة أخرى.

قلت: «تخيلي فحسب، قد نكون زميلتين في الفريق». ثم اعتصرتها في حضن شديد، وقلت: «أراكِ في تجارب الأداء!».

أعيى الضحك جايفي، حتى إنها لم تَقوَ على المشي، وراحت تتمايل مثل شخص سِكّير في الممرات. ثم اعتدلت في الأخير، وتوقفت عن الضحك وقتًا كافيًا حتى تتمكن من قول: «إذن ما الذي فَعَلتِه حيال وضع أتيكوس؟ هل أجريت الاختبارات أم لا؟».

- لم أُجرِها. لقد قَرَّرتُ أنه أَعلَمُ بالأفضل رغم كل شيء.

- هذا من دأبه.

***

في دورة تعليم القيادة، خُصِّصَت سيارة واحدة لكل ثلاثة طلاب، وبما أن باقي الفصل هم من طلاب السنة الثانية، فقد ضُمَّ طلاب السنة الأولى الوحيدون معًا: أنا، وبايلي، وترافيس كيرنز.

كنت متأكدة تمام التأكد أن ترافيس مُنتَشٍ، إذ راح يعلق تعليقًا متواصلًا من مقعده الخلفي، الذي قال فيه أشياء من قبيل: «قُودِي بأقصى سرعة ممكنة أيتها الفتاة الضخمة... انطلقي كالرياحِ اللعينة... شَغِّلي السيارة بِهِمَّة... أظهِري للعالم قدرتكِ... استخدمي ساقَكِ الضخمة الجميلة تلك واضغطي دواسة البنزين... خذينا إلى القمر يا أختاه... أو حتى إلى إندي[1]... خذينا إلى إندي... خذينا إلى إندي... إندي... إندي... إندي...». كلمات متعددة غير مفهومة، متبوعة بضحكة جنونية.

كانت بايلي تجلس بجانبه ملتصقة بالباب، مبتعدة عنه قدر ما استطاعت. ولكنها في الوقت نفسه تبتسم ابتسامةً صادقة، على طريقة بايلي الحقيقية. وجلس السيد دومينجيز بكل صفاته الرجولية في المقعد الذي بجانب السائق. وكنت أنا في مقعد السائق، ولم أقوَ على مغالبة هذا، كنت في غاية الحماس. وكان وخزٌ خفيفٌ يسري في يدي، وتلتهب تلك الحرارة المستعرة في قدمَيَّ صاعدةً على طول ساقَي، وتصل إلى معدتي، حتى تبلغ صدري. شعرت وكأن النيران مضرمة فيَّ، ولكن بطريقة تُشعِرُني بأني على قيد الحياة.

وللعلم، كان بعضٌ مني يعتقد وقتًا طويلًا أني لن أقود سيارة أبدًا، أو أمارس أي أنشطة يومية يفعلها أترابي، فقد تألَّفَ عالمي بأكمله من سريري، والأريكة، ثم بعد فترة، لما لم يكن بمقدوري التحرك بسهولة من السرير إلى الأريكة، بقيتُ في السرير ليلًا ونهارًا أقرأ وأشاهد البرامج، واحدًا تلو الآخر، وأتصفح الإنترنت، وبالطبع آكل. وفي بعض الأحيان كنت أسمع دين وسام وكاستيل يلعبون بالخارج، ولو جلست بالقدر الكافي، كنت سأراهم خارج نافذتي وهم في الشارع، وأراقبهم وهم يلعبون التنس، أو كرة القدم، أو المطاردة والإمساك.[2] كنت أرى سام ودين يغادران لحفلات الرقص، والمَوَاعِد الغرامية. (في خيالي، كانا يوعدانني). وكنت أراقب كاس –أصغرهم– وهو

---

(1) اختصار لمدينة إنديانابوليس، عاصمة ولاية إنديانا. (المترجمة)

(2) يضع أحد اللاعبين عاصبة على عينيه، ثم يبدأ في مطاردة اللاعبين الآخرين والإمساك بهم. (المترجمة)

يتسلق إحدى الأشجار التي حَوَّطت المنزل. لقد تنَصَّتُّ على محادثات هاتفية، وجلسات غزل، ونقاشات حادة. وأحيانًا كنت أرى كاس في باحة منزلنا وهو يرفع بصره إلى نافذتي، وكنت أجلس في سكونٍ تام، آملةً أن يبتعد، لأنه يوجد فارق بين أن تتجسس وبين أن يُتَجَسَّس عليك.

وحاليًّا، أقود السيارة، وهو ما يجعلني لا أهتم بثرثرة ترافيس، وبسؤال بايلي عني وعن جاك، وعن وجود شيء ما بيننا ذي دلالة ما، وإن كان هناك *جاك وليبي* بأي طريقة أو شكل يجب أن تَعرِفَ بها. وكان السيد دومينجيز يصرخ في وجهي وهو يلقنني الاتجاهات، وفي أحيان أخرى يصيح على كليهما ليسكتا.

ورغم أن تلك المرة كانت الأولى التي أقود فيها السيارة، فإني كنت جيدة. كأن الأمر لا يتطلب أي عناء، كأني معتادة ذلك. وفجأة، خطر لي: *أنا أقود السيارة.*

كما في: *أنا أقود سيارة بالفعل. كأني شخص عادي، مثل ذاك الشخص الذي يمر بي في الجهة المقابلة من الطريق، مثل الشخص الذي يمر من أمامي، مثل الشخص الذي خلفي، مثل كل أولئك الماشين في الشارع، الذين على الأرجح يملكون سياراتهم ورُخَصَهم. أنا أقود سيارة!*

كان هذا شيئًا آخر لن أحكيه لأمي. وقبل أن أدرك ذلك، اغرورقت عيناي بالدموع، فقد اشتقت لها. ولكن *انظري إليَّ جالسةً خلف عجلة القيادة وأقطع الشارع بهم. انظري إليَّ أنتَظِرُ عند الإشارات الضوئية. انظري إليَّ آخذ هذا المنعطف.*

ثم سأل السيد دومينجيز: «ما الذي تفعلينه بحق الجحيم؟».

دون أن أنقل عيني عن الطريق، أجبت: «أنا أبكي. وأقود كذلك». أنا أبكي وأيضًا أقود! زاد هذا من بكائي، وكانت الدموع خليطًا بين السعادة والحزن.

مالت بايلي إلى الأمام وشَدَّت على كتفي، وأمكنني سماع نحيبها. فهتف السيد دومينجيز: «هل نحتاج إلى إيقاف السيارة؟».

أجبتُ: «لا! أريد أن أقودها طويلًا». وعلى حين غرة، وجدتني أتحدث بأسلوبٍ تَعَجُّبِيٍّ فحسب. ثم تفحصت المَرَايا. ورغم أن السيد دومينجيز لم يخبرني بذلك، انطلقت مسرعة إلى بوابة الطريق السريع، إذ إني لم أَقْوَ على كبح نفسي، فقد أردت أن أطلق العنان لهذه السيارة.

صرخ ترافيس قائلًا: «انطلقي بأقصى سرعتكِ!»، وأطلقت بايلي صرخة حماس صغيرة بينما تطير راجعة تجاه المقعد.

كنت لا أزال أبكي، وأضحك في الوقت نفسه لأني حرة، ولا توجد احتمالية أن يتفهم أحد منهم هذا. فقلت للسيد دومينجيز: «لن تعرف أبدًا شعور أن تكون حبيسًا في منزلك كعجل صغير. هذا أفضل يوم في حياتي!». وبدا صوت ضحكتي ينم عن الجنون، وشعرت بهذا أيضًا، ولكنها لم تكن كذلك، بل بدت غامرة وخالصة، ولا نهاية لها، كأنه بوسعي الضحك من الآن حتى آخر يوم في عمري دون توقف.

وقدر ما تبدو عليه الفكرة من التفاهة، فإني أعنيها. *هذا أفضل* يوم *في حياتي*. كنت على الطريق السريع الآن، وكانت الأشياء تتدفق سريعًا من حولي. ثم بعدها رحت أشق طريقي مسرعة معها، كأي شيء آخر، كأني أنتمي إلى هذا العالم الخارجي، كأنه بمقدوري أن أقطع طريقي وصولًا إلى السحاب، تدفعني السعادة والحرية.

شَغَّلَ أحدهم الموسيقى، «بخير الآن» لفرقة فري.[1] وفي مرآة الرؤية الخلفية، أمكنني رؤية ترافيس يضرب برأسه في الهواء، وبايلي المسكينة تتشبث بمقعدي وشعرها الأشقر يهفهف في كل مكان. واستمرت الأغنية تتكرر مرةً بعد مرة بينما أتدرب على المرور في حارات الطريق، وعلى الخروج منها. ومن كثرة تكرارها، راح يغني جميعنا مقطع الكورس في نهاية المطاف، حتى بايلي.

ولما كان ما يفصلنا عن المدرسة بنايتين، أمرنا السيد دومينجيز برفع زجاج النوافذ والاعتدال في الجلوس. ولكن كنا لا نزال نردد الأغنية بينما أُدخِلُ السيارة إلى موقف السيارات.

---

(1) اسم الأغنية واسم الفرقة فري (حُرّ) آتيًا على سبيل المفارقة. (المترجمة)

جاك

خرجت أنا وليبي معًا بعد انتهاء مجموعة المحادثة في صالة الألعاب الرياضية. صعدنا الدرج، ومشينا في الممرات جنبًا إلى جنب، ثم خرجنا إلى موقف السيارات. واعترتني رغبة في الإمساك بيدها، غير أني لم أفعل، ولكن عقلي تشبث بالفكرة بشدة. *لِمَ لا تمسك يدها؟* كان كيشوان وناتاشا وبقيتهم يسيرون أمامنا، لذا لم يكن إلا أنا وليبي.

قلت: «كنت أتساءل، افتراضيًّا، إذا كُنتِ تودين الخروج معي في عطلة نهاية هذا الأسبوع».

وكانت إما تتظاهر بالتفكير في الأمر، وإما تفكر فيه بالفعل.

- تمهلي. لديكِ دقيقتان إضافيتان تقريبًا للإجابة.

- متى ينتهي العرض؟

- حين أطلب منكِ ثانية.

ثم ابتسمت لي ابتسامة فاتنة ومغرية. وبهذه الأصوات الهامسة، قالت: «أظن، افتراضيًّا، أن هذا يبدو مسليًّا».

ليبي

أتى جاك قبل موعده بخمس دقائق، وكان شعره أشعث جامِحًا كعادته، ولكنه كان مبللًا، كأنه قد انتهى لتوه من الاستحمام. وكنت أجلس بجواره على الأريكة، وكانت تفوح منه رائحة كالصابون، ورائحة أكثر عبقًا كرجل. حاولت جاهدة ألّا أحدق إلى يديه، اللتين كانتا مستقرتين على ركبتيه، ولا إلى مظهر بشرته، التي بدت أشبه بالذهب مقابل اللون الأزرق الغامق لبنطاله الجينز.

كنت قد أَعلَمتُ أبي بقدوم جاك، وأن جاك صديقي، وأنه سيصطحبني إلى الخارج في أول موعد غرامي لي على الإطلاق. *أجل، جاك نفسه الذي التقيته في مكتب مديرة المدرسة.*

حبست أنفاسي بينما نجلس، ثلاثتنا -أربعتنا، إذا احتسبنا جورج، الذي راح يرمش تجاه جاك من خلف المقعد الذي يجلس عليه أبي- في مثلث مُرِبك تحت عنوان: كثير من الأشياء لا يُقال. أخذ أبي وجاك يتبادلان أطراف الحديث، وحَمَل جاك على عاتقه مهمة تَحَدُّثِ أكثر الحديث. وراح أبي يراقبه كأنما يحاول الكشف عن نواياه الحقيقية، فهو لم يكن لطيفًا ودودًا كليةً، ولا فَظًّا كذلك، وهو شيء يشعر المرء له بالامتنان.

ولكن راح ويل ستراوت يقول: «بمقدورك أن تتخيل مدى دهشتي عندما أخبرتني ليبي برغبتها في الخروج معك».

- بمقدوري.
- أعرف أن ابنتي رائعة، ولكن يكمن السؤال عما إذا كنت تعرف هذا أيضًا.
- أعمل على تعلم هذا.
- يبدو أنها تضع ثقتها بك، وتريد مني أن أثق بك كذلك.

- أفهم سبب عدم ثقتك. وكل ما بيدي هو محاولة إثبات نفسي لكليكما يا سيدي.

- هل تذكر لي ثلاثة أسباب وجيهة تجعلني أسمح لها بمغادرة المنزل معك الليلة؟

- لقد تصرفت تصرف الحقيرين، ولكني لست حقيرًا. فلم أُضمِر قط إيذاء ابنتك. ولم أكن قط لأوذِيَها عن قصد.

نظر أبي إليَّ، وحاولت أن أنظر إليه نظرة تقول: *اعفُ عنه رجاءً ودعني أذهب إلى الخارج حتى لا أموت وأنا عجوز عانس. إلى جانب أني معجبة به جدًّا، حتى لو كنت تظن أن الأمر جنوني. ورجاءً، رجاءً، ثق بي.*

ثم وجه كلامه إلى جاك سائلًا: «إذن ما المكان الذي تنوي أن تأخذ ابنتي إليه هذه الأمسية؟». وظل يردد *ابنتي* كأنه يحاول أن يشدد ويؤكد على ذلك. *تلك ابنتي، لحمي ودمي. هل تعرف أن موتك الحتمي هو ما ينتظرك لو أقدَمتَ على شيء لتعبث مع طفلتي الوحيدة؟*

- أظن أننا سنشاهد فيلمًا ونذهب إلى المطعم.

- ستحضرها إلى المنزل بحلول الساعة الحادية عشرة.

أنا: «أنا طالبة في الصف الثالث الثانوي».

أبي: «أجل، أنتِ كذلك».

أنا: «ماذا عن منتصف الليل؟».

أبي: «ماذا عن العاشرة والنصف؟».

أنا (لجاك): «يجب أن أكون في المنزل بحلول الحادية عشرة».

جاك (ضاحكًا): «بالتأكيد. أعدك أن أُرجِعَها إلى البيت بحلول هذا الوقت، إن لم يكن مبكرًا عنه».

قلت في نفسي: *ليس مبكرًا* عنه بكثير.

سأله أبي: «متى كانت آخر مرة أجريتَ فيها صيانة لسيارتك؟».

والآن بات بإمكاني معرفة ما إذا كان يعبث مع جاك أم كان جادًّا. وحاولت أن أبعث إليه برسالة تَخاطُرية تقول: *رجاءً، توقف عن هذا. خفف من وطأة الأمر، فهنالك فرصة مواتية لأن يفسد عليَّ فرصي هنا قبل أن أحظى بها. وربما لا يكون جاك هو فرصتي الأخيرة لأحظى بحب رجل من غير عائلتي، ولكنه بالتأكيد أفضل فرصة تتسنى لي الآن، كما إني معجبة به في الواقع.*

أنا معجبة بجاك ماسيلين.

- في أفضل حالاتها. أنا في الواقع بارع في هذا المجال، لذا فقد فعلتها بنفسي.

نظر إليه أبي نظرة متفحصة مدةً بدا أنها كل ما تبقى من حياتي، ثم قال: «أتعرف؟ كنتُ أنا وأبوك نرتاد المدرسة معًا، ولعبنا في فريق كرة القدم في المدرسة الإعدادية، وفي المدرسة الثانوية».

ولم يكن المقصد من وراء هذا هو تحديدًا: *إنني متحمس بشدة أنك تخرج مع ابنتي في موعد غرامي*. ولكنه شيءٌ غير مُرضٍ.

***

لما صرنا في السيارة، قلت: «آسفة بشأن أبي».

- هل تمزحين؟ له الحق كل الحق في أن يبرحني ضربًا. ولو كنت مكانه، لم أكن لأدعني أقترب منكِ.

ولكن كلَّ ما سمعته هو: *لا أريد إلا أن أكون قربك يا ليبي ستراوت. أريد أن ألثم ثغركِ.*

قال جاك: «إنه شديد الحرص فحسب، وعليه ذلك، خصوصًا بعد ما فعلتُ بكِ. هذا ما سأسلكه لو أنجبت ابنة».

ولكن ما سمعته كان: *سأكون حامِيَكِ دومًا. وسأتعهدكِ بالرعاية أنتِ وابنتنا، تلك التي سننجبها معًا بعد زواجنا. وأنا أحبك إلى الأبد.*

بعد خمس عشرة سنة في المستقبل، أتخيلني جالسة في السيارة ذاتها، في مكان ما بعيد عن آموس، ويجلس جاك ماسيلين بجانبي كما هو الآن، إلا إن أطفالنا سيجلسون في المقعد الخلفي، أو ربما طفل واحد –الابنة–، ويدي على ساقه. ثم نظرت إلى ساقه، ثم إلى يده التي على عجلة القيادة. *أظن أنك ستكون أبًا رائعًا.*

لم أكن أعرف إلى أين نذهب، ولكننا توجهنا إلى الجانب الشرقي من البلدة، حيث توجد المطاعم ودور السينما. كان هذا المكان الذي عشت فيه أنا وأبي إلى أن حطموا المنزل ليخرجوني.

وكأنه قادر على قراءة أفكاري، إذ قال جاك: «ألم تكوني تقطنين هذا الجانب من البلدة؟».

- ذات مرة. إلى أين نتجه إذن؟

ابتسم في وجهي، فجعلتني هذه الابتسامة أذوب في مقعدي. وسرى دفء وارتياح داخلي، وتشربت هذا الإحساس، لأني لا أنعم به طوال الوقت. وتردد قول ريتشل في أذني: *لا بأس بأن يكون المرء سعيدًا، لا بأس أن يسمح لنفسه أن ينعم بالأوقات الطيبة.*

قد تكون الليلة هي المنشودة، الليلة الحميمية لخسارة الوزن على طريقة بولين بوتر. وأنت يا جاك ماسيلين قد تكون أول من أحظى معه بعلاقة.

قال: «كنت أفكر في إحضار شيء نأكله، ثم نرى ماذا نفعل بعد ذلك». ولكن علَّه يقول كذلك: *سآخذكِ إلى القمر ذهابًا وإيابًا، وفي أثناء وجودنا في الأعلى، سأجمع لكِ النجوم لتكون ملككِ.*

وفجأة، وجدتني أفكر في الابنة المُقَدَّر لنا إنجابها. قلت في نفسي: *بياتريس، سنسميها بياتريس.*

***

اجتزنا بالسيارة مطاعم أوليف جاردن، وأبل بيز، وريد لوبيستر، التي افتُتِحَت الشهر الماضي. تفقدت في عقلي كل مطاعم البلدة –وهي ليست بالكثيرة–، ولكننا كنا نتخطى واحدًا تلو الآخر. حتى مِلتُ إلى أن أتوقعه يدور بنا حول المكان، ثم يرجعني إلى المنزل، بلا طعام ولا موعد غرامي. أو ربما يقود بنا على طريق أوهايو، حيث لن يتعرف عليه أحد، ولا عليَّ.

ولكن بعدها، كنا نغادر آموس. وانقبض قلبي قليلًا، مما يوحي لي بأني لم أتوقع أن يفعل ذلك في الحقيقة، ولكنه كان يفعل ذلك، يُهَرِّبُني في طرق المدينة كابنة واحد من أثرياء النفط.

قلت بصوتٍ رتيبٍ مستوٍ كأنه مرت من فوقه سيارة ما يقترب من خمسين مرة: «إلى أين نحن ذاهبان؟».

- إلى ريتشموند.

سألت: «ريتشموند؟». وخرجت مني مثل *تبًّا لك، أتمزح معي؟ ريتشموند؟! لِمَ لم تُسَلسِلني بحجر في ساقي وتَرمِني إلى النهر؟*

أجاب: «أجل، ريتشموند. يستحيل أن أصطحبكِ إلى واحد من مقالب النفايات الاعتيادية. فهذا لا يليق بكِ».

جاك

لقد دأبت على القدوم إلى كلارز بيتزا كينج، فهو أفضل مطعم يقدم بيتزا في الجوار، وتقف في قاعة تناول الطعام حافلة حمراء من طابقين. كان المكان يعجُّ بالناس، ولكني قد اتصلت مقدمًا. وكان بإمكاننا الجلوس في الحافلة، أو على الطاولات الجانبية في الطابق العلوي، حيث يوجد مقعد أرجوحة في أحد الجوانب، فاختارت ليبي مقعد الأرجوحة.

رحنا نتخطى طاولة بعد الأخرى، وكانت ليبي تمشي أمامي، ورأيت الناس يحدقون إليها. كان هذا يحدث حين كنت بصحبة كارولاين، تنجذب أنظار الناس إليها. ولكن كانوا ينظرون إلى كارولاين لكونها الفتاة الطويلة الجذابة، التي تلفت نظر المرء إليها.

وفي مشينا، أمكنني رؤية الموضع الذي يضيق الممر فيه، حيث يتعين على ليبي أن تعبر بصعوبة بسبب وزنها. لذا عرضت عليها أن أتقدم أمامها، إذ بهذا يكون بمقدوري اختيار الطريق الذي سنسلكه، فلا يتعين عليها القلق حيال الأمر. ورحت أفسح الطريق، وأخذ الناس يحدقون باستغراب، ثم أدركت فجأة أني حتى وقت قريب كنت أفعل فعلهم. ربما لم أكن من بين الذين يكبتون ضحكاتهم، ولكن ذاك الجالس بجانبهم. وتعذرت عليَّ معرفة ما أشعر به أو أفعله، فرُحتُ أبادلهم التحديق. *هل أعرفهم أم لا أعرفهم؟* لا أهتم حتى. وأخذوا يراقبونني أنا وهي. وشرعت الطاولة التي يجلس إليها الأولاد تتفوه بالهراء. هل سَمِعَتْهم؟ لا يمكنني الجزم. يُحتَمَل. رميت برأسي إلى الوراء –حركة أحب الاعتقاد بأنها تجعل شعري أكبر عشرين مرة من

حجمه العادي في الحال، وتجعلني أطول بما يقارب المترين- ثم رمقتهم بنظرة المُعجَب، فانتهوا عن ذلك.

لما صعدنا إلى الطابق العلوي، جلست ليبي على الأرجوحة. والآن بوسعي الجلوس في الجهة المقابلة من الطاولة، أو الجلوس بجوارها. قلت في نفسي أقصد كل الأشخاص المحدقين: *تبًّا لهم جميعًا!* قلت: «هل هذا المكان محجوز؟»، وأومأتُ إلى الأرجوحة.

- لا يتعين عليك ذلك.

- ماذا؟

- الجلوس بجانبي.

- تنَحَّي جانبًا يا أختاه.

تحَرَّكَت لتفسح لي مكانًا، ورحنا نهز الأرجوحة إلى الأمام والخلف، كأننا نسترخي ونقضي وقتًا ممتعًا في شرفتنا الأمامية في ظهيرة صيف ما. كان على كل طاولة هاتفٌ حقيقي -هاتفٌ سِلكيٌّ من الطراز القديم- وبعدما أدرجنا طلبنا، أمسكت بيدها.

قلتُ: «يداي متعرقتان».

- لِمَ؟

- لأني متوتر.

- لِمَ؟

- لأني جالس بجانبكِ على هذه الأرجوحة، وأنتِ جميلة.

فترددت، كأنها غير متأكدة من تصديق الإطراء، ولكن بعدها قالت: «شكرًا لك».

كانت فكرة الخروج معها إلى العالم تختلف عن فكرة أن نكون وحدنا. لسبب واحد: ثمة الكثير من الأشخاص الآخرين. لسبب ثانٍ: كنت أتولى حمايتها، ومستعدًّا لأن أهاجم أي أحد يشرع في مضايقتها ومضايقتي. لسبب ثالث: يجعلني هذا أفكر في وزنها بطريقةٍ غير مسبوقة حقًّا، وجديًّا، حتى هذه اللحظة الماثلة.

كنا جالسين في المطعم والصمت يلُفُّنا، لذا فقد قررت أن أخبرها بخصوص الطبيبة آمبر كلاين، والفحوصات، وكل شيء لم أخبرها به عن وقتي الذي

قضيته كجاك ماسيلين فأر المختبر. لم تنبس ليبي بكلمة، ولكني أشعر بأنها كانت تُصغي. كان رأسها مائلًا إلى جانب واحد، وكنت أرى علامات الفهم والاستيعاب منعكسة في عينيها.

ثم هتفت أخيرًا: «كيف تشعر؟».

- الشعور نفسه. أو ربما أسوأ قليلًا. أو ربما أفضل قليلًا.

- هل ستخبر أبويك؟

- لا أظن ذلك. فما الجدوى من الأمر؟ أليس كذلك؟ أقصد، ما بيد أيٍّ منا حيلة، إلَّا تنزيل برنامج التعرف على الوجوه مباشرة في دماغي. فإخبارهما لن يخترع علاجًا سحريًّا شافيًا. فكل ما سأفعله لهما هو منحهما المزيد من الهراء ليقلقا حياله.

- آسفة. تمنيت لو أن بيديهما شيئًا يقدمانه لك. ليس لأن دماغك ليس مذهلًا بالطريقة التي هو عليها، بل لأن هذا سيرفع من معنوياتك.

وكان الآن دوري في ألَّا أتفوه بأي شيء، فجلست أُمعِنُ النظر إليها حتى لم يتبقَّ إلَّانا: أنا وليبي، ولم يكن ثمة أحد من حولنا. وكل ما كنت أريده هو تقبيلها. وكدت أفعل ذلك، إلا إن النادلة كانت تقف حاملة طعامنا.

وبينما نأكل، راحت ليبي تنظر إلى المكان من حولها نظرة خاطفة. ثم في نهاية المطاف أرسَت بعينيها عليَّ، وقالت: «ريتشموند؟ عجبًا!». وكان في صوتها شيء جعلني أترك مشروبي.

- حسبتكِ ستحبين كلارا.

فقالت: «لقد أحببت كلارا. كل ما في الأمر هو أني كنت لا أمانع –تعرف– الذهاب إلى مكان ما في آموس». ثم نظرت مباشرة تجاه الحافلة.

قلت: «اسمعي. ربما أُبقي أمر عمى الوجوه سرًّا إلى الآن، ولكن لا دلالة لهذا على أني أريد أن أجعل كل شيء في حياتي طي الكتمان. ولا دلالة لهذا على أني أريد أن أجعلكِ سرًّا، فلن أخبئكِ أبدًا، إذا كان هذا ما يجول بخاطركِ». وفي قولي هذا، سألت نفسي: *هل هذا ما أفعله؟*

ثم راحت ترمش بعينيها إلى الطاولة، وإلى القائمة، وأي شيء آخر، إلا أنا.

- تبًّا، هذا ما كُنتِ تفكرين فيه، أني أحضَرتُكِ إلى هنا حتى لا نلتقي أي أحد.

- كلا.

- جيد، لأن هذا سيكون ضربًا من الجنون.

لِمَ أحضرتها إلى هنا إذن أيها الأحمق؟

- أقصد، نعم.

قلت: «أوه، لأن هذا لن يكون ضربًا من الجنون أبدًا». ثم التقت عيناها عينَيَّ، فتابعتُ: «فهمت الأمر. أنا ملك المشاغبين، وتثقين بي، ولكنكِ لا تعرفين. لا تعرفينني معرفة كافية حتى تكوني على دراية بالمدى الذي قد يصل إليه سلوكي المشاغب».

وكنت طوال الوقت أسأل نفسي: *إلى أي مدى يصل سلوكك المشاغب؟ وماذا لو وصل إلى حدٍّ أبعد مما تظن؟*

فرَدَّت: «ربما لا». وكرهت النبرة الحذرة المقتضبة، إذ وقفت كالحاجز بيني وبينها.

- اسمعي، لقد أحضرتكِ إلى هنا لأن مقامكِ أرفع من سلاسل المطاعم السيئة في آموس. لقد أحضرتكِ إلى هنا لأني حين كنت في عمر السادسة، سقطت من فوق سطح منزلنا، وقد أدخل لي أبي بيتزا كلارا إلى المستشفى خلسة، وذاك النوع من الذكريات عزيزٌ عليَّ في الوقت الحالي، ذلك الذي كان فيه أبي شخصًا عظيمًا. لقد أحضرتكِ إلى هنا لأن هذا هو أول مكان أردت أن آتِي إليه بعد الخروج من المستشفى وكانت عافيتي تسمح لي بالجلوس مستقيمًا. أحضرتكِ إلى هنا لأنه أحد أفضل الأماكن في محيط الكيلومترات التسعين المجاورة، إن لم يكن في ولاية إنديانا بأكملها. لأنه غير ممل أو تقليدي. ولأنكِ *أنتِ* لستِ مملة أو تقليدية.

وأدركتُ صدق *كل كلمة*.

مددت يدي لأتخطى الحاجز، وأمسكت بيدها، وقَبَّلتُ مفاصل أصابعها واحدًا بواحد. وبينما أفعل هذا، جال بخاطري: كيف *لهذه الفتاة أن يكون لها هذا القدر الكبير* عندي؟

- ليبي ستراوت، تستحقين أن يراكِ الناس.

قالت موجهة كلامها إلى مفرش الطاولة: «الناس مُرغَمون على رؤيتي».

- لم يكن هذا ما قصدته.

جلسنا هنا، ورحنا نتأرجح. وكنت أؤنب نفسي لإحضارها إلى هنا. كان عليَّ الذهاب إلى ريد لوبيستر فحسب، حيث كان سيحدِّق إلينا جميع مرتادي المدرسة، ويُحتَمَل أن من بينهم كارولاين، وحيث يمكن لأصدقائي الحمقى الإتيان وإفساد موعدنا الغرامي بحماقتهم.

قلت: «انتظري هنا». ثم نهضتُ وخرجت من الأرجوحة، ونزلت الدرج، ووصلت إلى مُشَغِّل الأغاني المثبت بالحائط القائم وراء الحافلة. كان هذا هو مشغل الأغاني نفسه الذي اعتاد أبي وأمي تشغيله حين كانا يأتيان إلى هنا في مواعِدِهما الغرامية، منذ ما يقترب من ستين عامًا. أخذت أبحث في الخيارات الموسيقية سريعًا، كما كنت أفكر في كيف أن ليبي ستراوت جعلتني أريد أن أقود بالسيارة ما يقترب من خمسين كيلومترًا إلى أقرب مكان يليق بمقامها، وأن أجري في المطاعم المزدحمة لأجد لها الأغنية المناسبة.

ثم رأيتها، أغنية فرقة جاكسون فايف. فاخترت الأغنية التي كنت أبحث عنها، وبعض الأغاني الأخرى -فرقتا سلي آند ذا فاملي ستون، وإيرث، وايند، آند فاير[1]- حتى يمكننا أن نستمع لمجموعة كاملة منها. ثم رجعت إلى الطاولة، تلك الطاولة الموجودة في أقصى الركن الشمالي الغربي، الطاولة التي تجلس إليها الفتاة ذات الفستان الأرجواني.

قالت: «ليس عليكَ فعل هذا. ليس عليك فعل أي شيء. أنا أتصرف بغباء».

- لا يمكن أن تكوني غبية أبدًا.

- يمكنني أن أكون غبية.

وقضمتُ قضمة من البيتزا، وقَضَمَت قضمة من البيتزا، ورحنا نأكل في ذاك الصمت الغريب.

ثم بدأت الأغنية فجأة، كما في *الأغنية*. فمسحت فمي بالمنديل، ورميته جانبًا. وهَبَبتُ واقفًا، ومددتُ يدي.

رفعت ليبي نظرها إليَّ، وقالت: «ماذا؟».

- هيا.

- إلى أين؟

---

(1) بالإنجليزية «Sly and the Family Stone»، و«Earth, Wind & Fire». (المترجمة)

- هيا فحسب.

وأرشَدتُها نازِلَين الدرج إلى قلب قاعة مطعم كلارا، في المنطقة المكشوفة، في مقدمة المطعم، بالقرب من قاعة تناول الطعام. ثم لففتها بين ذراعَيَّ، ورحنا نرقص. *أوه، ببطء شديد*. كانت أغنية «سأكون موجودًا من أجلك»[1] هي الخيار المناسب للوضع، ولكن التي اخترتها كانت «بن».[2] فلو كانت أغنية أُلِّفَت من أجلي أنا وليبي، لكانت تلك الأغنية. اثنان منكسران وحيدان، ولن يكونا منكسرين أو وحيدين بعد الآن.

في البداية، كنت مدركًا لكل عين تنظر إلينا في القاعة، ولكن بعدها، تلاشت كل الوجوه، ولم يعد إلا أنا وليبي. يداي على خصرها. هذه *المرأة بكل صفاتها الأنثوية* بين يدَيَّ. كنا في تواؤمٍ مثالي، ونتحرك معًا، ونرتجل في الرقص.

---

(1) بالإنجليزية «I'll Be There». (المترجمة)

(2) بالإنجليزية «Ben». (المترجمة)

ليبي

كان بمقدوري الشعور بتحرُّق جفون عينَيَّ بفعل الدموع. كل مقطع في الأغنية يقصدني، ليبي ستراوت. كنا نحن المقصودين، ولكن أغلبها كان يقصدني. وكذلك جاك. *يا إلهي!*

كان بإمكاني البكاء في أحضان جاك ماسيلين بينما يشاهدنا كل المطعم الذي يعج بالغرباء، أو كان بإمكاني حبس دموعي حتى أخفيها. حبستها، وكررت فعل ذلك، ولن أدعها تفر مني. وفجأة، مال إلى الأمام، وهكذا دون أي مقدمات، قَبَّل وجهي، خدًّا واحدًا أولًا، ثم الآخر. وراح يقبلني في موضع الدموع، التي إن كنت تركتها كانت ستنهمر عليه، وهو ألطف شيء فعله أحدهم غير أمي. وفجأة، غمرني هذا الشعور بالأمان والدفء، اللذين لم أشعر بهما منذ وقت طويل جدًّا. *إنه الشعور بأن كل شيء سيكون على ما يُرام. ستكونين على ما يُرام. قد تكونين بالفعل على ما يُرام. لنكن على ما يُرام معًا، أنا وأنت فقط.*

حبست أنفاسي، ولم أتنفس إلى أن انتهت الأغنية. وانتقل مشغل الأغاني سريعًا إلى المقطوعة التي تليها، التي كانت أغنيةً ذات إيقاعٍ سريع. الحمد لله. كان هذا حينما غَيَّر جاك حركاته في الرقص.

ثم قال: «انظري إلى هذا يا فتاة. *إذا كان بوسعكِ مواكبة الأمر*».

وراح يتراقص على الموسيقى في كل أرجاء المكان.

رددت: «بوسعي هذا!»، ورحت أرقص أنا أيضًا، حتى كنا نرقص كالمجانين، ولم تعد تعتريني الرغبة في البكاء ثانية.

وهتف: «اجعلي شعركِ يتطاير مثل شعري!».

وأخذ يهز شعره يسارًا ويمينًا، وفي المنتصف.

كانت له ميزة غير عادلة، لأن شعره أكبر بكثير من شعري، ولكني بذلت جهدي لأهز شعري في كل الاتجاهات.

قلت: «ارقص رقصة صعقة البرق!»، ورحت أقفز وأهتز، وأقفز وأهتز، كأنها تسري فيَّ شحنة كهرباء. وراح يقفز ويهتز هو كذلك. وفجأة نظرت حولي، فوجدت مجموعة من الأشخاص وقد هَبُّوا واقفين وأخذوا يرقصون عند طاولاتهم.

قال جاك: «إنها ثورة رقص».

ثم أمسك يدي ولَفَّني مرارًا وتكرارًا، حتى كنت أدور بسرعة كبيرة وأضحك. وفكرت أنه يا لروعة العالم لو رقصنا جميعًا في كل مكان نذهب إليه.

***

أوصَلَني إلى عتبة بيتي، ولما وصلنا إلى هناك، انتظرته حتى يقبلني قبلة يتمنى لي بها ليلة سعيدة، ولكن بدلًا من ذلك احتضنني. ولم يكن هذا حضنًا من نوع مصارعة الفتيات البدينات، بل كان حضنًا دافئًا، ومطوقًا، ولطيفًا، وشممت فيه رائحة الصابون والهواء الطلق، كأنه قد تدحرج على عشب يانع. أردته أن يحتضنني إلى الأبد، إلا إنه ابتعد وخفض بصره إلي، وقال بعينين شبه مغلقتين: «تصبحين على خير يا ليبي».

رددت: «تصبح على خير يا جاك». ودلفتُ إلى الداخل. ووجدت أبي هناك، فأخبرته عن العشاء، ثم ذهبت إلى غرفتي وأغلقت الباب. وجلست على السرير، وقلت في نفسي: *لِمَ بحق الجحيم لم يرغب في تقبيلي؟*

طَنَّ هاتفي: «أفضل موعد غرامي».

تبعها: «لا يسعني انتظار تكرار ذلك ثانية».

تبعها: «تلك الفتاة ماري كاثرين تذكركِ بنا حقًّا؟ بناءً على ما أفهمه، فإنها مجنونة محضة».

كتبت: «أجل، ولكن بطريقة لطيفة. إنها تطوي هذا السر الكبير، ولا أحد يفهمها. هل ساعدك هذا على استخلاص رابط؟».

كتب يرد: «أوه، لم أقل إني لم أرَ الرابط، ولكن قولي لي إنكِ لا تظنين أنكِ بهذا الجنون».

أنا: «أظن أننا أكثر جنونًا».

جاك: «سأتقبل هذا».

بعد بضع دقائق، كتب: «لا يسعني التوقف عن القراءة. هذه أفضل هدية عيد ميلاد تلقيتها في حياتي، إلى جانب مكواة اللحام التي أهدوني إياها لما بلغت التاسعة».

أنا: «هذا ما يعجبني فيك. رجوليٌّ جدًّا، إلا إنك عقلانيٌّ للغاية كذلك».

جاك: «هذان شيئان من ضمن الكثير والكثير من الأشياء التي تعجبكِ فيَّ. ولا تجعليني أبدأ في قول ما يعجبني فيكِ، فلن أنتهي من قراءة هذا الكتاب أبدًا، ومهمة حياتي أن أنهيه الليلة».

ثم راح يراسلني على فترات طوال ما تبقى من الليلة، ويعطيني تعليقًا متواصلًا على ما يقرؤه. وفي نهاية المطاف، ارتميت على الوسادات، وعلى وجهي ترتسم ابتسامة عريضة سخيفة. ربما لم يقبلني بعد لقائنا، ولكن تقريبًا قطعًا بلا شك بالتأكيد ضمنت أنه كان سيفعل.

جاك

في صبيحة يوم الاثنين، التقتني فتاة ذات بشرة داكنة ولها شامة مرسومة عند خزانتي.

- جاك.

كارولاين.

- أجل؟

في حال لم تكن هي لكنها فتاة أخرى طويلة ذات بشرة داكنة وشامة مرسومة بجانب إحدى العينين.

- هل حظيت بعطلة نهاية أسبوع جيدة؟

- شكرًا على السؤال، أجل كانت ذلك.

- تعرف ما يقوله الناس، أليس كذلك؟

وها قد بدأ الأمر يلوح في الأفق.

- إني شخص رائع؟

- حول تلك الفتاة، تلك الليبي ستراوت. وأنت. هم يقولون إنك تواعدها، وإنها حبيبتك الجديدة. وكان رد فعلي: أعرف أن هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًّا. ولكنهم قالوا: بلى، إنه حقيقي. لقد أخذها إلى مطعم كلارا.

- مَن «هُم»؟

- لا يهم.

كان بوسعي سماع نبرة الألم في صوتها، مدفونًا تحت هذا السم. أردت أن أقول: *لا بأس بأن يتصرف المرء كشخص عادي، فكلنا خائفون. كلنا تتخللنا الجراح، ولا بأس بأن يؤلمنا هذا. فالمرء سينال إعجابًا أكبر لو تصرف بطبيعته الإنسانية فحسب.*

- لسنا مرتبطين بعد الآن يا كارولاين. ولكن، بلا سوء أدب مني، ما الذي يعنيكِ في هذا؟

قالت: «أظن أنه جميل أنك تريد أن تتلطف معها بعد ما فعلته، ولكني قلقةٌ حيالها، فالفتيات أمثال تلك لا يمكن العبث معهن يا جاك». وهزت رأسها وتابعت: «قد ينتهي بك الأمر مُحَطِّمًا قلبها».

- لم نحدد أي شيء في علاقتنا بعد. ولكن إذا كُنتِ تسألينني عَمَّا إذا كنت أحب الخروج وقضاء الوقت معها؟ فبكل تأكيد نعم. وهل أعتقد أنها فتاة لطيفة؟ فأجل. هل أظن أنها جميلة؟ نعم، أظن. أظن ذلك حقًّا. وأنا لا أعبث معها. بل إني معجب بها. هل من أسئلة أخرى؟

ووقفت هنالك متمالكة نفسها كليةً، وبشخصية كارولاين المثالية، وقالت: «أتعرف؟ أنت تظن أنك مذهل، وتتظاهر بكل هذا، ولكنك لَستَ كذلك».

- أعرف أني لست كذلك، وهو أكثر سبب يجعلني ممتنًا لإعجابها بي على أي حال.

***

لما رجعت إلى المنزل، بحثت في كومة الملابس التي على الأرضية حتى وجدت بنطالي الجينز الذي كنت أبحث عنه. وأخرجت الورقة المُكَوَّرَة من الجيب الخلفي. *10 أسباب لمواعدة فتاة بدينة.*

دفعت نفسي لقراءتها ثانيةً، كأني أريد أن أثبت لنفسي المرة الأخيرة أنها بدينة وأنا لا أهتم.

جعلتني كل كلمة في المقال أشعر بالتقزز. *فكيف لي أن أشعر بأي شعور سوى أني محظوظ لأن هذه الفتاة معجبة بي؟*

نزلت إلى الطابق الأرضي، وذهبت إلى المطبخ، ومشيت مباشرة تجاه الموقد، وأشعلت إحدى العيون، ثم لَوَّحتُ بالورقة فوق اللهب حتى اشتعلت فيها النار. رفعت الورقة عاليًا بعيدًا عن الموقد، وشاهدت الكلمات تحترق.

ثم أسقطت ما تبقى منها في الحوض، حيث احترقت وتحولت إلى كومة من الرماد. ثم فتحت صنبور الماء، وغسلت البقايا لتذهب في البالوعة. وتَحَسُّبًا، أدرتُ مفتاح طاحونة النفايات وتركتها تطحن.

***

برجوعي إلى غرفتي، اتصلت بليبي، ولمَّا ردت، قلت: «لقد انتهيت من الكتاب».

- إذن؟

- أولًا: كان مرعبًا للغاية. ثانيًا: كانت ماري كاثرين بلاكوود مجنونة بفعل عزلتها. ثالثًا: أرى أنكِ تحبينها. رابعًا: ربما ذكرتني بنا بعض الشيء، إلا إني أود القول إننا أكثر تعقلًا بعض الشيء. وخامسًا: أرى أنه سيكون من الرائع العيش معكِ في قلعة.

في الكومود، وتحت سماعات الرأس ومرطب الشفاه، والمجموعة المتنوعة من فواصل الكتب، سحبت رسالة مكتوبة على ورق تهنئة عيد الميلاد.

تلك للرقص وحدك على خشبة المسرح.
أو في غرفتكِ.
أو أي مكان يتمناه قلبكِ.
إنها للرقص في أحلامكِ...
الرقص سائرة نحو مستقبلكِ...
الرقص في الحب والإبداع والفرح...
الرقص لأن هذا ما تجيدين فعله.
لأن هذه هويتكِ، بغض النظر عن أي شيء،
في داخلكِ وخارجكِ.
لتستمري
أنتِ
في
الرقص.

كان الحذاء الذي أتى مع هذا الخطاب موجودًا في خزانتي. وقد كان هدية من عيد الميلاد السابق لوفاة أمي. وهو آخر هدية أتلقاها منها على الإطلاق، لذا أردت أن أحافظ عليه إلى الأبد، مما جعل هذا مبررًا لعدم انتعالي إياه قط.

ولكني جلست وسحبت المناديل الورقية التي تُغَلِّفه لأقطعها، وأخرجت الحذاء من علبته، وجَرَّبتُه في قدمي. كان حذاء باليه ورديًّا، وكان أحب وألطف شيء امتلكته. ورغم أنها اشترته بمقاسٍ كبيرٍ جدًّا حينها، فقد صار صغيرًا عليَّ الآن، ويصعب المشي فيه. ولكني مشيت بتثاقل إلى الحاسوب، وشَغَّلتُ بعض الموسيقى. كانت بعضًا من الموسيقى التقليدية لفرقة سبايس جيرلز[1]، فرقة أحبتها أمي في الخفاء. وكانت الأغنية بعنوان «مَنْ تظن نفسك؟»[2]، وذَكَّرَتني بأمي، وبنفسي، وبما قد أسعى إليه يومًا ما، وبما قد أغدو عليه.

كان موعد تجارب الأداء في فريق الفتيات الاستعراضي يوم السبت، وحفظت خطوات الرقص التي يجب أن أؤديها عن ظهر قلب. حتى إنه كان يتسنى لي أن أؤديها في أثناء نومي. ولكن حتى الآن، رُحتُ أؤدي رقصتي المُبتَكَرة، التي كانت خليطًا من رقص الباليه، والهيب هوب، والرقص الجانبي، والحماسي، والشيمي، والبوب. وكنت مذهلة. وكنت أفضل راقصة على الإطلاق. كنت نجمة متألقة. وكانت الأحذية رائعة، وقدماي رائعتين، وأنا رائعة.

---

(1) بالإنجليزية «Spice Girls». (المترجمة)

(2) بالإنجليزية «Who Do You Think You Are?». (المترجمة)

يوم السبت

جاك

وجدت ماركوس (طويل، وله شعر أشعث، وذقن مستدق) يقف عند حوض المطبخ ويدفع بالطعام إلى وجهه. وشرعت أنا أصبُّ بعضًا من القهوة لنفسي، وكان هذا حينما سمعت: «قُلتُ: لا».

دخلت امرأة إلى المطبخ، وتبعها رجل يرتدي القميص الرسمي لمتجر ماسيلين. كان فاغرًا فاه في منتصف الجملة، ولكنه أطبقه لما رآني أنا وماركوس. وخلصت من خلال عمليةِ استِبعَادٍ إلى أن هذين أبي وأمي.

قالت لي أمي: «ضع القهوة الآن». ثم قالت لأبي: «سنتحدث في الأمر لاحقًا». وبدا واضحًا أنهما كانا في خضم جدال ما. ثم مددت يدي إلى أكبر فنجان قهوة لدينا، وصببت لنفسي كوبًا من القهوة.

سألَتْ أمي أبي عما يريدها أن تفعل، وقد بدت كأنها قد ابتلعت شفرات حلاقة، مثل الشخص في ساد كرنفال[1]، كما نسميه، ذاك الموجود في متاجر بيج لوتس. حاوَلتُ ألَّا أتنصت، ولكني أشعر أن جسدي بأكمله قد سرت فيه هبة التأهب، مثلما يفعل دومًا عندما يتشاجران.

قال أبي لأمي: «الليلة».

- ليس الليلة.

نظرت أنا وماركوس واحدنا إلى الآخر، ثم قال بصوت هامس: «ماذا الآن؟».

وراح أبي يقول: «دعينا ننهي هذا الوضع المتأزم يا سارة».

---

(1) المهرجان الحزين. (المترجمة)

قالت: «قلت ليس الليلة». وحدجتني بنظرة، ولم تكن مسرورة مني قط، وقالت: «أريدك أن تذهب لتحضر داستي بعدما تنتهي اليوم».

- من أين؟

رَدَّت: «من منزل تامز». كان إحضار داستي أو ماركوس أو أي أحد هو آخر شيء أوافق عليه. جَرِّب أَلَّا تكون قادرًا على التعرف على أي أحد، ثم يتعين عليك البحث عنه. ولكن في هذا الصباح، لَستُ على استعداد لأن أجادل أمي.

ليبي

كانت صالة الألعاب الرياضية الجديدة كبيرة للغاية، حتى مع كون نصف المدرجات مَطويًّا. فلم يكن بوسع المرء التفريق بين الأرضية والسقف. كما كانت الأضواء شديدة السطوع لدرجة تعمي الأعين. ولو نظر أحدهم من الأعلى، فلم أكن لأبدو أكبر من نملة.

وفجأة، كان هذا ما أشعر به، نملة.

أخذت يداي تتعرقان، وقلبي ينقبض، ولكن لا ينبسط. لم أقدر على التقاط أنفاسي. راقبت أنفاسي وهي تخرج من صالة الألعاب بأقصى سرعتها، كما أريد أن أفعل.

لِمَ بحق الجحيم تطوعت لأقوم بهذا؟

جلست هيذر ألبيرن وقائدات الفرقة الثلاث في مقاعدهن، عاقدات سيقانهن. وكانت قائدات الفرقة من طالبات السنة الأخيرة، وكن يَبْدُونَ متطابقات في الشكل: ممشطات شعورهن إلى الوراء في ذيل حصان، ووجوههن لامعة. فأحسست أن تطابقهن مرعب بالقدر نفسه كجمال الآنسة ألبيرن الماكر. والمرعب أكثر من بينهن كان كارولاين لاشامب، قائدة قائدات الفرقة، التي ثَبَّتَتْ نظرها عليَّ مثل حَبَّار. وكانت ثمَّة بضع فتيات يطمحن إلى الانضمام إلى الفريق الاستعراضي جلسن متفرقات على الصف الأسفل من المدرجات، منتظرات أدوارهن في تجارب الأداء.

سألَتْ كارولاين بنبرة فائقة الود، التي بدا أنها مصطنعة تمامًا: «هل أنتِ مستعدة؟».

بالكاد أمكنني سماعها، لأني كنت حبيسة عقلي وجسمي، كنت خائفة وأرتجف. وباغتتني شعور كأني مصابة بعمى الوجوه، إذ لم يبدُ لي أن ثمة أحدًا أعرفه، أو أستَلطِفُه. وكانت عيناي تتنقَّلان سريعًا في سائر أنحاء صالة الألعاب، باحثتين عن النجدة. ووقعت عيناي على بايلي، وجايفي، وآيريس، في أعلى مكان من المدرجات. ولما رأينني أنظر إليهن، خَلَتْ وجوههن من التعبير. ربما كان بإمكانهن رؤية الفزع باديًا عليَّ، وهو ما يدل على الأرجح أن الأخريات كلهن بإمكانهن رؤيته كذلك. أقنعت نفسي بالتحرك، وبإخفاء الفزع، وطَيِّه بعيدًا عن الأنظار. ثم لوَّحَتْ جايفي بذراعها وهَتَفَت: «تألقي أيتها الماسة المجنونة!».

لقد تَطَوَّعتِ للقيام بهذا لأن الرقص كامنٌ فيكِ. ثم خطر لي شيء اعتادت أمي قوله، عن أنه قدر ما يكون خوف المرء من السعي وراء أحلامه، فإن الخوف يكون أشدَّ لو لم يسعَ وراءها.

سألَتْ كارولاين، ولم يبدُ على نبرة صوتها أنها بالغة اللطف هذه المرة: «هل أنتِ جاهزة؟».

أجبت: «أجل». ثم هتفت: «أجل!».

واخترت لأغنية تجارب الأداء «يا له من شعور»، من فلاش دانس[1]، لإيرني كارا، تكريمًا لأمي، وتكريمًا لنفسي. وبينما أنتظر بدء الموسيقى، رحت أقول لنفسي: *ثمة العديد من الأشخاص في العالم يظنون أن أفضل ما في وسعهم هو الإتيان بالقليل. ولكن ليس أنتِ يا ليبي ستراوت، فأنتِ لم تُولَدي للقليل! ولا تعرفين كيف تفعلينه! فالقليل ليس من شِيَمِكِ!*

ثم انطلقت الأغنية، وكذلك أنا.

حَرِّكي جسدكِ، اركلي. اركلي. اهتزي. بوم بوم.

استغرق الأمر مني ما يقترب من عشرين ثانية لأنسى الوجوه المحدقة، وكل ذلك الشعر المُمَشَّط إلى الوراء اللامع، وكل واحدة من الفتيات الجالسات على المدرجات، التي قد تكون أو لا تكون راقصةً أفضل مني، وحقيقة أني ضعف حجم أي واحدة موجودة في هذه الغرفة. وبمرور الثواني الثلاثين الأولى، غصت في لحن الأغنية، وتوحَّدتُ مع الموسيقى، تَوحَّدتُ مع الرقص.

(1) بالإنجليزية «Flashdance». (المترجمة)

اركلي. انحني. لفي. تحركي بسرعة. تحركي بسرعة. حركي جسدكِ. اهتزي. اهتزي. اهتزي. بوم. اركلي، اركلي. ارقصي رقصة البوب. لفي. انحني. تحركي بسرعة. حركي جسدكِ. اهتزي، اهتزي. بوم. اركلي.

ودَبَّ فيَّ الحماس، وراحت النغمات تحملني في سائر أرجاء صالة الألعاب، وعاليًا حتى عوارض السقف، وخارج الأبواب، وإلى كل نواحي المدرسة، وعلى طول الطريق المؤدي إلى مكتب المديرة واسرمان، حتى صرت بالخارج تغمرني الشمس وتظللني السماء.

لُفِّي.. لُفِّي.. لُفِّي...

ثم صِرتُ في السماء، وبعدها صرت أنا السماء! وحلقت فوق آموس، وعبر طريق الإنترستايت 70 السريع، وفوق أوهايو، ومنها إلى نيويورك، والمحيط الأطلنطي، ثم إلى إنجلترا، وإلى فرنسا... صِرتُ في كل مكان. كنت في كل أرجاء المعمورة، في كل أرجاء الكون.

***

انتهيتُ منقطعة الأنفاس، لأجدني فجأة قد عدت إلى صالة الألعاب. كانت الفتيات الموجودات في المدرجات واقفات، ويصفرن. ورحن يصفقن، ويخبطن الأرض بأقدامهن، وكانت صديقاتي الأكثر حماسًا بين الجميع. وهناك، بالقرب من مدخل الملعب، رأيتُ جاك ماسيلين مُلَطَّخًا بالألوان، ويُشِعُّ ضياءً كالشمس. كان يصفق بوتيرة بطيئة، ثم رفع يده إلى جبهته ليحييني قبل أن يختفي، فقد كان هو وزملائي الخاضعون للعقاب التأديبي يدهنون المدرجات اليوم.

قالت هيذر ألبيرن: «كان هذا مذهلًا يا ليبي». وللمرة الأولى، نظرتُ مباشرةً إليها.

سألت كارولاين: «كم طولكِ؟».

وأقلَقَني شيءٌ ما في صوتها العالي الخالي من أي تعبير. ولاذَت الفتيات الموجودات في المدرجات بالصمت، وعدن للجلوس في مقاعدهن.

- أنا 167 سنتيمترًا.

- كم وزنكِ؟

- 54 كيلوجرامًا.

فحدق الجميع في ذهول.

- آسفة، أقَصَدتِ وزني الجسدي أم الروحي؟

فقهقهت الفتيات في المدرجات. وكان العرق يتناثر على وجهي، ولكني رَبَّتُّ على شفتي العليا ومؤخرة رأسي بهدوء وأدب بالِغَين كأني الملكة إليزابيث.

- الوزن الذي سيحدد المقاس الذي ستحتاجين إليه للزي.

سألتُ: «هل يوجد حَدٌّ للوزن للانضمام إلى هذه الفرقة؟».

هَمَّت كارولاين بالحديث، ولكن قاطعتها هيذر ألبيرن، وقالت: «فعليًّا، لا يوجد حد، فنحن لا نُمَيِّزُ على أساس الحجم». ولكنهن كذلك، إذ كان بإمكاني سماع نبرة التمييز في طريقتها الحذرة التي تتخير بها كلماتها، وأمكنني رؤيتها في ابتسامتها المقتضبة.

- إذن لِمَ تريدين معرفة وزني؟

تنهدت كارولاين بصوتٍ عالٍ، كأني شديدة الغباء، وقالت: «من أجل مقاس الزي». ثم ابتسمت تلك الابتسامة البطيئة التي يبتسمها أشرار الأفلام، وتابعت: «هل ستكونين على استعداد لخسارة الوزن إذا كُنتِ مرغوبة؟». وتردد صدى الكلمة في سائر أنحاء الملعب. وأردَفت: «تعلمين، لو كُنتِ تريدين أن نختارك للانضمام إلى الفريق؟».

حدجتها الآنسة ألبيرن بنظرة سريعة، وقالت: «كارولاين».

فسَألْت: «ما مقدار الوزن الذي نتحدث عنه؟».

رَدَّت كارولاين: «خمسون كيلوجرامًا، أو ربما يزيد. مئة وثلاثة عشر كيلوجرامًا ربما». وهو ما كان سخيفًا، لأن هذا يدل أني سأزن الوزن نفسه مثل كلب عمتي تيلي المدعو مانجو.

وهكذا، عدت طفلةً ثانيةً، واقفةً في فصول الباليه، وكارولاين معلمتي. وكانت تعبس في وجهي بالطريقة ذاتها، طريقة تخبرني بأني لا أنتمي إلى هنا، حتى مع احتمالية انتمائي إلى هذا المكان بناءً على موهبتي في الرقص أكثر من أي واحدة منهن لأن الرقص كامنٌ فيَّ، وعندي الكثير يمكنني تقديمه أكثر منهن، ما يعني زيادة مواهب الرقص في الفريق.

- أستفعلين؟

- كفى يا كارولاين!

قلت: «تريدين معرفة إذا كنتُ على استعداد لأن أخسر مئة كيلوجرام حتى يتسنى لي الرقص في نمط مُوَحَّد وأَلَوِّح بالأعلام معكِ؟». كنتُ أشتاط غضبًا، وهو ما يزيد من تَعَرُّقي. ولكني جعلت صوتي هادئًا وثابتًا.

- أجل.

رَكَّزتُ نظري على الآنسة هيذر ألبيرن، إذ من المفترض أنها كانت المسؤولة هنا.

- قطعًا لن أفعل.

***

كان من المفترض أن أرجع إلى الخارج، إلى المدرجات، لأقضي عقوبتي وخدمتي الاجتماعية، ولكني لم أقوَ على ذلك. وبدلًا من ذلك، اتصلت بريتشل وطلبت منها –لو كان بإمكانها– أن تُرجِعَني إلى المنزل.

كانت الساعة قاربت الخامسة مساءً حين انتهينا من طلاء غرف الخزائن. كانت السماء ملبدة بغيوم رمادية، والهواء كثيفًا، ويبعث شعورًا بعدم الارتياح، تلك البوادر المعتادة التي تسبق هطول المطر.

***

رأيت مجموعة من الأطفال من النافذة الواسعة لمنزل تامز، فقلت في نفسي: *رائع!* كان هذا مبررًا لعدم تطوعي لإحضار داستي، إذ كان هنا منبع كل الكوابيس، فقد كان يتعذر عليَّ إيجاده في قلب حَشدٍ ما، وكان أبي وأمي يعتقدان أن داستي صغيرٌ للغاية لأن يكون بحوزته هاتف، لذا لم يكن بوسعي إرسال رسالة نصية إليه لأقول: إني آتٍ، فانتظر بالخارج. وفي المرات القلائل التي ذهبت لأحضره فيها، كنت في أغلب الأحيان أنتظر في السيارة وأطلق البوق.

ولأن هذا الوضع لم يكن على ما يبدو حالة من نوع موعد لعب تامز وداستي منفردين، لكن المفهوم الموازي لمهرجان كوتشيلا[1] للأطفال في عمر العاشرة، فقد كنت في خضم هذا الوضع. وراحت حبات المطر ترشق زجاج السيارة كطلقات الرصاص. ولم تَسرِ أي حركة بين مجموعة الأطفال، لذا فقد أخذت أطلق بوق السيارة ثانيةً.

تريثتُ بضع دقائق أخرى، ثم أطفأتُ محرك السيارة، وعدلت مرآة الرؤية الخلفية حتى يتسنى لي النظر إلى نفسي. وبدا على الشخص الذي أطَلَّ عليَّ

(1) مهرجان كوتشيلا فالي للموسيقى والفنون، مهرجان سنوي يقام في مدينة إنديو في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، وفيه يرتدي زوار المهرجان ملابس متشابهة وتكون إطلالاتهم متشابهة. (المترجمة)

من المرآة أنه قد عاش أيامًا طيبة. وكانت لا تزال له شفة مشقوقة، وعين يتدرج لونها من الأسود والأزرق إلى البنفسجي، والفضل يعود إلى الدفاع عن جوني رامسفورد. *غاية في الروعة.*

رحت أبحث عن شيء يمكنني استخدامه غِطاءً، كان هذا لوقاية وجهي من الرياح الموسمية. فوجدت معطفًا قديمًا –لا بد أنه كان يخص ماركوس– محشورًا بين الأرضية والمقعد الخلفي. وأخذته وخرجت مندفعًا تحت المطر. ورحت أركض ببطء على الممشى، وكان المعطف ملفوفًا حول رأسي. كان بوسعي سماع الثرثرة المحتدة لآلاف الأصوات العالية وأنا أدق جرس الباب. انفتح الباب سريعًا، وحَيَّتني امرأة شقراء ذات شعر قصير جدًّا. كانت هذه –حسب ظني– أم تمارا. دعتني للدخول، فرددتُ ورأسي لا يزال داخل المِعطف: «لا بأس، فلا أريد أن آتي بكل تلك المياه إلى الداخل. لو سَمَحتِ، أرسليه إلى الخارج فحسب».

قالت: «كف عن الهراء يا جاك، تفضل، ادخل». وفتحت الباب أوسع عما قبل. وقذفت الرياح بالمطر عليها، وعلى الأرضية من حولها، لذا فقد دَخَلْت.

عَلَّقْت: «إنها تمطر كأفواه القِرَب».

رَدَّت قائلة: «أجل، إنها كذلك، فقد كان من المفترض أن يلعبوا في الهواء الطلق طوال اليوم». ثم ضَحِكَت، ولكن بدا أن صوتها به مسحة من الهستيريا، فقد كان بمقدوري رؤية كَمِّ التعب البادي عليها.

كان بي أملٌ أن داستي سيهتف بي مُرَحِّبًا، أو يُعَرِّفُ نفسه بطريقة ما. ولكن راح كل الأطفال ينظرون إليَّ، ثم قال أحدهم: «كأن السماء تبول». ولا بد أن هذه مزحة ألمعية من طفل في العاشرة، نكتة يجب أن يكون المرء في العاشرة حتى يُقَدِّرَها، إذ شَرَع جميعهم في الضحك، حتى سقطوا أرضًا بالفعل.

فقالت لي المرأة: «أرجوك خذني معك».

ضَحِكتُ وأنا واقف هناك أحاول أن أبدو هادئًا لطيفًا، وكنت كأني أقول: *يا رجل، أيًّا كان الأمر.* في حين أخذت أحاول العثور على داستي في زمرة الأطفال تلك، ولكنهم بدوا جميعًا متشابهين. إذا كان لهم وصف مشترك، فقد كانوا نحيفين، وقصيرين، وآذانهم بارزة. وكان كل الأطفال يعتمرون قبعات حفلات، وقلة منهم لهم بشرة بيضاء واضحة، فاعتَرَتني اختلاجَةٌ عميقةٌ بالفزع في صدري.

سألتني المرأة: «أترغب في البقاء برهة؟».

رَدَدْت: «لا بأس، فأنا وداستي ذاهبان إلى مكان ما». ووضَعتُ يدي على مقبض الباب كطريقة لقول: *أترين؟* وقلت موجهًا كلامي إلى جميع من في الغرفة: «أيُّ أحد يجيب عن الاسم داستي، من الأفضل أن ينضم إليَّ الآن».

حدق الأطفال إليَّ، وفي تلك اللحظة تأجَّجَت اختلاجة الفزع إلى جحيم مستعر. وإذا كان أخي من بين الأطفال المحدقين إليَّ في صمت هؤلاء، فهو لا يفصح عن نفسه.

نظرت إلى مجموعتهم وقلت في اتجاه غير محدد: «هيا يا رجل، لا نريد أن نتأخر».

ولَمَّا لم يتحرك منهم أحد، توجهت إلى أشبههم بأخي (أذنان بارزتان، وتفاحة آدم بارزة، وشعرٌ بنيٌّ نحاسي)، وهتفت: «إن كُنتَ قلقًا من أن يبللك المطر، فلدي هذا المعطف، يمكنك الاستعانة به». ثم بعد ذلك، لأنه كان يومًا طويلًا، وقد سئمت التحديق إلى وجهي، ولأني رحت أقول لنفسي: *هذا هراء. كيف لك ألَّا تتعرف على أخيك؟* فَعَلتُ شيئًا لم أقدِم عليه من قبل، مشيت تاركًا خلفي أثار أقدام كبيرة متسخة على السجادة، وأمسكت ذراع الصبي قبل أن يُعَرِّفَ عن نفسه، وشددته تجاه الباب.

وراح الفتى الذي أمسكت به يقاومني. ثم رفعت نظري لأرى ذاك الصبي الآخر يدلف إلى الغرفة. كانت له أذنان بارزتان، وتفاحة آدم بارزة، وشعرٌ بُنيٌّ نحاسي، وهتف: «جاك؟»، وشرع في البكاء.

فصرخ الطفل الذي كنت أشده بعيدًا –حتى تلك اللحظة– قائلًا: «ابتعد عني!». وسرت ضجة بين ضيوف الحفل الآخرين، وأخذت فتاة صغيرة في البكاء كذلك. وبينما أتركه، بصق الفتى في وجهي، وقال: «قذر». وبدأ في الارتجاف.

جثمت المرأة أمامه، وقالت بصوت لطيف مُهَدِّئ: «لا بأس يا جيرمي. لقد كان يمزح فحسب، ولكن أعتقد أنه أدرك الآن أن هذا ليس مضحكًا». وحدجتني بنظرة مروعة.

- أتظن حَقًّا أنه من المضحك أن تأتي إلى هنا وتفزع الناس؟

أتى هذا من فتاة صغيرة ذات شعر أحمر، قد تكون تامز، أو غيرها.

- لا، لا أظن.

وتساءلتُ كم من بينهم يعرفني، وكم من بين آبائهم سيسمع بهذا. وشعرت بأني سأتقَيَّأ، وكدت أخرج. كنت كأني أقول: *ليجد داستي طريقه إلى المنزل*

بنفسه، *فلتأتِ أمي وتأخذه*. ولكن كنت كأن الأرض من تحتي تُمسِكُ بي في موضعي، كأن قدمَيَّ مرساتا سفينة، فلم تتحركا، إذ وقفتُ هناك فحسب، أتبادل أنا والأطفال التحديق بعضنا إلى بعض، وإلى الطفل الذي دخل، وإلى الأخرى التي كانت آخذةً في البكاء.

قلت مباشرةً للفتى: «أنا آسف». وكررتها مرات عدة، ولكن لم يصخ أحدٌ سمعه. كان بإمكان هؤلاء الأطفال قتلي إذا أرادوا، فقد كانوا كثرةً، ورغم صغر سنهم، فإن الغضب الشديد كان ينبع من جانبهم.

بعد مدة طويلة للغاية، وقفت المرأة وقالت بذاك الصوت البارد الفاتر: «ذاك أخوك». كأني أكبر ضارٍ مفترس للأطفال في العالم. ودَفَعَت داستي تجاهي كأنها تريد من كلينا الذهاب، كأن داستي مذنب هو الآخر، بالتبعية.

لَستُ بقذر، ليس كما تعتقدون على الأقل. أنا أعاني حالةً تُسَمَّى عمى التعرف على الوجوه، وتعني أني لا أستطيع أن أميز بين الوجوه، ولا حتى وجوه من أحب.

أضفت: «إنهم يكبرون سريعًا في هذه السن، ما يجعل التفريق بينهم أمرًا صعبًا».

ثم أمسكتُ بداستي الوحيد والحقيقي، وسحبته إلى الخارج. وألقيت بالمعطف عليه، فغطى به رأسه، ولكن بدا أنه لا يريد أن يكون بقربي، لذا فقد استغرق وقته سائرًا على الممشى ببطء. كان البلل قد أصابني من رأسي إلى أخمص قدمي، ولكني فتحت الباب له. وفي أثناء دخوله، رفع نظره إليَّ، ثم قال وقد سال الدمع على خَدَّيه: «لِمَ قد تحاول خَطفَ جيرمي ميرفيس؟».

- كنتُ أمزح فحسب.

فأخذ يتفحصني بعينيه كما يفعل مع أبينا وأمنا هذه الأيام، كأنه غير متأكد من قدرته على تصديقي. ثم قال: «الصف الرابع صعب بما يكفي من غير أن أشتهر بكوني أخا سارق الأطفال».

***

أخذت يداي ترتجفان، ولكن لم أرغب في أن يرى هذا، لذا فقد شَدَّدتُ في الإمساك بعجلة القيادة، إلى أن تحولت مفاصل أصابعي إلى اللون الأبيض. ثم طلبت منه أن يخبرني بما جرى في الحفل. ولكن لم يكن بمقدوري سماعه، بسبب صوت ضربات قلبي وهو يضرب جدار صدري: بام، بام، بام.

ليبي

أرادت ريتشل أن تعرف ما حدث. *إنها شخص قد رآكِ في أسوأ أحوالكِ. إذ حين قابَلتِها، كُنتِ تَشغَلين سريرين من أسرة المستشفى بعدما أُنقِذتِ من منزلك. لقد سانَدَتكِ وأحَبَّتكِ في السراء والضراء، كما تفعل الأمهات. إلا إنها ليست أمكِ.*

أخبرتها أني لا أريد التحدث عن الأمر، ليس الآن. وقدنا السيارة في صمت عائدَين إلى البيت أغلب الطريق.

***

عند عودتي إلى غرفتي، فتحت نسختي من «لطالما عشنا في حصن». ورغم أن ماري كاثرين قد اقترفت فعلة مروعةً مرعبةً، فإنها لم يخالجها أي شعور، لا ألم، ولا تأنيب ضمير، ولا أي مشاعر. ولا حتى عندما تعدى القرويون على ضيعتها وراحوا يهتفون بالأغاني التي تحكي عنها.

قال كوني: «ميريكات، أترغبين في كوب شاي؟».

قالت ميريكات: «أوه، لا، ستسممني».

قال كوني: «ميريكات، أترغبين في الخلود إلى الكرى؟».

هنالك في أعماق المقبرة الغائرة تحت الثرى!

كانت ميريكات سعيدة سعادة كافية في منزلها بصحبة أختها، غير أنها لا تزال تفكر في القرويين، وتتمنى أن لو احترقت ألسنتهم خارج جماجمهم.

أذكر أن الألم والغضب كانا يتملكانني، حتى إن جُلَّ ما تمنيته هو حرق لسان كُلِّ مَنْ آذاني، وخصوصًا موسيز هانت. ولكن هذا هو الأمر: سَمَّمَت ميريكات عائلتها عن بكرة أبيها، ولكن جريمتي الوحيدة التي اقترفتها هي أني بدينة.

جاك

- لِمَ لَمْ تكن موجودًا في غرفة المعيشة مع الأطفال الآخرين؟

رَدَّ: «لم أرغب في لعب ألعابهم، لذا ذهبت إلى الشرفة الخلفية حتى أحفظ نَصِّي».

بدا أن البكاء قد توقف، ولكنه لم يرغب في النظر إليَّ مباشرة.

- هل ترغب تامز والآخرون في لعبك معهم؟

هز كتفيه وقال: «لا أعتقد أنهم افتقدوني».

- ولكن كل شيء على ما يُرام مع تامز، أليس كذلك؟

أخذ يتمهل هنيهة قبل كُلِّ رَدٍّ، وأمكنني الشعور بالألم في صوته، ذاك الألم الذي تسببتُ في وجوده في نبرة صوته. ثم رَدَّ: «أظن».

ثم تركته وشأنه. كان عقلي يتسارع، وقلبي لا يزال يخفق: بوم، بوم، بوم.

عند وصولنا أمام المنزل، سأل داستي: «جاك؟».

فأجبته: «أجل». أردت منه أن يخبرني بأنه قد سامحني، وأنه يحبني على أي حال.

- أتمنى لو لم تحاول خطف جيرمي.

- أنا كذلك.

وراح يسأل: «ماذا لو أن أم تامز اتصلت بالشرطة؟ ماذا لو أنهم وضعوك في السجن؟». وراح صوته يرتجف، وبدا كأنه سيستغرق في البكاء ثانيةً.

- لن أذهب إلى السجن، فلن أدعهم يضعونني في السجن. لقد كان الأمر مجرد سوء فهم، هذا كل ما في الأمر. لقد اختلط عليَّ الأمر.

خرج من السيارة دون أن ينبس ببنت شفة. وبينما نسير في الممشى، قلت: «مهلًا، أيها الرجل الصغير، أتمانع في عدم ذكر ما حدث اليوم لأبي وأمي؟». كان المطر قد توقف، لكن لا يزال بمقدوري الشعور به في الهواء.

تردد، وأحسستُ أنه لا يرغب في قطع أي وعود لي، إطلاقًا. ورفع وجهه إلى الأعلى وثَبَّتَ عينيه في عينيَّ. هاتان عينان تجعلانني أُحجِمُ عن الكلام، وتنظران إليَّ لكن من مكانٍ بعيدٍ جدًّا هناك. وفي نهاية المطاف قال: «موافق».

بعدما دلف إلى الداخل، جلست أنا على عتبة المنزل، بحالة البلل التي كنت عليها، لأني لم أكن مستعدًّا للدخول بعد. لقد كان يومًا شاقًّا، وحَلَّ المساء هادئًا لطيفًا، كيَدٍ تتحسس الجبهة عندما تصيب المرء حُمًّى. رحت أنظر إلى الشارع، ثم أرفع بصري إلى السماء. وكانت يداي لا تزالان ترتجفان، وقلبي لا يزال يخفق.

كان اليوم عصيبًا للغاية، ودماغك تالف، ولا أمل في أن يُشفى.

ليس بمقدوري أن أخبركم كيف يبدو جيرمي ميرفيس، ولو مشى في الشارع الآن فلن أتعرف عليه. ولكني لن أنسى أبدًا نظرة الرعب في عينيه بينما أحاول جَرَّه من هناك، ولن أنسى أبدًا التعبير الذي ارتَسَمَ على وجه أخي في مشاهدته هذا.

ربما كان اليوم سيصير أسوأ.

رحت أرددها مرارًا وتكرارًا في أثناء تفكيري في الطرق الخمسة التي كانت ستحول اليوم إلى الأسوأ، ولكن تعذر عليَّ ذلك، لأنه ما الأسوأ من محاولة اختطاف طفل ما لا تعرفه مصادفةً؟ رجع عقلي يتذكر داستي. إنه يحمل على عاتقه أشياء لم يكن بوسعي معرفتها، ربما حاله كحالي، كحالنا جميعًا. ولست متأكدًا من ماهية هذه الأشياء التي يحملها على عاتقه، ولكن يمكنني أن أحزر. إن داستي حساس وصَدوق. وهو غريب الأطوار بعض الشيء. ومثل ليبي، لن يتظاهر بشيء ليس من طبيعته، وهو لا يخاف أن يكون مختلفًا. ولكن الأطفال الآخرين لن يحبوا هذا على الدوام.

في جهري دعوت الله... *فلتُبقِه بأمان، ولا تدع أحدًا يؤذيه أبدًا. وفي الوقت نفسه، فلترعَ ليبي، وجوني رامسفورد المسكين. وأمي، وماركوس. وحتى أبي.*

ولم أُضِف نفسي إلى القائمة، إذ بدا هذا أنانيًّا. ولكنى فكرت في الأمر بُرهَةً. *وأنا*، حسب ظني، حتى *لو كنت لا أستحق. فلتتعهدني بالرعاية أنا كذلك.*

***

حين دلفت إلى الداخل، كانت أمي تتحدث في الهاتف مع أم تامز، وأبي يتحدث في الهاتف مع أبَوَي جيرمي ميرفيس. كان هذا كفيلًا بإفشاء السر. وبدا على الجميع الضيق الشديد.

أشارت إليَّ أمي بإصبعها، وقالت: «جاك هنري، انتظر». وأشارت إلى غرفة المعيشة.

***

بعد عشر دقائق.

أمي: «عَمَّ يدور الأمر؟».

أنا: «ربما أحتاج إلى نظارة».

- أنا لا أتحدث عن اختطاف جيرمي ميرفيس، بل أتحدث عن الأمر كله يا جاك: الوقوع في المشكلات في المدرسة، والعراك. هذا ليس من دأبك.

أنا: «كان سوء حظ فحسب يا أمي، فأنا الصبي المحبوب الذي رَبَّيتِه، وما زلت ابنك المفضل. ما زلت أنا».

أمي: «لا أعلم ما بال هذه العائلة، ولكن فلينتهِ هذا السلوك الآن. وإذا كان يوجد خطب ما تعانيه، فعليك أن تخبرنا به».

والآن ها هي ذي فرصتي حتى أكشف عن الأمر كله، وأسكبه كليةً على الأرضية، تمامًا بجانب حبات الفشار المتناثرة الظاهرة من تحت الأريكة، وجهاز البلايستيشن الموضوع على السجادة.

أمي: «جاك؟ أخبرنا بما يجري».

ولكن في تلك اللحظة لم أدرِ ماذا أقول، فكل تلك الخطوب التي تعتريني يبدو أنها مُختَلَقة، لأن الأمر ليس ببساطة أن أُلَمِّحَ إلى أيٍّ منه، أو أوَضِّحَ لهم فعليًّا: علاقة أبي الغرامية السرية، واضطراب دماغي السري.

أنا: «أنا آسف، سأُحَسِّنُ من سلوكي، هذا أفضل ما يمكنني فعله». ونظرت إلى أبي، ثم تابعت: «هذا أفضل ما يمكن لأيٍّ منا أن يفعله».

وربما لأن أبي يشعر أنه مشترك بذنبه في حالي هذه، قال: «أصدقك يا جاك، ولكن الوضع متأزم للغاية، عليك إصلاح الأمر مع العائلتين».

أمي: «ونريدك كذلك أن تزور مرشدًا نفسيًّا، السيد ليفين، أو أيَّ مرشد آخر. وأنت ممنوع من الخروج للتنزه مدة أسبوعين: المدرسة، العمل، المنزل، هذا ما ستخرج إليه».

أردت أن أقول: *أسبوعين؟ احبساني بقية العام. احبساني عن المدرسة كذلك. فلتُبقيا عليَّ في المنزل مثل ماري كاثرين بلاكوود. مثل ليبي. هذا سيسهل الأمور أكثر.*

***

شعرت بوجود قيد يشدني كلي: يدَيَّ، وساقَيَّ، وقدَمَيَّ، كُلَّ جزء مني. كأنهم قد يحشرونني كذلك في صندوق ويتركونني فيه.

اتصلت أولًا بآل ميرفيس، ثم بوالدة تامز. واعتذرت بصوت مُرهَقٍ مُتعَبٍ تمامًا. وتعذرت لهم بأنه يُعوِزُني حسن التصرف جراء مرض أبي بالسرطان، وبسبب كل الأمور التي تحدث في المدرسة. وقلت: «رجاءً، لا تأخذوا داستي بسوء سلوكي، فهو أفضل إنسان أعرفه».

في إغلاقي المكالمة، أضَفتُ إلى دعوتي: ولا تدع *أيَّ أحدٍ* يؤذيه، من ضمنهم *أنا.*

ليبي

لم تراودني رغبة في الرقص، إلا إني أخرَجتُ حذائي الوردي، وانتعلته وربطته. وارتميت على سريري، واستندتُ إلى الوسادة، وسحبت جورج إلى صدري، واستنشقت حفنة من فروه العفن. وبدأ بالركل، لذا تركته. ثم فعل شيئًا لم يفعله من قبل، جلس بجانبي، وراح يُرَبِّتُ عليَّ بمخالبه الصغيرة الحادة المتسخة.

وضعت كاحلًا فوق الآخر حتى يتسنى لي رؤية حذاء الباليه بينما أنظر إلى الحائط. في لحظة، بدا هذا كالأيام الخوالي: الاستلقاء في السرير، حبيسةً عن الجميع. وتظاهرت بأني في منزلي القديم، في الجهة المقابلة لدين وسام وكاستيل، أصدقائي الخياليين، الذين لم يكونوا أصدقائي قط في العالم الواقعي.

أنا ليبي ستراوت، أضخم مراهقة في أمريكا، أو ربما أتعس مراهقة في العالم، وحيدة في غرفتها مع قِطِّها، في حين أن باقي العالم القابع خارج غرفتها يمضي.

جاك

هبط الليل هادئًا صافيًا بعد المطر. وقطعتُ طريقي ببطء وحذر إلى حافة السقف، إلى أن وقفتُ حيث وقفتُ من قبل، قبل اثنتي عشرة سنة. ومددت بصري إلى الحي، والمنزل الذي كان قديمًا منزل ليبي ستراوت.

ربما لو سقطتُ ثانية قد يُرجِعُ هذا السقوط شيئًا ما إلى مكانه في دماغي. وقد أرى العالم والأشخاص الموجودين فيه بطرائق غير متاحة لي الآن. وقد أستَحضِرُ صورة وَجهٍ من ذاكرتي، أو أكون قادرةً على التفكير في أمي، وأربط الكلمة من فوري بصورةٍ كاملةٍ متكاملة، تُضافُ إليها العينان، والأنف، والفم، مثلما يفعل الآخرون.

طال وقوفي هناك وأنا أحاول التفكير في طريقة للقفز وضرب رأسي في الموضع نفسه الذي صدمته فيه قبلًا. أو ربما عليَّ أخذ حجر وضرب نفسي به كحل بديل. ولكن ماذا لو سببت ضررًا أكبر من القدر المطلوب؟ ماذا لو أُصِبتُ بفقدان ذاكرةٍ كُليٍّ وكامل؟

جلست، ثم بعدها استلقيت، وكان السطح مُبَلَّلًا بفعل المطر. تركت المياه تتسرب إلى قميصي بينما أطالع السماء، وكل النجوم التي تتشابه مع كل النجوم الأخرى، التي قد تكون كذلك سماء مُرَصَّعةً بالوجوه. قلت لنفسي: *ليبي نجمة من تلك النجوم*. فاخترتُ واحدةً وأسميتها باسمها، وأبقيتُ عيني عليها قدر ما بوسعي.

ثم رَمَشت.

ابقي. ابقي. ابقي.

لا تذهبي بعيدًا.

ولكنها قد رحلت.

ليبي

رَنَّ الهاتف، وكان هذا جاك، الشخص الوحيد الذي أريد أن أتحدث إليه.

ثمة خطب ما.

بإمكاني سماعه في صوته.

في البداية، لم أتمكن من فهم ما قاله.

قال: «أنا آسف». وراح يرددها مرارًا وتكرارًا، إلى أن أخبرته أن يكف عن هذا.

- لِمَ أنت آسف؟ ماذا يحدث؟

- لا يمكنني فعل هذا. ظننتُ أن بوسعي هذا. أردتُ ذلك. ولكني لا أستطيع. هذا ظلمٌ لكِ.

- ما الظلم...؟

- أنت تستحقين أن تُرَي، وأنا لن أكون قادرًا على رؤيتكِ، ليس في الواقع. ولكن، ماذا سيحدث لو خَسِرتِ الوزن؟ ستضطرين إلى البقاء ضخمة إلى الأبد، وهذه سِمَتُك المميزة. ولكن شخصيتكِ ليست قاصرة على وزنكِ فحسب.

- ما الذي تحاول قوله لي يا جاك؟

ورغم أني أعرف، وأحشائي تعرف، وعظامي تعرف، والأكثر معرفة من بينهم قلبي، كان جسدي كله كحجر يغرق.

قال: «لا يمكنني أن أكون معكِ يا ليبي، لا يمكننا القيام بهذا. أنا آسف».

ثم أغلق المكالمة.

هكذا فحسب.

ورُحتُ أغور في الأرضية، وفي الباحة، ومن هناك إلى أعماق الأرض المظلمة.

***

رُحتُ أفكر في بياتريس قابعةً في حديقتها، وفي كيف أنها ماتت في سبيل الحب. ولسبب ما، فكرت في قصة أخرى اعتادت أمي أن تحكيها لي: «12 أميرة راقصة».[1] سِرتُ إلى رف الكتب، وبحثت عنها. وقَلَّبتُ بين صفحاتها حتى وجدتها: *ليبي*. بقلم شمع ملون أرجواني. كنت قد كتبتها بخَطٍّ صغيرٍ للغاية، على تنورة فستان أصغر أميرة: إلسا. لقد كانت المفضلة عندي، ليس لأنها فازت بالأمير في النهاية، بل لأنها صاحبة أطيب قلب، فهي مَن أردت أن أكونه.

نظرت إلى شعر إلسا، ووجهها، وهيئتها، التي كانت جميعها مثالية. بالطبع يحب الناس رؤيتها وهي ترقص. وبالطبع كانت ستتزوج الأمير. وأخذت أتساءل ماذا كان سيحدث لو كانت إلسا تشبهني.

(1) قصة خيالية من قصص الأخوين جريم. (المترجمة)

جاك

قبل أن آوي إلى فراشي، كتبتُ لليبي رسالة نصية اعتذارية طويلة، ولكن في نهاية الأمر حذفتها، إذ ما الفائدة المرجوة منها؟ فهي لن تغير حقيقة أنه سيكون هنالك دومًا هذا الجزء مني الذي يبحث عنها، حتى لو أمام عَينَي.

الأسبوع التالي

رغم أني لا أتوقع انضمامي إلى الفريق، فإنه ما زال عليَّ الذهاب إلى مكتب هيذر ألبيرن لأرى إذا ما كانت قد نشرت اسم عضوة فريق الفتيات الاستعراضي الجديدة.

وها هي ذي الورقة معلقة على بابها، وها هو ذا الاسم الوحيد المكتوب على تلك الورقة: جيسيل *فيليجاس*. ورحت أردد في نفسي: *ينبغي ألَّا تعتريكِ الدهشة. ينبغي ألَّا تُحبَطي. ما الذي ظننتِ أنه سيحدث عندما رددتِ بفظاظة على كارولاين؟* لكن اعترتني الدهشة، وأُحبِطْت.

رحت أقنع نفسي: *ليست لكِ رغبة حقيقية في الانضمام إلى فريق الفتيات الاستعراضي على أي حال. ليس على هذا النحو. لَستِ مضطرة إلى الرقص في نمط موحد، وحَملِ الأعلام، وتلقي الأوامر من كارولاين لاشامب.* ولكن قلبي كان كأنه بالون مفرغ.

***

انتظرت السيد دومينجيز أنا وبايلي وترافيس بالخارج حتى يحضر السيارة. كانت عينا ترافيس مغمضتين، وبدا كأنه ينام واقفًا.

قالت بايلي: «لقد سمعت بجيسيل».

فرددت: «لا بأس، أنا بخير». وحتى أُؤكد على مدى كوني بخير تمامًا، لَوَّحتُ بيدي في الهواء بلا مبالاة، كأني أضرب بعوضة لتبتعد.

قالت: «إنها تلك البشعة كارولاين».

رَدَدْت: «سيجعلني هذا أتفرغ للسعي وراء أشياء أخرى». *مثل الرقص وحدي في الغرفة، وصنع دمى الفودو[1] التي لها وجه كارولاين لاشامب.*

وبينما أبحث في حقيبة الظهر عن ملمع شفاه، أخذت بايلي تَعُدُّ الأنشطة التي يمكنني البدء في القيام بها غير الرقص وصنع دمى الفودو. أطبقت يدي على شيء ما. كان مظروفًا. سحبته بشدة، واستدرت مبتعدة حتى أقرأه، حتى على الرغم من تخميني ما يقوله.

لَستِ مرغوبة. (لقد أخبرتكِ بهذا).

رفعت بصري، متوقعةً أن أجد كارولاين واقفة هناك تشاهدني، ولكن بدلًا عن ذلك، كانت بايلي تقرأ من فوق كتفي.

- مِمَّن هذا؟

أجبتها: «لا أحد». ودفعت الرسالة ثانية إلى حقيبة ظهري.

لقد أخبرتكِ بهذا.

هل قصدت: *أرأيتِ؟ جاك لا يحبكِ.* أم قصدت: *لِمَ خَطَرَ على بالكِ أنه يمكنكِ الاشتراك في تجارب الأداء لفريق الفتيات الاستعراضي؟*

- لبس، مَن كتب هذا؟

- لا تشغلي بالكِ به.

مكتبة
t.me/soramnqraa

- ولكن...

- رجاءً يا بايلي، أنا بخير.

- إذن أظن أنكِ بخير فيما يخص جاك كذلك.

- لا أريد الحديث عن جاك.

أطبَقَت فمها سريعًا. ثم قالت: «لا يمكن للمرء أن يكون على ما يُرام على الدوام، فحال الخير لا تدوم لأحد. وأنا أعرف أنكِ اعتدتِ الوحدة، وأعرف

---

(1) دمية تستخدم في السحر، ويُرادُ بها أذى الشخص الذي تُربَطُ به. (المترجمة)

أنه كان يجب عليَّ أن أكون صديقة أفضل حتى لا تضطري إلى أن تعتادي الوحدة، ولكني موجودة هنا الآن، وأتمنى لو تتحدثي إلي».

***

طلبت من السيد دومينجيز لَمَّا ركبنا السيارة أن يُشَغِّلَ بعض الموسيقى، حبًّا بالله. إلا إني في الواقع لم أذكر الله، لأن هذا سيفتح الباب لبابيلي، وفي الواقع يكفيني ما أحسه من مشاعر مُحبِطَة حتى أصرخ عليها. كانت أول أغنية اختارها السيد دومينجيز بالطبع من موسيقى الروك القديمة في السبعينيات، «الحب يؤلم».[1] وإن كنتم لا تعرفونها، فلا تستمعوا إليها أبدًا، خصوصًا إذا كان قلبكم مفطورًا. وفي الحال، سَرَت في حلقي غُصَّة، تلك الغُصَّة التي تمنع البلع، وحتى التنفس.

بعد دقيقة من الأغنية، سال الدمع على وجهي، ولكن السيد دومينجيز لم يرجف له جفن.

***

رأيت جاك في الممر الرئيسي للمدرسة، وعلى جانبيه سيث باول وديف كامينسكي، الذي نظر مباشرة إلي، أو تقريبًا من خلالي. في حين راح جاك يمشي متمهلًا إلى أن تخطاني كأني غير مرئية.

وربما أكون كذلك.

مثل أي شخص آخر في حياته.

مجرد شخص آخر لا تتسنى له رؤيته.

(1) بالإنجليزية «Love Hurts». (المترجمة)

أُلغِيَت حلقة المحادثة اليوم لأن السيد ليفين كان مشغولًا في اجتماع طاقم التدريس، وكنت سعيدًا للأمانة، فأنا لا أريد مواجهة ليبي، إذ أنا جبان بائس، وهذا دأب الجبناء البائسين، نتحاشى مواجهة الأشياء. سِرتُ خارجًا من المدرسة مع كام، الذي هتف: «ما الذي تخطط لفعله الليلة؟ سمعت أن كيندرا تستضيف بعض الأشخاص».

كان بمقدوري تَخَيُّلُ الليلة كأنها قد وقعت بالفعل: منزل كيندرا الكبير الذي يعج بالكلاب عالية النباح، التي لا يزيد طولها على طول الكاحل، وكارولاين والبقية يتحدثون بالسوء عن شيءٍ فآخَر، الجميع يشرب حتى يفقد وعيه إلى أبعد حد.

رددت: «يا رجل، ما زلت مُعاقَبًا بعدم الخروج». *ليس كأني كنت سأذهب إن كان بوسعي.*

أخذ يحكي لي قصة عن سيث، ولكني لم أصِخ كل سَمعِي، لأن ثمة سيارة أتت، ورحت أشاهد بينما تدخل إليها بسرعة هذه الفتاة التي يمكن أن تكون ليبي فحسب. مشت السيارة مبتعدة، وكنت أقول في نفسي: *ارفعي عينيكِ، ارفعي عينيكِ.* ولكنها لم ترمش بعينيها حتى تجاهي.

***

التقيتُ أمي ذات الشعر المُسدَل في المطبخ تقف أمام النافذة، تشرب علبة عصير من عصائر داستي، وبدت مشتتة الفكر شاردة الذهن. سَعَلتُ بينما أدخل حتى أمنحها تحذيرًا كافيًا.

ابتسمت، ولكن استقرت تلك الابتسامة على كتفي اليسرى، ثم سألَتْ: «ما الخطب؟».

رددت: «ظمآن فحسب». وسحبت علبة عصير واستندت إلى طاولة المطبخ، وأردفتُ: «أتذكرين حين كنت ألعب في دوري البيسبول للصغار؟».

- بالتأكيد.

- كنت تخبرينني من يكون كل واحد من اللاعبين قبل أن يبدأ اللعب، لأني لم أقدر على التمييز بينهم.

- لقد كنت تخلط بينهم دومًا.

- كان ذلك لطفًا بالغًا منكِ.

قالت بطريقةٍ عملية، مما زاد من حبي لها بسبب هذا: «هذا واجبنا». وشَرَدَت بابتسامتها في مكانٍ ما بعيد، في الماضي، ثم ضحكت. واستَطرَدَت: «لقد كنت مُفعَمًا بالثقة والخُيَلاء، حتى في ذلك العمر. ولا أدري من أين لك هذا، فلم ترث ذلك عَنَّا».

- لقد ورثتها عنكِ.

فابتسمت وتنهدت، ثم سألت: «حقًّا، ما الخطب؟».

- هل أنتِ وأبي ستتطلقان؟

- ماذا؟ لِمَ تقول هذا؟

كانت تلك نبرة أمي القوية الجادة، ولكن كان شيء ما ينم عن الخوف متواريًا في أعماق صوتها، كأني أعرف شيئًا لا تعرفه هي. كان صوتها مؤلمًا كسكين طاعن في القلب، وتمنيت لو لم أسمعه، إذ يستحيل أن أنسى نبرته، حتى لو عِشتُ مئة عام.

- أنتما يا رفاق على غير عادتكما مؤخرًا.

فرَدَّت: «كانت الأمور متوترة بعض الشيء». كان القلق يتملكها، وكان باديًا على وجهها، وفي صوتها. وكان في الطريقة التي عَقَدَت بها ذراعيها على صدرها. وتابَعَت: «ولكنك الولد، وأنا الوالدة، مهما زاد طولك، ومهما تَرَكتَ تسريحة الأفرو هذه تكبر. بمعنى: لا أريدك أن تقلق».

كانت ابتسامتها مثل علامة التوقف التي تأتي في نهاية الجملة، الشيء الذي أخبرني أن حديثنا انتهى هنا. وكانت سِمَة الأم الحامية التي في ثنايا حديثها هي ما أحيا فيَّ موجة تذكر الماضي التي اعترتني. وفجأة، كنت في عمر السادسة، وأرقد في المستشفى. وكانت أمي تمسك بيدي وتتحدث مع أبي. كانا سعيدين

ولا يحملان هَمًّا، لأني كنت سأتحسن، ولم يكن أبي قد أُصيب بالسرطان، ولم يقابل مونيكا تشابمان بعد. وكانت أمي تنظر إليَّ، ثم إلى أبي، وكان وجهها يبدو مختلفًا كل مرة. *أهذا هو الوقت الذي بدأ فيه الأمر؟* ولكن ابتسامتها لم تتغير.

في الوقت الحالي، كنت أقف في المطبخ، ورحت أفكر في الطبيب أوليفر ساكس، الذي اعتقد أن التعرف على الوجوه ليس قائمًا على التلفيف المغزلي الثاني عشر فحسب، بل كذلك على القدرة على استدعاء الذكريات، والتجارب، والمشاعر المتعلقة بتلك الوجوه. أي بالمعنى الحرفي: قدرة المرء على التعرف على وجه شخص يعرفه تحمل الكثير من المعاني. كما تضفي على الشخص معنًى؛ أولئك الأشخاص الذين تحبهم وتعرفهم.

وأمي بالفعل تعني لي الكثير، إنها أمي، قبل كل شيء. ولكن هل كانت ستعني لي قدرًا أكبر لو كنت أقدر على التعرف على وجهها؟

ثم قلت لها: «فقط عِدِيني أنكما لن تكونا هذين الزوجين اللذين يبقيان معًا من أجل الأبناء، فهذا يفسد حياة الناس فحسب. من ضمنهم الأبناء». رميتُ علبة العصير، والتقطتُ أنفاسي، ثم قلتُ الشيء الذي لم يكن عليَّ قوله: «أنتِ تستحقين أفضل من هذا».

***

ظهرت أولى المحاولات في مجال تقنيات التعرف على الوجوه في ستينيات القرن الماضي، فكل وجه له ملامح مميزة –نحو ثمانية ملامح–، وتعمل التكنولوجيا بقياس هذه الملامح. مثال: عَرض الأنف، والمسافة بين العينين، وطول الفك. تُضاف كل تلك الأشياء معًا لإنشاء بصمة للوجه من نوع ما.

حسنًا، هذا النوع بعينه من التقنيات يتفوق عليَّ، ولكن ما يمكنني فعله هو: السهر ساعات محاولًا توصيل الأسلاك التي تُكَوِّنُ دماغ الروبوت. وهي مهمة دقيقة، أشبه بعملية جراحية، إذ بمقدورك أن تملك أكبر تصميم في العالم أجمع، ولكن كل كتاب، أو مقطع فيديو، أو موقع إلكتروني سيخبرك أنك تحتاج إلى دائرة كهربية مكتملة –أسلاكها موصلة بالكامل– حتى تعمل المحركات. وإذا انفصل سلك واحد، لم تَدُر المحركات، وبالتالي فإن الروبوت لن يعمل.

لا يمكنني فعل أي شيء حيال دماغي أنا، لكن بوسعي التأكد من أن *الأسلاك الحمراء تمتد هنا، والسوداء تمتد هناك، إذ يجب توصيل الأسلاك توصيلًا صحيحًا. يجب أن يدور المحرك.* وسأعمل على حشو دماغ هذا الروبوت بالتلفيف المغزلي الثاني عشر الذي يعمل عملًا تامًّا، فلن أزوده بتلفيفٍ واحدٍ فحسب، ستكون له مئة منه.

ليبي

قبل حلول وقت العشاء، أخبرت أبي أني سأذهب إلى متجر والجرينز الموجود في حَيِّنا لشراء بعض «أغراض الفتيات». وكنت بعدها بعشر دقائق أقطع الممرات جيئة وذهابًا، وتعميني مصابيح الفلورسنت من شدة إضاءتها، ورحت أملأ السلة بطعام غير صحي، كل ما اعتدت أكله: البسكويت، والرقائق، والمياه الغازية. كان الناس يحدقون إليَّ، وكنت أعرف كيف أبدو: الفتاة البدينة تستعد لالتهام الطعام. ولم أهتم. وقد باغتتني رغبة في تناول كل شيء، فلم يكن ثمة طعام كافٍ على هذه الأرفف، ولا حتى مع اقتراب عيد الهالوين. رحت أشد أكياس حلوى، وامتلأت السلة عن آخرها، لذا مشيت إلى مقدمة المتجر وجلبت عربة، ثم رميت السلة فيها، ورحت أقطع الممرات نفسها جيئةً وذهابًا، أملأ العربة بكل أنواع الطعام التي تركتها في المرة الأولى.

كنت أقف عند أرفف الحبوب، وأمد يدي إلى علبة تشيريوس بالعسل والمكسرات، عندما أحسست بانقباض صدري، ولكن لم يتبعه انبساط. وراح يزداد الانقباض ويشتد، كأنما قد لف أحدهم مشدًّا حوله. كانت راحتاي مبتلتين، ورأسي مضغوطًا، ويكبر وينكمش، الكل في آن. كان بوسعي سماع صوت أنفاسي، وكان مُضَخَّمًا للغاية، حتى بدا لأذني كصوت دارث فادير.[1] وكانت ثمة امرأة تقف متجمدة في نهاية الممر وهي تشاهدني، وبدا الفزع على وجهها. ثم أتى فتى يرتدي الزي الموحد لوالجرينز، وكان في عمر السادسة عشرة على الأرجح. ثم هتف: «هل أنتِ على ما يُرام؟ يا آنسة؟».

(1) أحد شخصيات حرب النجوم الأساسية الشريرة، الذي أصبح جزءًا من الثقافة الأمريكية. لم يظهر دارث بوجهه، بل تميز طوال الوقت بصوته. (المترجمة)

أخذ صوت تنفسي يرتفع، وسددت أذنيَّ حتى أحجبه. كان هذا عندما بدأ السقف في الدوران، وراح الهواء يختفي، ورئتاي تتوقفان عن العمل، ولم أقوَ على التنفس قط. فأسقطت كل شيء وجريت مبتعدة عن العربة وكل ذاك الطعام، حتى خرجت إلى الهواء الطلق. ثم وقفت في موقف السيارات، وانحنيت حتى خصري، وأخذت أتنفس هواء الليل المنعش، ثم استلقيت تمامًا على الأرض، كأن هذا سيُوَسِّعُ رئتَيَّ ويجعلهما تعودان للعمل، غير أن الهواء لم يدخلهما. ثم أغمضت عينَيَّ، وتحول كل شيء إلى السواد.

***

كانت تلك هي الطريقة التي حدث بها الأمر منذ ثلاث سنوات. فقد توقفت رئتاي عن العمل، واختفى كل الهواء في كل مكان: في منزلي، في العالم، تاركًا إياي مستلقية على ظهري، غير قادرة على الحديث أو الحركة. كان الفزع هو الحاضر.

فَتَحتُ عينَيّ، وبدلًا من أن أرى سقفًا معدنيًّا باليًا، رأيت السماء.

انهضي يا ليبي.

رفعت نفسي للجلوس، وانتظرت حتى ترجع الأمور إلى مسارها الصحيح. نظرت إلى ما حولي ببطء لأتأكد من أن الأشياء لا تميل أو تدور. وبداخل متجر والجرينز، أمكنني رؤية الفتى الذي في عمر السادسة عشرة واضعًا الهاتف على أذنه، وكأن ثمة أحدهم في طريقه لمساعدة الفتاة المستلقية في موقف السيارات.

هُبِّي واقفةً.

رفعت نفسي لأقف، وبينما أفعل هذا، استولى عليَّ هذا الشعور. إنه ذاك الشعور بالهدوء والسكينة، وتلك هي، تلك هي أمي. أردت أن يدوم ذاك الشعور، أن أُبقيها معي.

عيشي. عيشي. عيشي. عيشي...

ثم تنفست بعدها.

تنفست.

***

في المنزل، وقفت أمام المرآة، وارتديت ملابس السباحة ذات اللون الأرجواني الفاتح التي اشتريتها لما فقدت الوزن أول مرة. كان مُلصَقُ السعر لا يزال موجودًا، لأني لم أرتدها قط. ولكني مزقته، وتركته يسقط على السجادة. ونظرت إلى نفسي.

وعلى زجاج المرآة، كان جورج يشاهدني وعلى وجهه التعبير نفسه المرتسم عليه دائمًا. وقلت في نفسي: *لو أن الناس أكثر شبهًا* به. كانت نظرته إليَّ كتلك التي يرمقني بها وأنا في كامل ملابسي، سواء كنت أضع مستحضرات التجميل أو لا، ضاحكة أو باكية. إنه لا يتزعزع، وهو أكثر ما أحب فيه.

كنت لا أزال مرتدية ملابس السباحة، وجلست على سريري وفتحت حاسوبي الشخصي. وحدقت إلى الشاشة مدة عشر دقائق تقريبًا، ثم انسابت الكلمات مني.

في اليوم التالي

كان اليوم الأول في دروس السباحة، ما يعني أني سآتي بأحد أسوأ كوابيسي إلى الواقع في فصل الألعاب الرياضية مدة ساعة كاملة: المشي في أنحاء المكان أمام زملائي في الفصل مرتديةً أصغر ملابس غير محببة في العالم كله.

كنت في غرفة الملابس بصحبة ثلاثين فتاة أخرى، وتلك هي الطريقة على وجه التحديد التي تبدأ بها الكوابيس، فقد كانت كل فتاة غير كارولاين لاشامب أو بايلي بيشوب تنظر إلى خزانتها، كأن هذا سيخفيهن عن الأنظار بطريقة ما. وحتى كيندرا وو كانت، تُخادِعُ بالجلوس على المقعد الطويل، في حين تلفُّ ما بين خصرها وركبتيها بفوطة وهي تتحدث بأقصى سرعتها، لتبدو كأنها الشيء الأكثر ثقة بنفسه في العالم. ثم ربطت الفوطة حول جسمها لَمَّا وقفت، وأعرف هذه الحركة لأني فعلتها مئات المرات.

أردت أن أصيح قائلة: *ما زلنا نراكِ يا كيندرا! فلا يمكنك الاختباء عن أعين قريناتكِ! ولكن من يهتم؟ فأنتِ تبدين رائعة! إننا جميعًا نبدو رائعات! أجسامنا مذهلة، أجسامنا عجيبة، ولا ينبغي لنا أن نشعر بالخزي منها.*

كانت بايلي تتحدث معي عن مُنقِذ سباحة اسمه براندون، ولا أتذكر اسم عائلته، وهو أول من أُعجِبَت به في العالم الواقعي (ولا يتلبس بأول من أعجبت به على الإطلاق، كريستوفر روبن من ويني *الدبدوب*). واستندت إلى الخزانة وراحت تتحدث وتلوح بيدها، كعادتها عند الكلام، وبالطبع بدت كأنها قد خرجت لتوها من صفحات مجلة سيفنتين، حتى في ثوب السباحة من قطعة واحدة اللاصق، القبيح عديم الشكل الذي كانت ترتديه.

كنت الفتاة الأضخم في المكان بفارق كبير عن الجميع، وراحت كل الموجودات ينظرن إليَّ متأهبين للحظة التي سأخلع فيها ملابسي كليةً، ربما لأن هذا سيشعرهن برضى أكبر عن أجسامهن. مشيت كأني أتحرك بالحركة البطيئة، عازمة أن أستغرق ما أشاء من الوقت. دفعت فَردَتَي حذائي واحدةً فَالأخرى لأنزعهما، ثم وضعتهما -الواحدة تلو الأخرى- بنظام وبحذر شديد في خزانتي، كأنهما مصنوعتان من أرَقِّ أنواع الزجاج. ثم خلعت سواري ووضعته في حقيبتي بعناية كبيرة وبالغة، حيث سيكون محفوظًا بأمان، ما كان ينقصني سوى كتابة قصيدة فيه، كان هذا مقدار ما استغرقت من الوقت حتى أضمن راحته. ثم مددت يدي في جيبي وأحضرت رباط شعر، ثم -كأن الساعات والساعات من الوقت تتسع لنا للتجَهُّز- سحبت شعري إلى الوراء وسَوَّيته حتى آخر شعرة فيه، كأني قائدة فريق الفتيات الاستعراضي.

مرت بي كارولاين وقالت في اتجاهي: «لا يمكن للمرء تأخير المحتوم». ولكن لا يمكن للسيدة المغرورة أن تنال مني اليوم.

في نهاية المطاف، لم يتبقَّ إلا أنا وبايلي، وفتاة تُسَمَّى مارجريت هاريسون، التي كانت تدردش في هاتفها. وجاءت السيدة رايلي فجأة وبسرعة، وبالكاد حانت منها لمحة خاطفة إلينا، ثم قالت: «مارجريت، الهاتف! بايلي، المَسبَح! ليبي، ملابس السباحة!». ما يبين أنها ستكون رقيبة تدريب مذهلة.

لوَّحَت بايلي وقالت: «أراكِ بالخارج هناك يا لبس». وراحت تجري وشعرها يتمايل، وساقاها الطويلتان تخطوان خطوات عالية. ويا للعجب، إنها تروقني.

والآن لم يتبقَّ إلا أنا ومارجريت. وكانت لا تزال تثرثر، ولكني أريدها أن تذهب، حتى يمكنني الغناء لنفسي، بصوتٍ عالٍ. أعدت ترتيب حذائي، وتفحصت سواري ثانيةً. وواصَلَت هي الثرثرة، ولكنها راحت الآن تنظر إلي. يمكننا المكوث هنا طويلًا.

وفي نهاية المطاف، كنت كمن يقول: *لا أهتم*. وخلعت قميصي العلوي وعَلَّقته في الخزانة، ثم خلعت بنطالي الجينز وعلقته على الخُطَّاف الآخر. وأحضرت الفوطة، وصفقت باب الخزانة لأغلقه. ورميت بالفوطة فوق كتفي. ثم التقت عيني عين مارجريت، واتسعت عيناها من الدهشة. وكانت لا تزال تضع الهاتف على أذنها، وقد توقفت أخيرًا في النهاية عن الكلام. فوضعتُ يدي على خاصرتي والأخرى خلف رأسي، فافتَرَّ وجهها عن ابتسامة.

وقالت في الهاتف: «أجل، ما زلت هنا». ثم أشارت إليَّ بإصبعها إشارة الإعجاب.

***

مشيت الهُوَينَى بينما أدخل مركز الرياضات المائية في مدرسة مارتن فان بورين.

فتوقف الجميع.

توقفوا فحسب.

فهَتَفَت السيدة رايلي من الطرف الآخر للمسبح قائلة: «ما المفترض أن يكون هذا يا ستراوت».

رددتُ عليها صائحة: «ملابس سباحة أرجوانية».

ثم وقفت الوقفة ذاتها: يد على خصري، والأخرى خلف رأسي.

مشت السيدة رايلي بخطى رشيقة تجاهي، وكانت قدماها تصدران صوت صفق صفق صفق على الأرضية الأسمنتية المبتلة، وسَألَت: «ما هذا الموجود على بطنكِ؟».

لا بد أنها تعاني قصر النظر، لأني كتبتها بخطوط كبيرة على أعرض منطقة من جسمي.

أجبت: «أنا مرغوبة. ولكن لا تقلقي حيالها، المياه ستغسلها. فقد استخدمتُ قلم خطاط مؤقتًا». ثم مشيت إلى مكان أعمق نقطة في المسبح، وأسقطتُ الفوطة، ونَفَّذتُ غطسة أولمبية، التي كانت ستُذهل حَكَمًا صعب الإرضاء.

تعلمت أمي السباحة في العام الذي بلغت فيه سن الأربعين، قبل أن توافيها المنية بعام. تلقيت أنا وهي دروسًا في مسبح البلدية بالقرب من المتنزه، وتعلمنا معًا الطفو برأسينا في الماء، والسير على أقدامنا، والتنفس، والطفو على الظهر، وسباحة الصدر، والغطس. وكانت السباحة بالنسبة إليَّ أمرًا عاديًا، كالمشي والنوم، فكنت أشعر بارتياحٍ كبير وأنا في الماء. أما أمي، فكانت أكثر توترًا، وهو شيء عَزَته إلى سنها. فكنت أخبرها: «عليكِ أن تثقي بقوة المياه، فأجسامنا قد صُمِّمَت للطفو، بغض النظر عن أي شيء. ستحملك المياه».

لم أُقدِم على ممارسة السباحة كثيرًا منذ تلك السنوات. ولكن أن يسترد المرء شيئًا كهذا لهو أمر رائع. وبينما أقطع الماء حاليًّا، نسيت أين أكون، كنت أنا والماء فحسب، وأمي بعيدة المنال. أغمضت عيني، فأمكنني رؤيتها في الحارة المجاورة لي.

صعدت إلى السطح من أجل الهواء وفَتَحت عيني، فوجدتني قد عدت إلى مركز سباحة المدرسة الثانوية ثانيةً، تحيط بي فتيات يحدقن بدهشة ويضحكن. وقد ضايقني هذا لحظةً، ولكن لحظةً فحسب، فقد كانت مهمتي في الحياة -على ما يبدو- هي أن أُعَلِّمَ الفتيات اللاتي يحدقن بدهشة ويضحكن دروسًا عن اللطف. ولو قال قائل لي وأنا في سن السابعة أو الثامنة إن هذه مهمة سأتولى العمل عليها، حتى إني لن أنفك عنها، بغض النظر عن مدى شعوري بالرضا عن نفسي، كنت سأقول: *شكرًا لك، ولكن إن لم تمانع، فسأتولى مهمة أخرى، من فضلك. ما المهام الأخرى التي عندك تناسبني؟*

أعرف ما الذي قد يفكر فيه المرء: إذا كان كرهكِ لهذا شديدًا والأمر يثقل كاهلكِ، فما عليكِ إلا خسارة الوزن، ثم ستختفي هذه المهمة. إلا إني أشعر بالارتياح لما أنا عليه، فقد أخسر المزيد من الوزن أو لا أخسره. ولكن لِمَ يتأثر الآخرون بوزني؟ أقصد ما دمت لا أجلس فوقهم، فمن يهتم؟

اتجهت إلى سلم المسبح وتسلقته خارجةً. أزحت شعري عن وجهي، وتفحصت بطني، فوجدت الكتابة لا تزال موجودة.

التقطت المنشفة ومشيت تجاه الجميع في غرفة الملابس، حيث جففت جسمي وانتعلت حذائي، الذي اخترته خصوصًا لليوم. وعلى جانب واحد زَخرَفته بسطر من رواية «سلام منفصل»[1]: «لكل واحد لحظة في التاريخ تخصه وحده».

وهذه لحظتي.

(1) بالإنجليزية «Separate Peace» كلاسيكية أمريكية للكاتب جون نولز، يحكي فيها عن صداقة بين شابَّين، وكيفية تحول هذه الصداقة في لحظة إلى نهاية تراجيدية. (المترجمة)

جاك

شققت طريقي وسط الحشد متظاهرًا بالحديث في الهاتف. كانت نيتي أن أتحاشى الممر الرئيسي، حتى لو كان معنى هذا أني سأصعد إلى الطابق العلوي وأدور حوله، ثم أنزل إلى الطابق الأرضي ثانيةً حتى أصل إلى فصلي التالي. وكان أقرب دَرَجٍ في مكان ما نسميه الأركان الأربعة، وهو المكان الذي يتفرع فيه الممر الرئيسي إلى أربعة اتجاهات مختلفة. ولو كنت بارعًا بما يكفي، كنت سأقفز على الدَّرَج وأصل إلى الطابق الثاني، وإلا فعليَّ أن أسير على قدمي كل الطريق إلى الممر الأمامي، وأصعد الدَّرَج الموجود هناك، فلم تكن لي رغبة في أن ألتقي أي أحد.

سمعت اسمي، إلا إني صَبَبتُ جام تركيزي على قفا كل شخصٍ أمامي. وكان الممر يعج بالناس، وبالكاد نتحرك. وراح أحد ما يهتف باسمي مرارًا وتكرارًا، ثم جذبتني تلك الفتاة الطويلة ذات البشرة الغامقة والشامة المرسومة بجانب عينها، وقالت: «ألم تسمعني؟».

- كارولاين؟

- لقد قلت حبيبتك موجودة بالأعلى، وهي سبب إعاقتنا عن المرور.

ليبي

وقفتُ في منتصف الممر الرئيسي، وكان الشيء الوحيد الذي ألبسه غير الحذاء هي ملابس السباحة. كان ثوبي وشعري لا يزالان رطبين، وكنت أرتعد بعض الشيء، ولكني رحت أقنع نفسي: *تلك لحظتك في التاريخ. إنها لحظتك الخاصة.*

خمسة. أربعة. ثلاثة...

وظهرت آيريس لاهثة، فقلت لها: «هل أحضَرتِها؟».

قالت: «موجودة معي». ورفعت كومة من الورق.

- قد تحتاجين إلى الخروج من هنا.

فهزت رأسها بالرفض، وقالت: «أنا باقية».

رَنَّ الجرس، ثم قفزت. كان لا يزال يوجد متسع من وقت، وكان بإمكاني الجري مثل الوميض[1]، وستلمحني أعين بعض الأشخاص فحسب.

ولكني واصلت الوقوف هناك.

بينما تُفتَحُ الأبواب على مصاريعها، وبينما كامل طلاب مدرسة مارتن فان بورين يتدفقون في الممر. وبينما الجميع يحدقون. وبينما تُرفَع الهواتف. وبينما –متأكدة من ذلك– تُلتَقَطُ مئات الصور. وبينما ينقبض صدري. وبينما أقف مشوشة، وأحس بأن رأسي مَحشوٌّ بالقطن. وبينما تتهدج أنفاسي وتتقطع. وبينما تتعرق يداي.

وقفت هناك.

---

(1) بالإنجليزية «The Flash»: شخصية بطل لسلسلة رسوم مصورة بالاسم نفسه. (المترجمة)

جاك

حاولت شق طريقي بين الحشد، ولكن كلما اقتربت من الممر الرئيسي، غدا الوضع أبطأ فأبطأ. ولم ألبث أن وجدتني مُحاصَرًا وسط حشد، أمشي أجر قدمي، وأُدفَعُ حتى أُلصَقَ بالفتاة التي أمامي، والفتى الذي من خلفي، والفتاة التي عن يساري، والفتى الذي عن يميني. كانت كارولاين في مكان ما قريب مني، ولكني فقدت أثرها.

ليبي

رحت أنا وآيريس نوزع الأوراق، ورقة واحدة لكل واحد. وكانت الأوراق تنتشر سريعًا، فقد أخذ زملائي في الفصل يسحبونها بسرعة ويمشون، ويقرؤونها، في حين يوجِّه الآخرون هواتفهم نحوي ويلتقطون الصور. وحاولت أن أتخذ وضعيات للتصوير قدر ما استطعت، لأنه إذا كنت سأنتشر على الإنترنت، تبًّا، فأنا أريد أن أمنحهم أفضل نسخة ممكنة مني.

وظهر أمامي سيث باول بتسريحة الموهوك الضخمة، وجاك ماسيلين من خلفه مباشرة. فهتف سيث: «حول ماذا يدور هذا كله؟». وضحك حتى راح جسده كله يهتز.

لم يضحك جاك، بل سأل: «ما الذي تفعلينه؟».

- أُذَكِّرُ الناس ببعض الحقائق الأساسية.

اقترب موسيز هانت وجماعته، وأعطيتهم نسخة ليتشاركوها، رغم أنهم قد لا يمتلكون القدرة على قراءتها. وقلت لموسيز: «آمل أن تتعلم شيئًا ما، رغم أني أشك أنك تهتم بذلك».

فاقترب مني كأنه سيحتضنني، فقال له جاك: «مهلًا!».

- تبًّا لك أيها الأحمق، ما مشكلتك؟

فهتف سيث قائلًا: «مشكلته أن هذه حبيبته». وضحك واهتز كأنه رقّ.

قلت لجاك: «شكرًا على أي حال، ولكن لا أريد منك أن تحميني».

فقال: «عليكِ التستر ببعض الملابس».

***

هزت المديرة واسرمان رأسها وهي جالسة خلف مكتبها، وقالت: «يُعييني الكلام يا ليبي. ساعديني على فهم هذا». وأمسَكَت بنسخة من الشيء الذي كتبتُه، رسالتي إلى العالم. فسألت: «كان أحدهم يتحرش بكِ، ويرسل إليكِ بالرسائل، لِمَ لَم تأتي إلي؟».

أجبت: «لم أعرف مرسلها. وحتى لو عرفت، فلن أشي بهم، بغض النظر عن مدى بُغضِهم. ولكني أحسست أنه يجب عليَّ قول شيء ما». كنت قد ارتديت ملابسي الآن، ولكني ما زلت أرتجف، لسبب واحد: كان شعري لا يزال رطبًا. والآخر: كنت منفعلة. فقد أخذ جاك ماسيلين بتعليقٍ وحيد بعضًا من مجد لحظتي: *عليكِ ارتداء بعض الملابس.*

ثم قرأت المديرة واسرمان رسالتي ثانيةً، ثم وضعتها أمامها. ثم شَبَّكَت يديها ووضعتهما فوقها، ونظرت إلي. وأمكنني رؤية الغضب يلتمع في عينيها، ولكني أعرف أنه ليس موجهًا إلي. ثم قالت: «أنا آسفة. غاية الأسف».

شعرت بوخز يسري في عينَيَّ فجأة، وهو ما لم أتوقعه. فنظرت إلى يديَّ، ورحت أدفع رغبتي في البكاء. *لَستِ مضطرة إلى البكاء. لقد نَجَحتِ. لقد أوضَحتِ وجهة نظركِ. وحتى ربما كان ثمة شخصٌ آخر كانت به حاجة إلى سماع ما قُلتِه اليوم.*

- انتهينا هنا.

رفعت بصري، وقلت: «حقًّا؟».

- فقط لتَكُن هذه هي آخر مرة تأخذين فيها الأمور على عاتقكِ، ولتَكُن هذه هي المرة الأخيرة التي أراكِ فيها هنا. إلا إذا وصل إليكِ مزيدٌ من الرسائل. وفي تلك الحالة، أريدكِ أن تقصدي هنا مباشرة، دون محاولة منكِ للتعامل مع الأمر وحدكِ. وإذا عَرَفتِ مُرسِلَها، فأنا أريد أن أعرف هذا كذلك.

أنتِ مرغوبة

كتبتها ليبي ستراوت

• • •

«أنتِ لستِ مرغوبة».

كتبت إحداهن هذه العبارة إليَّ مؤخرًا في رسالة مجهولة المرسل. لذا أتساءل من في العالم يشعر أن هذا شيء لا بأس أن يُقال لشخص آخر. أسأل عن هذا بجدية. فكروا في الأمر.

«أنتِ لستِ مرغوبة».

إنه أخس شيء قد يتفوه به المرء لأحدهم.

وعلى الأرجح، ما قَصَدَت قوله هو: «أنتِ بدينة، وهذا يُشعِرُني بالتقزز». فلم لا تقولين ذلك مباشرة؟

فأنتِ لا تعرفين إذا كنتُ مرغوبة أم لا.

ولكن خمني ماذا؟ أنا كذلك.

صدقوا أو لا تصدقوا، لدي عائلة تحبني بالفعل. كما إني لا يعوزني الأصدقاء. وحتى إن الفتيان قد تغزلوا فيَّ. ولكن سبب عدم وجودي في علاقة مع أحد الفتيان هو أني لست جاهزة بعد، ليس لأنه لا أحد يرغب في. ولكن الأمر يا مَن كتبتِ هذه الرسالة، وبقدر ما أنتِ بغيضة وتافهة، هو أني في غاية الابتهاج. إذ قد وُهبتُ بشخصيةٍ جميلة، وعقلٍ بارع. وأنا قوية، وبإمكاني الجري. وأنا مقاومة، وذات قوة هائلة. وسأجعل لحياتي مَغزًى، لأني أومن بنفسي. ولا أعرف هذا المغزى بعد، إلا إن هذا يرجع إلى أنه لا نهاية لطموحي. هل يمكنكِ قول شيء مشابه؟

الحياة أقصر من أن نقضيها في الحكم على الآخرين. فليس من شأننا أن نُملي على أحد ما يشعر به، أو من يكون؟ لِمَ لا تستثمرين أوقاتكِ في الارتقاء بنفسكِ؟ لا أعرفكِ، لكن متأكدة من أن لكِ بعض المشكلات يجب أن تعملي عليها. وربما تملكين جسدًا لائقًا، ووجهًا مثاليًّا، ولكني أراهن أن لديكِ مخاوف كذلك، التي تَحول بينكِ وبين الوقوف بملابس السباحة الأرجوانية والاستعراض بها على مرأى من الجميع.

أما بقيتكم، فتذكروا هذا: أنتم مرغوبون. البدين، والنحيف، والطويل، والقصير، والجميل، والعادي، والودود، والخجول، لا تدعوا أي أحد يخبركم خلاف ذلك، ولا حتى أنفسكم.

لا سيما أنفسكم.

جاك

وقفت في الطابق الأرضي لمتجر ماسيلين، وتمنيت لو استمر موسم كرة البيسبول على مدار العام، حتى لا يتعين عليَّ الانتظار إلى حين حلول موسم الربيع، ونكون مضطرين إلى اللعب جميعًا. ولو كانت لي سلطة على العالم، كنت سأجعل كل واحد فيه يرتدي زيًّا موحدًا، وبتلك الطريقة نجد بعضنا بعضًا.

لو كانت هذه حال العالم، كنت سأتعرف على مونيكا تشابمان، التي كانت تقف كذلك في الطابق الأرضي لمتجر ماسيلين. كنت سأعرف في الحال أن المرأة التي يتحدث إليها أبي كانت هي مونيكا، ولم أكن لأتساءل عند قدومها إلى هنا مرات عدة قبل اليوم، ووقوفها تمامًا أمام عيني.

واستعضت عن ذلك بالتفريق بينهما وهما واقفين مقتربين من بعضهما بالقرب من نافذة عرض ألعاب حرب *النجوم*، حيث قد يدخل أي أحد إلى المكان ويراهما، بما في ذلك أمي. وابتعدا بعضهما عن بعض، ثم قرأت شارة اسم أبي، ونظرة تنم عن الذنب تعلو وجهه.

قالت: «مرحبًا يا جاك».

ربما تكون هي، وربما لا تكون هي، ولكن لم أتريث حتى أعرف، فنظرت إلى أبي، وقلت: «أنت أيها السافل». ثم مشيت خارجًا.

***

لما عدت إلى المنزل، رحت أزيح الأشياء عن الأرفف الموجودة في الطابق السفلي وألقيها أرضًا. ورميت ببعضها في المهملات، انتابتني حالة من

الغضب العاصف، كطفل أصابته نوبة غضب، ورحت أحطم القطع تحت حذائي، وألقي بالأشياء بقوة على الطاولة المصنوعة من الخشب الرقائقي، وأحطم الأدوات، وكل تلك الأشياء المزرية التي قضيتُ الكثير من الوقت أصممها وأصنعها.

زاد غضبي، ما جعلني في نهاية المطاف أضرب الحائط، حتى أخذت يدي تنزف. كان الألم الذي سرى فيها يمنحني شعورًا جيدًا، وأحببت ذاك التلامس بين القبضة في ارتطامها بالحائط وبين العظام، فرحت أضربها مرارًا وتكرارًا. لقد كان هذا سبيلًا لأشعر بشيء ما دون الوقوف خلف ذاك السور الكهربائي غير المرئي الذي يفصل بيني وبين الجميع.

بعد نصف ساعة، شرعت في تنظيف الفوضى، بمنتهى الهدوء واستجماع الذات. ثم دخل رجل متسللًا يرتدي شارة اسم أبي.

أخذ يستوعب الفوضى من حولي، ثم نظر إليَّ مباشرة إلى عَينَي، وقال: «أنا أعمل على إنهاء الأمر معها».

- لا أهتم يا رجل.

- أردتك أن تعرف فحسب.

- لِمَ الآن؟ ما الذي دفعك لأخذ هذا القرار المغير للحياة؟

أجابني بينما يومئ تجاهي: «هذا، ذاك الغضب الكامن هنا. أُفَضِّلُ ألَّا تكرَهَني».

- لا تُلقِ باللوم عليَّ.

- ليس عليك، بل عليَّ. لقد مُنِحتُ تلك الفرصة الثانية، ليس فقط لأتغلب على السرطان، بل فرصة ثانية مع أمك، وفرصة ثانية لأخمن ما أريده في الحياة.

- لقد اعتقدت أنك أحببت المتجر.

- لقد أحببت ما يعنيه، وأحببت تاريخه. وأحببت الذهاب إلى هناك وأنا طفل. ولكن هذا لا يعني أنه الشيء الذي أريد أن أقضي حياتي فيه، فقد كانت لي خططي للحياة.

لقد لَبَّسَ كلامه الأمر عليَّ، إذ كانت هذه المرة الأولى التي أفكر فيها في أبي وهو يفعل شيئًا مغايرًا، أو يملك خيارات بديلة.

- لقد أردت أن أكون معماريًّا أو مهندسًا.

ولَبَّسَ كلامه الأمر عليَّ ثانيةً، إذ إننا قد نكون متشابِهَين أكثر مما ظننت، ولست متأكدًا من الطريقة التي يتعين عليَّ أن أشعر بها تجاه هذا. *الشيء الوحيد الذي أعرفه تمام المعرفة هو نوع الشخص الذي لا أود أن أكونه، وذلك بفضلك أنت ومونيكا تشابمان.*

وقال: «مضحك، أليس كذلك؟ حتى رغم وجودنا هنا وحدنا تمامًا (لَكَمَ صدره) فمن السهل أن يفقد المرء مساره في الحياة».

أردت أن أقول: *أعرف. أفهم.* من *السهل أن تمنح الجميع ما* يريدونه، *المتوقع. ولكن المشكلة التي تكمن في فِعل هذا هو أنك تغفل عن المكان الذي منه بدأت بشخصك الحقيقي، ومكان النسخة الأخرى المزيفة منك، فالشخص الذي يحاول أن يكون كل شيء للجميع، ينتهي أمره.*

ثم ابتسم تلك الابتسامة الحزينة، وقال: «لقد كنت مؤذيًا».

- لذا أظن أن داستي غاضب منك أنت كذلك.

- أظن ذلك.

***

كان ماركوس وحبيبته ميلندا في غرفتنا العائلية منحنيين فوق هاتفه، ويهمسان بحدة وبلا انقطاع. ثم رفع ماركوس بصره إليَّ، وقال: «أرأيت هذا؟». ثم رفع الهاتف.

توجهت نحوه وأخذت الهاتف منه، ثم ها هي ذي ليبي ستراوت، لا ترتدي إلا ملابس السباحة الأرجوانية الزاهية، وتخبر العالم حرفيًّا بأن يذهب إلى الجحيم. لقد كنت هناك، لقد رأيتها بالفعل. ولكن الآن، كنت أنظر إلى الطريقة التي ينجذب بها الضوء إلى شعرها، وإلى نقاط النمش التي تتناثر على ذراعيها وصدرها، مثل علامات الجمال، ولكنها لم تكن مرسومة.

ثم أخطأتُ وقرأتُ التعليقات. كان بعضها بغيضًا، والبعض الآخر في غاية اللطف. لم أعدّ التعليقات، ولكن انفرجت أساريري عندما رأيت التعليقات اللطيفة تزيد على البغيضة. أرجعت الهاتف إلى أخي، وبالكاد لاحظ، لأنه كان قد بدأ في الجدال مع ميلندا.

هتفت ميلندا: «أنا جادة، الأمر ليس مضحكًا يا كاس[1]. (كان هذا ما تُطلِقُه عليها). أشعر بالأسف عليها».

قلت لها: «لِمَ تشعرين بالأسف يا دا؟». كما في *داه*[2]. هذا ما أحب أن أُناديها به.

رَمَشَت لي بعينيها الكبيرتين الغبيتين، وقالت: «أعني أنه ليس سهلًا أن يكون المرء مكانها».

سألتها: «لِمَ؟». لَمْ أُرِد أن أعبث معها، بالطريقة نفسها مثلما أفعل مع سيث، ولكني لم أقوَ على ذلك.

قالت بينما ترفع الهاتف وتشير إلى الشاشة: «حسنًا، أعني... أنت تعرف».

- تبدو لي لا بأس بها.

كانت ورقة ليبي التي بعنوان «أنتِ مرغوبة» موضوعة على مكتبي في الطابق العلوي. ومنذ قرأتها، كنت أحاول تجاهل الصوت الذي يقول: *هذا خطؤك. لو لَمْ تُمسك بها، ما كان ليستهدفها أحد. ولو لم تكن مستهدفة، ما كانت لتشعر بأن عليها إثبات نفسها للمدرسة بأكملها.*

---

(1) مستخدم على الوجهين: اختصار لاسمه، والآخر بمعنى الشخص العنيد. (المترجمة)

(2) مستخدم على الوجهين: اختصار لاسمها، وتعبير عن الاستخفاف بكلام شخص غبي. (المترجمة)

ليبي

مدرسة مارتن فان بورين الثانوية هي مكان متناهي الجمال، ومن الغرابة أن تفكر في عدد الأشخاص الذين قد قضوا وقتًا طويلًا خائفين من وجودهم هنا على مدار ما يزيد على السنين التسعين التي هي عمر المدرسة. وتضم مدرستنا معرض فنونٍ حقيقيًّا وفعليًّا، وتسع مقاعد صالة الألعاب الرياضية عشرة آلاف شخص، كما تضم قاعة الاحتفالات الأهلية، المُلحَقة بالمركز الرياضي، المكان المخصص في البلدة لإقامة الحفلات والعروض. كما تضم الكافيتريا ركن السَّلَطات، وركنًا لفطائر البيتزا، وركنًا للساندويتشات المتنوعة. كما ثَمَّة متجر بقالة صغير بجوار مكتب التمريض. إلا إنها قد تكون كذلك كسجن جزيرة بيتاك[1]، في قلب بحيرة في أعمق وأبعد مكان في روسيا، حيث يقضي السجناء اثنتين وعشرين ساعة من يومهم في زنزاناتهم، ويستقبلون الزوار مرتين في العام. هذا ما قد يبدو عليه الوضع هنا.

ولم يختلف اليوم عن سائر الأيام، فالجميع –وأعني *الجميع*– قد بات يعرف اسمي الآن، جميعهم بإمكانهم تَخَيُّلي بملابس السباحة، حتى من لم يكونوا موجودين هناك بالفعل. ومقطع الفيديو على اليوتيوب المُسَمَّى: *الفتاة البدينة ترد القتال: ليبي ستراوت، المعروفة سابقًا بأضخم مراهقة أمريكية، تخبر زملاءها في الفصل: «أنتِ مرغوبة»* كان قد نُشِرَ الليلة الماضية، وحاز 262356 مشاهدة.

تخيل الأمر.

---

(1) كان في أساسه ديرًا أرثوذكسيًّا روسيًّا أُسِّس عام 1517، لكن تحول في عهد ستالين إلى سجن لأعداء الثورة. (المترجمة)

أحكي لكم من واقع تجربتي أن الأمر غريب جدًّا، ويثير القلق في النفس. الشخص الواقف هناك بمذكرة تحمل شعار *صراع العروش*[1]، وتلك الفتاة هي وأصدقاؤها الذين يحملون الآلات الموسيقية لفرقتهم، والمشجعون، وفريق كرة *السلة*، وآه، صحيح، المعلمون.

لم أفكر في عواقب هذا.

قد تكون مخيلتي التي توحي لي بذلك، ولكن كل تلك الأعين التي تستقر عليَّ بينما أمشي في الممرات. كنت أمشي وألتقط أنفاسي، وأمشي وألتقط أنفاسي. ورحت أمشي مشية فيها بعض الخيلاء. وحاولت أن أضيف إلى مشيتي مشية عارضات الأزياء. ورحت أتذكر كيف هو شعور الرقص في غرفتي على أغاني سبايس جيرلز، وقلت لنفسي: هذه *ذاتك الحقيقية*، نجمة *مشهورة من نوع ما، كأولئك الموجودات في الأغنية*.

سمعت صوت خوار واحد فقط. أما الجميع، فراحوا يحدقون.

في الممر، قال السيد ليفين: «هل كل شيء على ما يُرام يا ليبي؟».

ما جعلني أشعر أنه لا بد قد عرف بخصوص *الفتاة البدينة ترد القتال*، سواء كان قد شاهده أم لا.

- ليس لأني أراكِ في حلقات المحادثة التي نعقدها فهذا يعني أنه لا يمكنكِ التحدث إليَّ. إنه نوع العمل الذي أقوم به، تعرفين.

رددت: «أعرف، شكرًا لك يا سيد ليفين، الأمور على ما يُرام». حقًّا. ولست متأكدة مما إذا كان يصدقني أم لا، ولكني انطلقت مسرعة قبل أن يبادر بسؤال عن شيء آخر.

***

تناولت الغداء في غرفة الفنون، مع بايلي وجايفي وآيريس، هذا لأن المكان هنا مُسالِم -أي لا تنتشر فيه تعبيرات الصدمة- بخلاف الكافيتريا. وأخذن يتجاذبن أطراف الحديث كدأبهن، عما سيفعلنه بعد أن نتخرج من مدرسة مارتن فان بورين ونكون متفرغات. كانت بايلي تنوي أن تصبح فنانة، وكذلك طبيبة، وستصبح جايفي كاتبة.

وفجأة نظرت إليَّ آيريس وقالت: «أتمنى لو كنتُ مثلهما؛ أتمنى لو عرفت ما أنوي فعله».

---

(1) سلسلة صراع العروش لجورج ر. ر. مارتن. (المترجمة)

- يمكنكِ أن تكوني مغنية. لو كان لي صوت مثل صوتكِ يا آيريس إنجلبريكت، كنتُ سأغني ليلًا ونهارًا لأُسمِعَ نفسي.

وتحولت أذناها إلى اللون الوردي الفاتح، وارتَشَفَت رشفة من مشروب دايت كوك، وقالت: «هذه ليست مهنة، إنها هواية». كانت تردد قول أحد ما، ربما أمها.

رددت: «قولي هذا لتايلور سويفت». وتصَفَّحتُ هاتفي، واخترتُ أغنية، ثم ضغطت على تشغيل، فلُذنَ بالصمت جميعًا، بينما شرعتُ في الرقص. وقلت: «سأكون راقصة. ربما حتى سأكون راقصة في الروكيتس». وركلت برجلي، ركلت بها عاليًا حد السماء.

بدأت جايفي في التصفيق والصفير.

- سأفتتح ناديًا للرقص، وسأضمُّ كلَّ من تعذر عليهن الانضمام إلى فريق الفتيات الاستعراضي، أو أي واحدة لا رغبة لها في الانضمام إلى فريق الفتيات الاستعراضي. ولن نرقص في نمط مُوَحَّد، ولن نُلَوِّحَ بالأعلام. سنخرج إلى هناك ونفعل ما يحلو لنا، ولكن سنفعله معًا.

قامت بايلي وراحت تتراقص وشعرها يتطاير من حولها، وقالت: «أريد أن أنضمَّ إلى ناديكِ هذا».

صعدت جايفي على مكتب وراحت ترفع يديها وترقص رقصة من رقصات الجاز، وتُلَوِّح بذراعيها. وأخذت تلمس قبعةً عاليةً خيالية، وتبتسم ابتسامةً واسعةً مُرعِبة، من تلك التي يبتسمها الفنانون على المسرح، التي لم يسبق لأحد رؤيتها من قبل.

وضعت آيريس مشروب الدايت كوك، وأخَذَت تُرَبِّتُ على فمها بالمنديل لتمسحه، ثم أخذت تغني معنا، وعلا صوتها العذب الرنان فوق صوت سبايس جيرلز. وأخذت ترقص رقصة الشيمي بعض الشيء في مقعدها، وتتراقص كتفاها إلى اليمين تارةً وإلى اليسار تارة. وجلبتُ فرشاة تلوين وأعطيتها إياها، وبهذه الطريقة لم تعد فرشاة تلوين، بل غدت ميكرفونًا، وكذا نحن لم نعد في غرفة فنون المدرسة الثانوية، بل صرنا نقف على خشبة المسرح، جميعًا، كلٌّ تفعل ما تبرع فيه.

إلى أن دخل السيد جرازر معلم الفنون، وهتف بنا: «ما الذي يحدث هنا؟».

فصاحت به بايلي: «إننا نعبر عن فننا فحسب يا سيد جي».

- حسنًا، عَبِّري عنه بطريقةٍ أهدأ يا بايلي.

جاك

كانت ثمة حلقة من الكراسي متراصة في منتصف ملعب كرة السلة. وبدا أننا سنجلس في حلقة المحادثة اليوم -آخر حلقة لنا- في حلقة فعلية.

كدت أستدير وأمشي، ولكنه كان اليوم الأخير قبل كل شيء، لذا فقد جلست، وحَيَّيت المجموعة مجتمعة بتحية واحدة، وانتظرنا السيد ليفين لينضم إلينا. مددت ساقَيَّ أمامي، وعقدتهما عند الكاحل، وأملت رأسي إلى الوراء، وأغمضت عيني. من سيراني سيعتقد أني أتسكع، أو متعب، أو متعب من أفكاري، ولكن في الواقع كان قلبي ينبض سريعًا بعض الشيء، وبصوت شبه عالٍ.

وأيًا كان مدار حديث هذه الحلقة، فلا يمكن أن يكون مفيدًا.

ورحت أنصت بينما يجلس الجميع، تعلو أصواتهم وتنخفض. وسمعت ليبي تتفوه بشيء بينما تجلس، ثم بعدها سمعت صوت صرير الأحذية على الأرضية المكشوطة، وكان هذا السيد ليفين.

ثم قال: «قد تتساءلون لِمَ نجلس في حلقة، في حلقة المحادثة هذه بالتحديد».

فتحت عينَيَّ واستقمت في جلستي قليلًا، وحاولتُ أن أُظهِرَ الاهتمام، وكأن هذا لم يفزعني حد الرعب. نظرت إلى ليبي وأردت أن أقول: *أنا آسف*. إلا إنها كانت تنظر إلى السيد ليفين، الذي كان يحتضن كرة السلة.

قال السيد ليفين: «اليوم سنتبادل الأدوار في قول خمسة أشياء إيجابية عن كل شخص موجود هنا. لذا، إن كنت سأبدأ، فسأقول خمسة أشياء إيجابية، لنقل.. عن مادي». ورمى الكرة إلى مادي. وقال: «أنتِ عطوفة، وملتزمة مَوَاعِدكِ، ومهذبة، وتنسجمين مع الآخرين جيدًا، وقد غدوتِ أكثر ثقة عما كُنتِ حين بدأنا هذه الحلقة. ثم تقول مادي خمسة أشياء رائعة عني».

فاستهلت مادي قائلة: «أنت تضع ربطات عنق فراشية رائعة، وتبدو مثل دكتور هوو. وأنت هادئ للغاية حتى تكون معلمًا. ولا تُفرِط في إسداء المواعظ والحكم، وتضفي على الأشياء حسًّا يجعلها مثيرة للاهتمام دومًا». ثم رمت الكرة مرة أخرى إلى السيد ليفين.

- رائع يا مادي، شكرًا. لذا، تاليًا، سأرمي الكرة إلى جاك، أو آندي، أو ناتاشا، أو ترافيس، أو ليبي، أو كيشوان، حتى أقول شيئًا عن كل واحد. وسنتبادل الأدوار بيننا جميعًا. هل من أسئلة؟

فسأل كيشوان: «أي شيء مثلًا ما دام جيدًا؟».

فرد السيد ليفين: «لنقل أي شيء يندرج تحت تصنيف الإشراف الأبوي لمن دون سن الثالثة عشرة». فضحك الجميع عدا كيشوان، الذي بدا محبطًا.

والآن رحنا ندور ببصرنا بعضنا تجاه بعض، يتفحص واحدنا الآخر، وبلا ريب نحاول التفكير في خمسة أشياء لطيفة لنقولها. كنت أتفحصهم كذلك، ولكن بطريقة مختلفة. وبعد كل هذا الوقت، استطعت تمييز كيشوان في هذه المجموعة، ولا بد أن ناتاشا كانت الفتاة ذات الشعر البني الطويل، التي تضع يدها على ساق كيشوان. آمل ذلك على الأقل، من أجل كيشوان. أعرف ليبي لأنها هي الأضخم بين الفتيات، وأعرف مادي، بفضل السيد ليفين. ولكن كالعادة، فإني أجد صعوبة في التعرف على آندي وترافيس، إذ لهما الطول نفسه، والبنية الجسدية نفسها، ولهما شعر أشعث منسدل على عينيهما. ويمكن للمرء معرفة بعض الأشخاص من طريقة تأنقهم، مثل الطريقة التي يمشطون بها شعرهم على وجوههم، غير أن هذه الطريقة لم تفلح معهما.

أقنعت نفسي أني لن أتورط ما دام السيد ليفين اختار شخصًا آخر ليبدأ، لذا حاولت التفكير فيما أقوله عن هؤلاء الناس، فكيشوان وناتاشا أُمسِكَ بهما وهما في علاقة حميمية في حمامات المدرسة، وهو سبب وجيه بدرجة كافية لأيٍّ منا لأن يكونا هنا، ولكن لا يمكنني ذكر هذا تحديدًا كواحد من الإيجابيات. ومادي هنا بسبب سرقة أغراض المكياج من خزائن عشوائية. وآندي خَرَّبَ ممتلكات المدرسة، بالتبول عليها، وترافيس أشعل سيجارة حشيش في الفصل، في تَحَدٍّ دخله. إذن بالتأكيد كان الشخص الوحيد الذي يمكنني التفكير في خمسة أشياء أقولها عنه هو ليبي. وبدلًا من التفكير في خمسة أشياء جيدة أقولها عنها، كان بوسعي التفكير في مئة.

قال السيد ليفين: «لِمَ لا تبدأ يا جاك؟».

تَبًّا.

ابتسمت له ابتسامة سريعة، وقلت: «السيدات أولًا، الشهامة وأشياء من هذا القبيل».

فرد السيد ليفين: «في حين أني متأكد من تقدير السيدات هذه اللافتة، فإني أظن أنهن لن يمانعن في هذه الحالة». وعاد للجلوس في كرسيه، وعَقَد يديه على صدره، وانتظر.

لأي سبب كان، نظرت مباشرة إلى ليبي. وكنت كأني أقول: *لا تهجريني يا ليبي ستراوت، ليس في أشد أوقاتي احتياجًا إليكِ.* علا العبوس وجهها، وفي لحظة، توقعتها أن توبخني، أو تشير إليَّ إشارة بذيئة، أو ربما تقوم وتغادر فحسب. ولكن لا بد أنها رأت الفزع البادي عليَّ، فقالت: «عذرًا يا سيد ليفين، ولكن قبل أن أنسى. ترافيس، هل لدينا اختبار غدًا في فصل تعلم القيادة؟». كانت تنظر إلى الشخص الجالس قبالتها، ذاك الذي يرتدي قميصًا رياضيًّا أسود طويل الأكمام.

راح ينظر إليها من كرسيه فاغرًا فمه في شكل دائرة، وقال: «ماذا؟ تبًّا، هل لدينا فعلًا؟». واعتراني شعور بالضحك.

- ظننت دومينجيز قد قال... أو ربما كان هذا فصلًا آخر. أوه، انتظر، انتظر، أعتقد أنه التاريخ.

فراح السيد ليفين ينظر إليها كأنه عارف بأن في نيتها شيئًا ما، ولكن جل ما قاله كان: «ابدأ يا جاك».

كيشوان لاعب كرة سلة بارع. ناتاشا شخصٌ إيجابي، وتبتسم على الدوام. ومادي يبدو أن لها ذكاءً ألمعيًا. آندي أسهم في صعودنا للعب في الولاية في كرة القدم. ويملك ترافيس تشكيلة عظيمة من القمصان العتيقة. شيء من هذا القبيل.

وإليكم ما يقولونه عني: جاك بهي الطلعة. جاك متأهب ومستعد على الدوام. يقود جاك سيارة رائعة. يسكن جاك في منزل جميل. لجاك ابتسامة رائعة. لجاك شعر جميل. جاك ذكي. جاك مرح. جاك لاعب كرة سلة ماهر. سيلتحق جاك بأي كلية يتقدم لها.

أعرف أن نيتهم طيبة، ولكني لم أغالب شعوري باليأس. وقد يكونون جميعًا يشعرون الشعور ذاته. ولكن أردت أن أقول: *أنتم لا تعرفونني. إن كان هذا جل ظنكم بي، فأنتم لا تعرفون حتى لمحة عني.*

ولكن ذنب من هذا؟

استدرت نحو ليبي، وقلت: «أنتِ طيبة، ربما أطيب شخص قابلته في حياتي. كما إنكِ متسامحة. بعض الشيء على الأقل، ولكني أطمح إلى فيض سماحتكِ، وهذا في رأيي قوة خارقة». كانت عيناها تنظران إلى عيني، وكان يدور فيهما الكثير. وتابعت: «أنتِ غاية في الذكاء، ولا تأخذين السيئة بالسيئة، أَقَلّها سيئتي. أنتِ من أنتِ. وأنتِ تعرفين ذاتكِ، ولا تخافينها، والكثير منا يتفق على هذا». لم تبتسم، فلم يكن الأمر يكمن فيما تفعله بالفم، بل كانتا عينيها. «كما إنكِ قوية كذلك. ولا يقتصر الأمر على القدرة على طرحي أرضًا بضربة واحدة في الفك. (ضحك الجميع عداها). بل أتحدث عن القوة الداخلية. كأني لو رسمت تلك القوة الداخلية فقد تكون أشبه كثيرًا بمثلث مصنوع من الكاربين، فذاك هو المركب الأقوى في العالم، والمادة الأقوى في العالم. وكذلك تُحَسِّنين من أحوال مَنْ حولكِ...».

كِدتُ أستَطرِدُ في الحديث، إلى أن قال السيد ليفين: «هذا في الواقع أكثر من خمسة. أرغب في أن تواصل الحديث، لكن أود أن أعرج على كل شخص اليوم. أحسنتَ صنعًا يا جاك رغم ذلك. كانت بداية موفقة».

كانت ليبي لا تزال تنظر إليَّ، وعيناها متسعتان وسع السماء.

ثم انبثقت هنالك هذه *اللحظة*.

كان الأمر أشبه برؤيتي إياها. ليس الأعين الكهرمانية، أو النمش المتناثر على خديها، ولكني أراها بحق.

- جاك؟ إنه دور ليبي.

رحت أمسد مؤخرة رأسي، حيث يشوكني شعري.

قلت: «أجل، بالتأكيد». ورميت الكرة نحوها.

حَدَّقَتْ إلى الكرة هينهة، وراحَتْ تقلبها بين يديها، بعناية بالغة وحرص شديد، كأنها تحمل العالم أجمع بين يديها.

ثم رَفَعَت هاتين العينين نحوي، وكانتا صَعبَتَي التخمين. ثم فتحت فمها، ثم أطبَقَته. وفتَحَته ثانيةً، وتبين أن ليس في جعبتها خمسة أشياء لتقولها عني. لديها شيء واحد فحسب: «أنت لست شخصًا سيئًا يا جاك ماسيلين في الحقيقة. ولكني لست متيقنة مما إذا كنت تعرف هذا بعد».

ليبي

مشيت بأقصى سرعتي من صالة الألعاب الرياضية، دون أن أنطلق جاريةً. إلا إن جاك جاراني في سيري، وراحت تسريحة الأفرو تهفف وتهفف، كأنه مُدمَجٌ فيها تأثير الرياح خاصتها.

قال: «شكرًا لكِ على ما قُلتِه هناك».

- لم يكن شيئًا يُذكَر.

- ليس ما قُلتِه في حقي. على أي حال، ما الذي فَعَلتِه أمس؟ أنتِ بطلتي.

- لقد أخبرتني أن أرتدي ملابسي.

- لأن موسيز هانت كان يقترب منكِ قليلًا، ومَن يدري ما كان سيفعل. فلم أرد لأحد أن يمسك بكِ.

رددت: «أوه، تلك هي المفارقة». ثم، لسبب ما، لم أقوَ على منع نفسي، أخبرته: «على ما يبدو فإني قد اشتهرت».

- أعرف، رأيت. اسمعي، سترى إحدى الفتيات مقطع الفيديو هذا، وستلهمينها الشجاعة لتشتري ملابس السباحة الأرجوانية لذاتها. وستحدثين فارقًا، فلتشاهدي فحسب. وسترغب الفتيات في كل الأرجاء بأحجامهن المختلفة في الحصول على ملابس مماثلة. وستعمل مصانع الملابس في سائر أنحاء العالم وقتًا إضافيًّا لإنتاج ملابس سباحة أرجوانية حتى تستوفي الطلب. وستتوقف الفتيات عن التساؤل: هل

بنطلون الجينز هذا يجعل مؤخرتي كبيرة؟ ولن تهتم الفتيات إذا ما كانت تبدو كبيرة أو صغيرة. وسيرتدين أي شيء يُرِدنه ويشترينه.

ابتسم، وكان في ثنايا ابتسامته شيء ما يحرك فيَّ الرغبة في الابتسام، ولكن لم أفعل، لأن هذا هو الفتى الذي فَطَرَ قلبي.

فعَلَّقَ قائلًا: «قد لا يبدو الأمر كذلك، ولكنكِ تبتسمين بالفعل».

جاك

لم أطق الانتظار إلى حين حلول عيد الميلاد (الكريسماس)، لذا فقد حَمَلتُ روبوت داستي إلى نهاية الممر المؤدي إلى غرفته، وطرقت الباب، فهتف قائلًا: «ادخل».

دفعت الباب لأفتحه، ولكني لم أدخل، لأنه فعليًّا لا يزال يقاطعني. وعوضًا عن ذلك، وضعت الروبوت على الأرضية وأرسلته إلى الداخل. وقد أسميته شيتكيكر[1]. إنه بطل خارق.

ودخل الروبوت يقطع غرفة داستي سريعًا، حيث قال: «مرحبًا يا داستي. أنا أكافح الأذى في كل مكان! دافع الأذى هنا لركل مؤخرتك».

هتف داستي: «مؤخرتي؟». ثم شرع في الضحك.

إنه الصوت الأفضل في العالم. مددت رأسي في الغرفة، وكان أخي الصغير يتقلب على السرير. ثم نهض من الفراش وهَبَّ واقفًا، وراح يدقق النظر إلى الروبوت من كل زاوية.

ثم رآني وعبس. ثم ضغطتُ على وحدة جهاز التحكم، وقال شيتكيكر: «أنا وأنت نواجه العالم يا داستي».

حدق أخي إلى الروبوت، وهزَّ رأسه، وقال: «كأنه تعرف عليَّ تقريبًا. كيف فعلتَ هذا؟».

---

(1) دافع الأذى. (المترجمة)

والحقيقة هي أن شيتكيكر لا يمكنه التعرف على داستي أكثر مني، ولكني بَرمَجتُه حتى لا يمكنه مناداة أحد باسمه إلا داستي. فالجميع لشيتكيكر داستي.

أجبته: «السحر. حتى يمكنه دومًا العثور عليك».

ثم ضغطت زِرًّا في الريموت، وقال شيتكيكر: «لا تكن مُزريًا». ثم ضغطت زرًّا آخر، فراح الروبوت يركل بساقيه، إلا إنه لا يركل أي شيء، إنه يرقص. ثم صدحت أغنية لفرقة جاكسون 5 من مكبر الصوت القديم في صدر شيتكيكر، وراح الآن داستي يجاريه في الرقص على أنغامها.

ناولت أخي الريموت، ثم رحت أرقص أيضًا. وبعد بضع لحظات، هتف داستي: «هل يحمل حقيبة يدوية؟». وبالتأكيد كان كذلك، لأن شيتكيكر يعرف أن هذا دأب الأطفال اللطفاء وحدهم. وراح داستي يصرخ فرحًا لهذا. والآن راح ثلاثتنا يرقص في الوقت نفسه. وقدر براعتي أنا وداستي، فلا شَكًّ، كان شيتكيكر الأفضل.

شيئان أفتقدهما بخصوص ليبي

كتبها جاك ماسيلين

• • •

1. الشعور الذي يغمرني وأنا معها. كأني قد ابتلعتُ الشمس وتُشِعُّ من كل فتحة في مسامي.
2. كل شيء.

بعد أربعة أيام

جاك

كان يتعين عليَّ أن أكون في منزل كام نحو الساعة التاسعة. وستكون كارولاين حاضرة، وسيكون الجميع حاضرين. ولا أرغب في رؤية الجميع –أو أي أحد في الواقع– ولكن هذه هي الطريقة التي يجب أن يسير بها الأمر، فقبل كل شيء أنا جاك ماسيلين، ولي سمعة أحافظ عليها.

تحممت وارتديت ملابسي، ونَفَضتُ شعري لأخَلِّصَه من الماء. وأخذت مفاتيح السيارة، وكدت أخرج من هناك، حتى أتى أبي (حاجبان كثيفان، وبشرة شديدة البياض، وقميص متجر ماسيلين) يلحق بي.

- مرحبًا يا جاك، أيمكننا التحدث إليك دقيقة؟

فكرت في كل عذر لأتحجج به: لديَّ موعد غرامي، وقد تأخرت بالفعل. (حقيقي). أظن أن السيارة تحترق (آمل ألَّا يكون حقيقيًّا). لا أريد التحدث إليك. (حقيقي. حقيقي. حقيقي). قلت: «بالتأكيد يا أبي، ما الأمر؟ ولكن سريعًا، فالسيدات لا يحببن أن يبقين تحت وطأة الانتظار». وكدت أضيف: *كما تعرف*.

- هذا أمرٌ جِدِّيٌّ يا فتى.

***

جلست أنا وماركوس وداستي على الأريكة متجاورين، وأمي قبالتنا على الأريكة العثمانية التي بحجم قارب صغير. وكانت تميل إلى الأمام ويداها على ركبتيها كأنها متأهبة للقفز في أي لحظة.

تنحنح أبي، ثم قال: «أنا وأمكم نحب بعضنا بعضًا حُبًّا جَمًّا. ونحبكم. وثلاثتكم تمثلون الحياة لنا، ولن نقدم على فعل شيء يسبب لكم الأذى». وراح يتحدث على هذه الشاكلة فترة، حول مقدار حبه لنا، ومدى كونه محظوظًا بعائلته الرائعة الداعمة، وكيف كنا نسانده جميعًا في مرضه، وليس بوسعه أن يعبر عن مدى تقديره لهذا.

في حين رحنا أنا وماركوس وداستي ننظر إلى أمي، لأنها هي من تطرح الأمور كما هي بلا مقدمات ولا حواشي. ولكنها لم تنبس ببنت شفة. ولم تنظر تجاهنا حتى، بل كانت تحدق إلى نقطة ما خلف أبي، الذي كان لا يزال يتحدث.

وفي الأخير، رفع داستي يده وسأل: «هل ستتطلقان؟».

اكفهَرَّ وجه أبي، ولم أستطع النظر إليه. وصمت الجميع تمامًا. وفي النهاية، قالت أمي بذاك الصوت الهادئ للغاية: «أعتقد أنا ووالدكم أنه من الأفضل لنا أن ننفصل بعض الوقت. إذ نحتاج إلى العمل على بعض الأمور في زواجنا. ولكن هذه الأشياء لا علاقة لها بكم».

ولم ينتهِ الكلام عند تلك النقطة، إذ كانت في جعبة داستي الأسئلة، ويرغب ماركوس في معرفة ما الذي يعنيه هذا لنا، مثل: أين سنعيش؟ وهل سيظل بإمكاننا الذهاب إلى الجامعة؟

وفي تلك الأثناء، كنت كالغريب -وأنا كالغريب دومًا، حتى لو كان العالم يتداعى- مُلصِقًا وجهي بالزجاج الذي يفصلني عنهم، وأنظر من خلاله.

لبي

كنا في طريقنا لإحضار آيريس، وكانت جايفي هي مَن تقود السيارة، لأنها الوحيدة التي تملك رخصة. وجلست أنا وبايلي على المقعد الخلفي، وقالت بايلي: «يقيم ديف كامينسكي حفلة الليلة، وقد وعدت أني سأزورهم زيارة سريعة. فترةً قصيرةً جدًّا».

نظرت جايفي إلى عينَيَّ في المرآة، ثم قالت: «لبس؟ القرار نوعًا ما يرجع إليكِ».

فقالت بايلي: «لن يكون جاك حاضرًا».

سألت: «كيف عرفت؟».

- إنه في الواقع لا يذهب إلى الحفلات.

أوقفنا السيارة أمام بيت آيريس، ولكن لم تكن تقف في مكان حيث يمكن رؤيتها. أرسلت إليها جايفي رسالة نصية سريعًا، وجلسنا في السيارة. ولمَّا لم تظهر، راحت جايفي تشتم بصوت منخفض، ثم قالت: «سأعود إليكما». وتركت المحرك يعمل، وذهبت تقطع الممشى.

قالت بايلي بينما تنظر إليَّ وترفع حاجبيها عاليًا، ويفتَرُّ فمها عن شبه ابتسامة، وعيناها واسعتان لامعتان: «لبس؟».

- لا بأس.

لأني قصدت، لِمَ لا؟ ما الذي سأخسره؟

وحينها، ولأني لن أخسر شيئًا، قلت: «لِمَ لَمْ تدافعي عني حين تُنُمِّرَ عليَّ؟ في الماضي، في الصف الخامس. عندما شرع موسيز هانت في منعي من

دخول باحة اللعب. لِمَ لَمْ تفعلي شيئًا؟ أو حتى تأتي للحديث معي؟ لقد وقفت هناك كل يوم خائفة، خائفة حتى من وضع قدم واحدة في باحة اللعب، ولم تأتي ولو مرة واحدة للحديث معي».

قلتها بطريقة عملية. ولم أُظهِر أي مشاعر، ولا حتى كنت محبطة. لقد أردت حقًّا أن أعرف. في البداية، لم أكن متيقنة من سماعها لي. ولكن رجع حاجباها إلى مكانيهما، واختفى شبه الابتسامة الذي كان على وجهها. وخبا اللمعان الذي كان في عينها.

- لا أعرف يا لبس. أظن أني أخبرت نفسي بأننا كنا صديقتين، ولكن لسنا صديقتين مقربتين، وأنه يبدو أنكِ كنتِ بخير. وأنتِ لا تزالين هكذا. تصل إليكِ الرسائل من شخص بغيض، وتتجاهلينه، ويخبركِ جاك أنه ليس بوسعه الخروج معكِ، وأنتِ كأنك تقولين لا بأس.

- ولكن كان الأمر مهمًّا في ذاك الوقت، وكان هذا جليًّا نوعًا ما، ولكن لم يفعل أي أحد أي شيء.

- وانتابني شعورٌ سيئ لأني لم أفعل، ثم ذات يوم اختفيتِ. ولم تعودي مجددًا.

- ألهذا أنتِ لطيفة معي الآن؟

- هذا هو السبب الذي أتيتُ من أجله وحييتكِ في اليوم الأول من الدراسة، ولكن ليس هذا هو الداعي لكوني لطيفة معكِ. أنا لطيفة معكِ لأني أحبكِ. وأنا أعبر لكِ عن أسفي البالغ لأني لم أكن الصديقة الصالحة حينها.

ولم يغير هذا شيئًا، إلا إنه كان كافيًا.

قلت: «كان بوسعي أن أكون صديقة أصلح كذلك. كان بمقدوري الحديث معكِ. كما كان بوسعي إخباركِ بما أشعر». ثم حضنتني، واستنشقتُ رائحة شعرها، الذي كانت له رائحة قوس قزح وفطيرة الخوخ، تمامًا كما يتوقع المرء أن تكون رائحة شعر بايلي بيشوب.

***

وعندما دخلنا إلى منزل ديف كامينسكي، كان مايك القادم من كوبنهاجن أول من وقعت عيناي عليه. كان في غرفة المعيشة، يرقص في تلك الحلقة من

الفتيات، وكان شعره الأسود يلمع عاكسًا اللونين الأزرق والأسود مثل ريش الغراب. وبجانبي، هتفت جايفي بذلك الصوت الأجش: «مرحبًا يا مايك القادم من كوبنهاجن». ثم تظاهَرَت بالإغماء بين ذِراعَي آيريس.

تَبِعتُ بايلي سائرتين في الحشد، ولم يبدُ منزل ديف كامينسكي كمنزل، بل مسكن للشباب من نوع ما. وكان بالمعنى الحرفي للكلمة يعج بالكثير من الناس، لدرجة صَعَّبَت علينا التحرك. كانت الموسيقى عالية جدًّا، ولا يَأْلُو الناس جهدًا في الرقص، ولكن كان أشبه بالقفز علوًّا وهبوطًا في المكان.

أول حفل لي في المدرسة الثانوية.

كانت الموسيقى عذبة، لذا رحت أهزُّ خاصرتَيَّ قليلًا بينما أمشي. ولما صدمت شخصًا ما بالمصادفة، صاح: «انتبهي!».

فأقنعت خاصِرَتَيَّ بأن تحافظا على ثباتهما وتتأدبا. ثم في نهاية المطاف دخلنا إلى غرفة تناول الطعام، حيث كان ديف كامينسكي يلعب القمار مع مجموعة من الشباب وبضع فتيات. فذهبت بايلي إلى ديف وهمست له بشيء في أذنه، ثم فجأة، أمسك بها حتى جلست على حجره، وراحت تضحك وتتظاهر بضربه، ثم حضنته وعادت إلينا، ثم قالت: «ديف سعيد بوجودكِ هنا».

قلت: «على ما يبدو».

ثم نظر ديف كامينسكي إلى عينَيَّ وأومأ إليَّ تلك الإيماءة، وكان فيها شيء أشبه بالاعتذار.

جاك

كنت أنا وكارولاين (بشرة داكنة، ورائحة كالقرفة، وشامة بجانب عينها) في غرفة أخت كام. وكان كل شبر من الجدار بالمعنى الحرفي للكلمة مُغَطًّى بملصقات لفرقة بوي باريد، لذا كان الأمر أشبه بالجلوس في قلب ساحة صغيرة تعج بشباب في العشرين من أعمارهم. كانت وجوههم في كل مكان، وأعينهم مثبتةً علينا. وكانوا يبتسمون تلك الابتسامات البيضاء غير الطبيعية، التي كانت تشع في الظلام.

لقد ظَنَّت أني جلبتها إلى هنا حتى أتغزل فيها، ولكن عوضًا عن ذلك، أخذتُ أحاول آخر مرة معرفة إذا كان بوسعي أن أخدع كارولاين اللطيفة للاعتراف وخوض محادثة تظهر فيها ذاتها الحقيقية، لأني أفتقد ليبي، وأفتقد الحديث إلى شخص مثلما أتحدث إليها.

بعد ذلك الوقت كله، بات الروتين الذي نتبعه أنا وكارولاين محفوظًا، حتى حين قريب، فقد حاولت أن أتقرب منها أول مرة، ثم تخففت هي من ملابسها، لأنه لم يكن مسموحًا لي حتى لا أخرب لها تسريحة شعرها. وما يتبع ذلك هو أننا نكون على وشك الاقتراب بعضنا من بعض، ثم أحتضنها فترةً قصيرة، ثم سأستلقي هناك متسائلًا: متى؟ متى؟ متى؟

في الأغلب لا يكون قلبي حاضرًا في ذلك، بل جسدي وحده، ويواكب عقلي الأمر أحيانًا بأن يغدو خاويًا. ولكن كان عقلي حاضرًا الليلة. فشأنه شأن السيد ليفين، يريد أن يعرف لِمَ. *لِمَ تفعل هذا؟ لِمَ حتى تجلس هنا مع تلك الفتاة؟ لِمَ ينتهي بك الأمر مع هذا الشخص على الدوام؟ لِمَ لا تتوقف يا جاك فحسب؟ لِمَ لا تعيش حياتك وتكون على طبيعتك؟*

وهو ما دفعني إلى السؤال: «ما أجمل شيء حدث لكِ؟».

رمشت لي وقالت: «مفترض بي أن أقول: «جاك ماسيلين»، أليس كذلك؟».

- فقط إذا كان حقيقيًّا يا حبيبتي. هيا، أريد أن أعرف. في سابق عمركِ كله، ما أفضل شيء حدث لكِ؟

قالت: «لا أعرف، ربما ميلاد كلوي». كلوي هي أختها الصغيرة.

- ما أسوأ شيء قد حدث؟

- أن صَدَمَت السيارة قطتي دامون.

كان أسوأ شيء حدث لي هو تخريب علاقتي بليبي ستراوت، ولكن قلت: «لا بد وأن هنالك شيئًا آخر».

- لِمَ؟

- لأن من دأبك أن تكوني مختلفة، وخجولة، وهادئة، ومرتبكة.

- رَبَّاه، لا تُذَكِّرني.

- حسنًا، ما الشيء الذي لا يعرفه الناس عنكِ؟

عبست تجاه السرير، ثم قالت: «أكره اللون البني. ولا أحب السلاحف. وخَلَعتُ ضرس العقل عندما كنت في عمر الرابعة عشرة».

ممل، وممل، وممل. كدت أقول: *أعاني خللًا في دماغي، الذي يحول بيني وبين التعرف على الوجوه. مفاجأة! هاهاهاها.*

ولكن بدلًا من هذا، طرحت عليها سؤالًا آخر، ثم آخر. وكانت طوال الوقت تجيب بهذا الصوت الرتيب الفاتر، وتتحسس اللحاف وتشده.

وفي أثناء حديثها، كنت بالكاد أصيخ سمعي لإجاباتها. ولكن بدلًا من ذلك، رحت أقول في نفسي: *كلُّ هذا الوقت، حسبتها مصدر أمان، ولكن لم يكن ثمة أمان. فكيف يكون هنالك أمان في حين أنها لا تراني أكثر مما أراها؟ وقد أكون وحيدًا كذلك.* وبالتأكيد كنت وحيدًا.

ثم فجأة، تخففت من ملابسها وأتت بحركات الإغراء تلك. فمنذ بضع سنوات، كانت هذه الحركات تحركني.

وكنت على وشك قول شيء من قبيل: رجاءً، *ارتدي قميصكِ.* إلى أن حدث هذا التغير أمام ناظرَيَّ، وتحولت كارولاين إلى اللون الأبيض الشديد، وامتلأ

جسمها حتى لم تعد تجلس هناك. بل كانت ليبي ستراوت، تميل إلى الخلف على ذراع واحدة، وتشد شريط ملابس السباحة الأرجواني الزاهي. ولكنها كانت تتكلم، وتحكي لي، وتضحك، وتطرح عليَّ الأسئلة، وكنت أتحدث. ثم قامت، ومالت إلى الأمام، وراح كلانا يتحدث، حتى قالت: «حسنًا، مرحبًا!». ثم فرقعت بإصبعيها في وجهي.

وعادت كارولاين ثانية.

حدقت إليها آملًا أن تعود ليبي ثانية. ثم هتفت: «ما مشكلتك؟ لِمَ تتصرف بغرابة؟». وكانت هناك بملابسها المغرية، ولم يكن ثمة شخص في مدرسة مارتن فان بورين لا يريد أن يكون مكاني الآن، حتى أولئك الذين يخافونها. وضعت يدي على ساقها، وكانت ناعمة، ولها ملمس كالحرير، وكلُّ ما جال بخاطري كان: *لا أحب كارولاين. أنا حتى لست مُعجَبًا بها.*

حاولت إرغام نفسي على التفكير في أشياء أحبها في كارولاين في اللحظة الآنية، ولكن كان يوجد شيء وحيد.

لها رائحة طيبة، وأسنانها في غاية... ااا... التساوي. وعيناها لا بأس بهما. وفمها جميل.

وأقصد... هذا حسب ظني. لكن الهراء الذي تتفوه به؟ ليس لطيفًا أبدًا. فليبي لديها أشياء مثيرة للاهتمام تقولها، ولا تنم عن القسوة والأنانية.

فقلت لعقلي: *لِمَ تفعل هذا؟ لِمَ لا تتوقف عن التفكير في ليبي؟ لِمَ أنت حاضرٌ معي بحق الجحيم؟*

وفي جلوسي هنا، وبينما كنت أجري هذه المحادثة العميقة مع عقلي، هتفت كارولاين: «أظن أني جاهزة».

- لماذا؟

- للأمر.

كنت أحاول النظر إلى عينيها، ولكن كانت الغرفة مظلمةً إلا من الضوء الذي يتسرب من تحت الباب، ومن هاتفها، الذي يضيء بين دقيقة وأخرى بفعل الرسائل الواردة.

فقالت: «*الأمر*. العلاقة الحميمية يا جاك. أنا مستعدة للبدء فيها. معك». ثم هنا ظهرت طريقتها: «*إلا إذا كنت لا ترغب في ذلك*».

لقد رغبت في هذا منذ يوم ميلادي، ولكن لسبب غير مفهوم، سمعت نفسي أقول: «لِمَ الآن؟».

- ماذا؟

- لِمَ أنتِ جاهزة فجأة الآن؟ بعد كل هذا الوقت؟ ما الذي قد تغير؟

على ما يبدو، قد غدا لفمي عقلٌ خاصٌ به، لأنه لم يكف عن الكلام. وراحت أعضائي الرجولية تهتف: كف عن الكلام أيها الأبله! اخرس! ولكن فمي لم يكن يصغي. لِمَ لا يصغي؟

- هل ستتجادل معي حيال أمر كهذا؟

رددت: «أهذا هو المكان الذي تودين فعل الأمر فيه أول مرة؟ أقصد، انظري إلى ما حولك». وأشرت إلى الجدران الملآنة بالملصقات. وأخرجتُ دميةً محشوةً من تحت ظهري، ولَوَّحتُ بها في وجهها، وقلت: «لن تكون لكِ رغبة في فِعلِ هذا على مرأى من هذا الرجل الصغير، أليس كذلك؟».

قالت: «هل تمزح معي؟». ثم دفعتني دفعةً شديدةً أطاحت بي عن السرير.

ليبي

كنت أرقص أنا ومايك القادم من كوبنهاجن، وكان شعره يومض بالأسود المائل إلى الزرقة، مرارًا وتكرارًا، وتشع ابتسامته بياضًا، مرارًا وتكرارًا. كنا نخترع الرقصات بينما نرقص. في الواقع كنت أنا من أخترعها، وكان هو من يحاول مواكبتي، فقلت: «أسمي هذه ماكينة الرياح!». ثم مثلت أني أشق طريقي في خضم عاصفة هوائية. «وأسمي هذه أحذية مشتعلة!». رُحتُ أقفز كأن حذائي مشتعل، ولا أريده أن يلمس الأرض.

لما بدأت أغنية ذات إيقاع بطيء، مدَّ إليَّ يده، وأمسكت بها. كان الرقص معه مختلفًا عن الرقص مع جاك. لسبب من الأسباب: كان فارع الطول، لذا كان وجهي ملتصقًا بصدره. لسبب آخر: إنه يتمايل فحسب إلى الخلف وإلى الأمام، ويجرجر قدميه.

توقفي عن التفكير في جاك ماسيلين. جاك الذي لم يرغب فيكِ، ولا حتى بالقدر الكافي ليمنح الأمر فرصة. ركزي على مايك القادم من كوبنهاجن، وأسنانه البراقة، ويديه الكبيرتين.

ولمَّا قال مايك: «تعالي معي»، ذهبت معه. وبينما تشاهد بايلي فاغرة فمها من الذهول، تبعته صاعدة الدرج إلى الغرفة التي لا بد أنها غرفة نوم ديف كامينسكي. أضاء مصباح المكتب، وجلس على السرير. ووقفت على مدخل الغرفة أحدق إليه. وتبادلنا الابتسام، ثم قال بصوتٍ عالٍ كفاية حتى يمكنني سماعه على طول البعد الذي بيننا: «كنت أتساءل إنْ كان بوسعي تقبيلكِ. لطالما أردتُ ذلك، منذ اللحظة التي رأيتكِ فيها».

وعلى الرغم من أنه ليس جاك ماسيلين، أو ربما لأنه ليس جاك ماسيلين، مشيت في الغرفة وجلست بجانبه، وفجأة رحنا نتبادل القبل.

كانت عنقي ملتوية، وأريد أن أحركها، ولكن لا أريد أن أحركها لأني كنت مع مايك القادم من كوبنهاجن. والآن أُصيبت رقبتي بتشنج، لذا فقد اعتدلت قليلًا. والآن أُصِبتُ به في ربلة ساقي. كان الألم *الأسوأ في حياتي*، ولكن ثمة فتى وسيم هنا بصحبتي، لذا فلم أقطع الأمر.

ورغم حقيقة أن جسدي كله لم يعد قادرًا على التحرك، وأني أعاني ألمًا شديدًا، فإنه بارع فيما كان يفعله. ورحت أخمن أنه قد تَمَرَّس كثيرًا بالأمر، لأنه على ما يبدو يستعرض مهارته قليلًا. وهو يفعلها كأنه كبير خبراء سيرك ما. ولا تُخطئوا فهمي، فلا تشوب الأمر شائبة. ربما كانت تلك طريقة التقبيل في كوبنهاجن. وربما كان على الأرجح يُقَبِّلُ الناس بمثل هذه الطريقة منذ أن كان في عمر الثانية.

ثم انتهت القبلة، وابتعدنا بعضنا عن بعض. وشعرت برغبة مُلِحَّةٍ غريبة في الثناء عليها، إذ بدا أنه يتوقع ذلك، إذ قال: «عجبًا».

قلت سريعًا: «أجل، عجبًا». لأنه ما البديل الذي يمكنني قوله؟ *في المرة المقبلة لا تحاول بشدة. وأيضًا اسمح لي حتى أمشي لأتخلص من هذا التشنج.*

- هل زُرتِ الدول الاسكندنافية من قبل؟

أجبت: «لا. لم أزر أي مكان خارج أوهايو». وتساءلتُ حينها إذا كان يعرف أني قضيت فترة من عمري حبيسة في منزلي.

- عليكِ الذهاب في وقت ما.

ولكن ما سمعته: *ربما آخذكِ إلى هناك. ربما نعود، وسأريكِ موطني، ويمكنكِ مقابلة أقاربي، وسأحبكِ إلى الأبد.*

وحتى رغم أني لا أريد التقاء أقاربه، ولا أريده أن يحبني إلى الأبد، قَبَّلْتُه ثانيةً. لأنه في تقبيلي إياه لا توجد أضخم مراهقة أمريكية، ليس الليلة على الأقل. فلا رافعات ومستشفيات، ولا أم ميتة، ولا موسيز هانت. والأهم من هذا كله، لا يوجد جاك ماسيلين. لا يوجد إلا أنا فحسب. وهذا الفتى. وقبلة.

جاك

لَمْ أرَ كارولاين تبكي من قبل، لذا جلستُ هناك فترةً يُعييني الغباء تمامًا، وأحاول تخمين ما عليَّ فعله. كانت مصابة بالفواق، وتلهث، كأنها تحاول التقاط أنفاسها. ورحت أربت عليها كأنها كلب، إلا إنها تجاهلتني.

قالت: «لِمَ لا ترغب فيَّ؟». وبدا من صوتها أنها ضئيلة، كأنها قد طوت نفسها إلى نصفين، ثم إلى نصفين آخرين، ثم إلى آخرين. وأردَفَت: «ماذا صدر مني؟». وقد زِدتُ في غبائي الآن، لأن هذا جانب من كارولاين لم يظهر لي من قبل. *أيُعقَلُ أنها لديها من المخاوف ما لدينا؟*

أجبت: «أنتِ جميلة. أنتِ كارولاين أميليا لاشامب». ولكن لم يكن هذا محور سؤالها. *أخبرها أنك ترغب فيها*. غير أني لم أقدر، لأني لست كذلك، ليس على هذا النحو. شرعت في النهوض بصعوبة على يدَيَّ، وحاولتُ بكل ما في وسعي وطاقتي. ورحت أكرر عليها مرارًا وتكرارًا من تكون، وكم هي جميلة، حتى بينما كانت ترتدي ملابسها، حتى وهي تأخذ هاتفها. حتى وهي تقول: «لا يسعني الاستمرار في هذا». ثم فَتَحَت الباب عن آخره سريعًا، ما سمح للضوء بأن يتسرب إلى الداخل، فتغشاني إحساسٌ مؤقت بالعمى. وحين صِرتُ قادرًا على الرؤية مجددًا، كانت قد رحلت.

ليبي

تبادلنا القُبَلَ على ما يبدو ساعات.

وواصلنا ذلك حتى عندما دخل أحدهم الغرفة مصادفةً وأعمى أعيننا بالأضواء التي تعلو رأسينا ثم خرج ثانيةً.

وطال بنا الأمر، إلى أن قلت في نفسي: *لا أريد أن أكون بولين بوتر، ولا أريده أن يكون أول حبيب لي. ولا أريده أن يكون لي أي شيء.*

لذا ابتعدت، وقلت: «آسفة يا مايك القادم من كوبنهاجن، أنا لست بولين بوتر».

فرجع إلى الوراء وقال: «مَن؟».

- لا عليك. أظن أني أحتاج إلى مشروب. آسفة، لا أريد الاسترسال في هذا.

وتوقعت نوعًا ما أن يتحطم، إلا إنه هَزَّ كتفيه فحسب، وابتسم في وجهي، وقال: «حسنًا».

ساعدني على النهوض. وخَرَجنا بينما أُمَلِّسُ شعري وأضبط قميصي. مشيتُ وراءه، وحتى رغم أني قد أحجمت عن تقبيله، فمايك القادم من كوبنهاجن لطيف للغاية، ولم أقوَ على منع نفسي مما يجول بخاطري. *أنتِ مرغوبة يا فتاة.* وكان هذا شعورًا غاية في الروعة.

جال

التقيت كام في المطبخ، وكان يتجَرَّعُ أكوابًا صغيرة من الكحول بسرعة. وكان شعره الأبيض ملتصقًا برأسه، وإحدى ذراعيه تحوط فتاة قد تكون كيندرا وو. (صغيرة البنية، وآسيوية، وشعر أسود طويل ومُضَفَّر). فقلت: «ما الذي تشربانه؟». ناولتني الفتاة التي قد تكون كيندرا شيئًا بنيًّا لا يشبه البيرة.

فارتَشَفتُه في جرعة واحدة، فأحسست بأن المريء يحترق كأني قد استنشقت بنزينًا. ثم قلت: «آخَر».

فراحا كلاهما يناولانني كؤوسًا صغيرة منه.

أفرغ كام كأسه ووضعها على طاولة المطبخ، وضرب بقبضتيه في الهواء وصرخ بحماس.

***

بعد فترة قصيرة، شققت طريقي في الحفل، باحثًا عن صاحب قصة شعر الموهوك، لأني ثمل للغاية لأن أقود عائدًا إلى المنزل، وفجأة اعترتني رغبة في العودة إلى المنزل. أردت العودة إلى المنزل الآن. وجدت صاحب قصة الموهوك برفقة أحدهم، الذي على الأرجح هو سيث، بالخارج بالقرب من بركة السباحة. في هذه اللحظة، لم آبه للانتظار والترقب حتى أتأكد أنه هو. لذا فقد مشيت مباشرة إلى أحدهم الذي على الأرجح هو سيث، وقلت: «أحتاج إلى توصيلة إلى المنزل».

وراح يقول: «بالتأكيد. بالتأكيد، يا ماس. تريث، حَالَما ننتهي». ورفع سيجارة حشيش وسحب منها نفسًا، ثم شرع في الضحك دون سبب وجيه.

شددت السيجارة من يده وسحبت نفسًا، لأن هذا قد يكون سر الحياة الكامن هنا. ربما سيمنحني هذا الإجابات. وعوضًا عن ذلك، انتهى بي الأمر أسعل كرجل عجوز مدة خمس دقائق كاملة. ناولني أحدهم مشروبًا حتى يزيل أثرها. ثم راح المسبح يتمايل، والأرض تتمايل، وعلى حين غرة، غدت السماء مكان الأرض، ومال فوقي فتى بتسريحة الموهوك، وهتف: «هل أنت بخير يا رجل؟».

أغمضت عينَيَّ، لأنه لا، لم أكن بخير. أردت أن أبقيهما مغمضتين وأخلد إلى النوم، هنا، على السماء التي حلت محل الأرض. ولكن أخذ العالم يتمايل أسوأ فأسوأ وهما مغمضتان، ففتحتهما ثانية. وبطريقة ما، تمكنت من الوقوف على قدمَيَّ. وكان الأمل الباقي لي هو أنه ربما تكون بايلي بيشوب موجودة هنا، لأنها لا تحتسي الكحوليات. ولكن ليس من دأبها الإتيان إلى الحفلات، إضافة إلى أني لن أجدها أبدًا في هذا الجمع الحافل بالفتيات الشقراوات. رجعت إلى الداخل، وبدا أن المنزل يعج بالمزيد من الناس، وكأنه قد حضر كل الطلاب الموجودين في ثلاث مدارس ثانوية أخرى حينما كنت بالخارج عند المسبح.

لم أكن أعرف أي أحد.

اندفعت في طريقي نحو المطبخ، وغرفة تناول الطعام، وغرفة المعيشة. وصاح بي الناس، وأمسكت بي فتاة، وتشبثت بذراعي كأنه قارب نجاة. كانت رائحتها تشبه رائحة كارولاين، إلا إنها لم تكن كارولاين؛ كانت نحيفة وبيضاء، ولها شعر أصفر فاتح. ثم قالت: «يا إلهي، جاك ماسيلين!». ثم طبعت قبلة على فمي.

كان مذاقها كالسجائر، فدفعتها بعيدًا، فقالت: «ماس الأحمق». واستدارت وراحت ترقص مع الأشخاص الواقفين بجانبها.

أخذت أخرق كل قاعدة كنت قد وضعتها لمثل هذا النوع من المواقف، فلم أبتسم، أو أومئ، أو أقُلْ: مرحبًا، كيف الحال؟ ولم أُلاطف كل فتاة. ورحت أنظر إلى الأعين، وكأني على حين غرة كنت سأقدر على معرفة من يكون كل واحد. (لم أعرف). إذ حدقت إلى أحد الفتيان طويلًا، حتى قال: «ما الذي تنظر إليه بحق الجحيم؟». إلا إني لم آبه لذلك، كنت متأججًا بالطاقة والحماس، إذ ساورني شعور بأني أفعل شيئًا ما خطيرًا، *كأنهم في أي لحظة سيعرفون.*

زادت مساحة الغرفة التي كنت فيها الآن مقدار ثلاثة أضعاف، وتباعدت الجدران. وكان الناس كأنهم يصلون من هنا إلى القمر، ولن أقطع طريقي

من بينهم جميعًا. كنت أشعر كأني نجم روك، يجذب أُناسٌ غرباءٌ تمامًا عني قميصي، وذراعَيَّ، ويجذبونني. رحت أدفع نفسي في الحشد، لأنه لا بد أن يكون الباب موجودًا في مكان ما هناك، وجل ما كنت أحتاج إليه الآن هو الهواء، إذ كانت رئتاي ممتلئتين بروائح الدخان، والمشروبات الكحولية، وكانت أذناي تضجان بصوت الموسيقى بوم بوم بوم، ويعج عقلي بكل تلك معلومات التي لا يستطيع معالجتها.

بمقدوري *أن أقود بنفسي إلى المنزل*. عدا أني سكير، ولا يمكنني، ولن ولا ينبغي لي ولن أقود.

سألت أحدهم: «أين الباب؟».

رَدَّ صارخًا: «ماذا؟».

سألت صارخًا أنا كذلك: «أين الباب؟».

قال بينما يومئ برأسه: «من هناك يا رجل».

وبينما أستدير، تعثرت بي فتاة، وكدت أفقد توازني. فأمسَكَت ذراعي، وأخذت تضحك وتضحك. ثم قالت: «آسفة!». وأمسكت يدي وراحت تدور على أنغام الموسيقى، ولكني أفلَتُّها.

كان الهواء خانقًا لا يُطاق، حتى يكاد الأكسجين ينفد، فلم يعد يوجد هواء كافٍ. وكنت أتخيلنا جميعًا راقدين بلا حراك، كأتباع طائفة ما بعد انتحارٍ جماعي. أحتاج إلى الوصول إلى نافذة، أو إلى باب، ولكن كانت هذه الغرفة وهؤلاء الناس وتلك الموسيقى يبتلعونني. كيف لا يفزعون؟ بدا الجميع سعداء، كأنهم يقضون أفضل وقت في حياتهم. كيف لا تضرهم *قلة الهواء هنا؟*

ولا أتذكر أن منزل كام كان كبيرًا بهذا القدر أو التعقيد، إلا إنه بدا كبيرًا جدًّا، فقلت للشخص الذي بجواري: «مرحبًا، كيف يخرج المرء منا من هنا؟».

- ماذا؟

- أين الباب؟

- لقد أخبرتك لتوي بمكان الباب بحق الجحيم.

كانت هذه أسوأ ذكرى ديجا فو مررت بها. ماذا لو احتبست هنا إلى الأبد محاولًا العثور على طريق للخروج، وقُدِّرَ عليَّ أن أخوض المحادثات ذاتها، والتعاملات نفسها مرارًا وتكرارًا؟

في تلك اللحظة، راودتني رغبة في الاستسلام وترك الجَمعِ يحملني، حتى نتحرك كجسد واحد ضخم به المئات من الأيدي، والأرجل، والأفواه، والأعين. وكان وزنه سيخنقني، أو يسويني بالأرض، إلى أن أكون نحيفًا كلعبة مصنوعة من الورق، ثم حينها سيحملونني إلى الخارج، حيث يمكنني أن أطفو في النسيم العليل، أو أتطاير إلى تحت شجيرة وأرقد بسلام إلى الأبد.

أغمضت عينَيَّ، ولمَّا فتحتهما ثانيةً رأيته، وراء الجمع تمامًا، الباب الأمامي. كنت أشق طريقي إلى الباب لَمَّا صادَفتُ كارولاين. أؤكد أنها هي. القميص الأسود نفسه، وبنطال الجينز عينه. فاستَدَارَت، ولم أرَ الشامة، إلا إني أقنعتُ نفسي أنها لا بد قد أُزيلَت عندما لبست قميصها، أو ربما وهي ترقص. وقبل أن تستطيع قول أي شيء، جذبتها وقبلتها.

يمكنها أن تقود السيارة وترجعني إلى البيت. ستخرجني من هنا، وسأعتذر لها، ويمكنها أن تكون هي صاحبة العفو، وستكون كل الأمور على ما يُرام.

كانت قبلة طويلة، من أفضل قبلاتي على الإطلاق. وحتى بينما أفعل ذلك، عرفت أن هنالك خطبًا ما. إلا إني واصَلتُ فعل هذا. ولما ابتعدت في نهاية المطاف، قلت: «هذا مقدار افتقادي إياكِ».

ليبي

أشارت آيريس إلى الاتجاه المقابل من الغرفة، وقالت: «أهذا جاك؟».

استدار أربعتنا كأننا شخص واحد في الوقت المناسب، لنرى جاك ماسيلين يُمسِكُ بفتاة ويشرع في تقبيلها.

وراحت صديقاتي ينظرن إليَّ واحدة بعد الأخرى، ثم أدركت أن يدي كانت تطوق فمي. كنت ألمس الشفاه التي لثمها مايك القادم من كوبنهاجن مؤخرًا، وكل ما جال بخاطري هو أن جاك حر في تقبيل من يشاء. إلا إني لا ينبغي لي الوقوف هنا ومشاهدته.

اندفعت سالكة طريقي تجاه الباب الخلفي، بعيدًا عن جاك والفتاة. كان بمقدوري سماع بايلي تنادي اسمي، ولكني لم أتوقف، فلا يمكنني التوقف، ولا يمكنني التنفس.

بالخارج، خرجت إلى هواء الليل العليل، واندفعتُ قاطعةً طريقي، متجاوزةً كل المتجمعين هناك، حتى وصلت إلى الزاوية، وعندها غدا الليل هادئًا فجأة، وصرت وحيدة. مِلتُ لأستَنِدَ إلى المنزل وأملأ رئتَيَّ بالهواء.

جاك

عَلَت وجه كارولاين النظرة الأغرب على الإطلاق بينما تحدق إليَّ. ثم فجأة، ثمة اثنتان منها، اثنتان من كارولاين، واقفتان جنبًا إلى جنب. قميصان أسودان متطابقان، وبنطالا جينز متطابقان. إلا إن تلك الأخرى لها شامة بجانب عينها.

انتهت الأغنية، وحلت على المكان لحظة الهدوء القصيرة تلك، فهتفت صاحبة الشامة تلك: «يا لك من حقير!». ثم حينها بدأت الموسيقى ثانيةً، ولكن الآن قد صار الجميع ينظر إلينا.

ثم شرعت في البكاء ثانيةً، وأصابها الفواق والانتحاب، وعرفت في صميمي أن هذه كارولاين، وليست الفتاة الأخرى، الفتاة التي ليست لها شامة، الفتاة الواقفة هناك لامعة العينين، وفمها معوجٌ إلى الأعلى في عبوسٍ زائف. ويمكن للمرء أيما كانت هذه الفتاة -ابنة العم على الأرجح- لقد كانت مستمتعة بهذا غاية الاستمتاع. أردت أن أقول لها: *إنها من عائلتكِ. لتكن بكِ بعض الشفقة.* ولكن كان هذا سيبدو سخيفًا لو صدر عني، أليس كذلك؟

لذا فعلت الشيء الوحيد الذي كان بوسعي. مشيتُ في الغرفة، وأوقفت الموسيقى، وقلت للغرفة بأكملها: «أنا أعاني اضطرابًا عصبيًا نادرًا، يُسَمَّى عمى التعرف على الوجوه. بمعنى أني لا أملك القدرة على التعرف على الوجوه. بمقدوري رؤية وجهك، ولكن بمجرد أن ألتَفِتَ بعيدًا عن وجهك، فإني أنساه. ولو أني حاولت أن أفكر في كيف تبدو، لم أقدر على تكوين صورة لك، وفي المرة التالية التي سأراك فيها، سيكون الأمر أشبه بعدم رؤيتي إياك من قبل».

هبط على الغرفة صمت كصمت القبور. وحاولت العثور على كارولاين في الجمع، حتى أرى التعبير الذي يرتسم على وجهها. حاولت إيجاد أي أحد أعرفه، ولكن كل شخص هنا كان كالغريب. كانوا جميعًا كحائط من الصخور، قطيع إحراج من الباندا، ويتسرب هذا من واحدٍ إلى آخر. عَلَت دقات قلبي، وتخلل صوتها أذنَيَّ حتى امتلأتا به. وأدركتُ أني أرتجف، فدسست يدي في جيبي حتى لا يراها أحد. *قولوا شيئًا. أي أحد.*

ثم صرخ أحدهم قائلًا: «لتذهب بعيدًا يا ماس. اللعنة». وراح الناس يضحكون، ويفقدون توازنهم بفعل الضحك. وصدحت الموسيقى ثانيةً، وتوجهت فتاة ما نحوي وصفعتني على وجهي، إلا إني ليست لدي أدنى فكرة عَمَّن تكون. لقد كانوا يعتقدون أن هذه مزحة، لقد كانوا يعتقدون أني مزحة. وكان بمقدوري رؤيتهم يشرعون في الانصراف عني.

كانت الأفلام الوحيدة التي استمتعت بمشاهدتها حقًا هي أفلام الرعب القديمة بالأبيض والأسود. قد أكون أعاني خللًا يحول بيني وبين التمييز بين الناس، إلا إنه يمكنني التعرف على الرجل الذئب، وكينج كونج، ودراكولا، والمخلوق الآتي من الفضاء الخارجي.[1] والآن، كنت أنظر إلى مجموعة من القرويين –متشابهي الوجوه– مسلحين بالهراوات والمصابيح، ومتأهبين لمطاردة فرانكشتاين الوحش، لدفعه من فوق الجرف. عدا أني كنت الوحش.

اندفعت قاطعًا طريقي من بينهم، إذ لم تعد لي أي حيلة. والتفوا ليحدقوا إليَّ بينما أشق لنفسي طريقًا لأصل إلى الباب الأمامي، ووضع أحدهم قدمه أمامي لأتعثر، وقال آخر: «انظر إليَّ، ليس بمقدوري رؤية الوجوه». وراح يمشي كالمومياء، مادًّا ذراعيه أمامه، وأخذ يصطدم بالجدران والناس. وألقيت بنفسي على الباب، وسحبته بقوة لأفتحه. وبينما أحاول التَفَلُّت من الشخص الضخم الواقف على عتبة الباب، باغتتني ضربة بقوة شهاب ساقط صغير بين عظمتي الكتف، فاندفعت أطير في الهواء. ثم وقعت في الباحة على رُكبَتَي، واستغرق الأمر مني برهة حتى أفيق من أثر المفاجأة والألم. ومُدَّت إليَّ يد، فأمسكتها دون تفكير، فعاونتني على النهوض، وحينها فقط رأيت أن اليد تنتمي إلى الشخص الضخم نفسه.

---

(1) بالإنجليزية: Wolf Man، وKing Kong، وDracula، وThing from Outer Space. (المترجمة)

فهتف: «أهلًا، يا ماس. تبدو في وضعٍ مُزرٍ. لا بد أنها ليلة سيئة. وهي على وشك أن تزداد سوءًا».

ثم لكمني، وراحت قبضتاه تأتيان تجاهي سريعًا جدًّا، حتى إني لم أقدر على خفض رأسي، سريعًا جدًّا، حتى لم أقدر على التحرك. وراحت قبضتاه ترتطمان بعظامي مرارًا وتكرارًا، أو ربما ليس هو الوحيد الذي يلكمني. وفجأة، سمعت نفسي أقول: «المزيد من الوزن».

ثم هبط الظلام على العالم.

ليبي

كنت أنعَطِفُ عند زاوية المنزل لأصل إلى الباحة الأمامية، عندما رأيت موسيز هانت يلكم جاك ماسيلين في ظهره. فسقط جاك بحركة بطيئة، وارتطم بالأرض. وأقسم إني سمعت وقع الارتطام. والآن أخذ موسيز هانت يلكمه في وجهه، وراح أحد الإخوة هانت -ربما مالكولم- يركله في أضلع صدره.

دون تفكير حتى، لا بد أني صرخت صرخة ما، لأني أحسست أن طبلتَي أذنَيَّ قد تمزقتا، ورأيت وجوه موسيز، ومالكولم، وريد يونج، وأصدقائهم تلتفت نحوي وتنظر إليَّ فاغرين أفواههم، بينما أسير بسرعة مذهلة كأني أطير في الهواء.

لكمت موسيز في أنفه، فجعلته اللكمة يتأرجح إلى الوراء. ثم دفعت الجميع بعيدًا عن جاك، وكنت غائبة عن التفكير. لقد كنت فجأة مُفعَمَةً بتلك القوة الخارقة، ورحت أقاتلهم جميعًا وحدي، حتى أتى ديف كامينسكي، وسيث باول، وكيشوان برايس إلى جانبي، ورحنا نُخيف الأوغاد ليبتعدوا.

رحت أنظر بينما يجري الأخوان هانت في الشارع يجرجران ذيل هزيمتهما، وبينما كان ديف يميل فوق جاك، محاولًا إعادته إلى وعيه ثانية.

جاك

كان وجه ليبي هو أول وجه رأيته. ولم أعرف أين أنا فترةً قصيرة. وخِلتُ أنه ربما يكون حلمًا ما، وأني استحضرت ذكراها. فمددت يدي، وغَطَّيت وجهها بها، فضَرَبَتها لتُبعِدَها.

- إنه واعٍ.

ولكن كان عليَّ لمسها مجددًا لأتأكد من أنها حقيقية، فشددت طرف أنفها.

- رجاءً كُفَّ عن هذا، أنا حقيقية يا جاك.

ثم ظهر فتًى له شعر شديد البياض بجانبها، وقال: «كانوا سيقتلونك يا ماس».

فرددت: «أنا بخير». والآن رحت أتحسس صدري، باحثًا عن نبضي، لأتأكد من أنه لا يزال يدق. وبمجرد أن شعرت به يخفق في صدري، كررت القول: «أنا بخير».

ظهر فتى بقصة الموهوك فوق كتف كام، وقال: «لقد أنقَذْتَ حياتك بالمعنى الحرفي يا فتى». ثم شرع في الضحك كالأحمق.

***

قالت ليبي: «سأُرجِعُكَ إلى المنزل».

- ليست معكِ رخصة قيادة.

- حقًّا؟

رددت: «ماذا؟ بوسعي القيادة». حتى مع علمي بأني لا يمكنني ولن ولا ينبغي لي ولن أفعل هذا.

- لقد كنت تشرب الخمر. أين سيارتك؟

- في آخر الشارع، يمينًا، على بعد ثلاثة منازل.

تجاوزتني سريعًا حتى صارت تمشي أمامي الآن، وقادتني خارِجَين من الحفلة. واستنشقتُ نفحة من شيء ما، شعاع الشمس.

ليبي

في البداية لم نتكلم، وكأن السيارة تستمد طاقتها من عقلينا، وكلما زاد تركيزنا، وصلنا إلى وجهتنا أسرع. كان ينظر من النافذة، ولم يزد شيئًا على الجلوس، إلا إني كنت مدركة له تمام الإدراك. الطريقة التي يضع بها يدًا واحدة على المقعد، والأخرى على النافذة، والطريقة التي بين حين وآخر ينجذب بها ضوء مصابيح الشوارع إلى الخصل الذهبية في شعره شديد السواد. والطريقة التي تكون بها ساقاه أطول من ساقَيَّ، والطريقة التي يجلس بها كأنه مرتاح تمام الارتياح أينما كان.

لا بد أنه شعر بأني أفكر فيه، لأنه قال: «إنه لشعور رائع أن أجلس هنا. لنا هدف واحد، عارِفَان أين وجهتنا. عارفان ما سنفعل عندما نصل إليها. عاقدان العزم سابقًا، والأمر واضحٌ جلي».

رددت: «أظن ذلك». وكنت عارفة بما يعنيه.

نظر إليَّ وقال: «أتعرفين من يكون هيرشل ووكر؟».

- لاعب كرة قدم؟

صَفَّر، ثم تأوه: «أووه». وأمسك بفَكِّه.

قلت: «عندما يكون المرء حبيس المنزل، يشاهد الكثير من برامج التلفاز. حتى الأشياء التي ليست من اهتماماته، وحتى الأفلام الوثائقية لقناة الـ «إي إس بي إن»، وعروض التحسين المنزلي».

- حسنًا، بما أنه يبدو أنكِ تعرفين بالفعل، فقد كان أقوى ظهير في الركض الخلفي في تاريخ اللعبة، أليس كذلك؟ ولكنه عندما كان صغيرًا، أظن

أنه كان يهاب الظلام، أقرب إلى الارتعاب من الظلام. كما كان زائد الوزن، ويتأتئ، وعانى على يد الأطفال بسبب هذا. إذن، فما فعله كان خَلقَ ذاك الرجل العملاق هالك المذهل بداخله، شخص يساند الناس ولا يستسلم أبدًا.

قررت أني معجبة بهيرشل ووكر، وأنه، بطرائق عدة، *أنا* هيرشل ووكر.

قال: «كان يقرأ بصوتٍ عالٍ كل يوم، وقد عَلَّم نفسه عدم التأتأة من خلال القيام بذلك. وبدأ في المدرسة الإعدادية بالعمل بجد، وقد صار الأفضل لَمَّا وصل إلى المدرسة الثانوية. وبعد ثلاث سنوات من مسيرته الجامعية في جامعة جورجيا، تخرج، وحاز درجة الطالب المتفوق، ونال جائزة هيسمان التذكارية[1]. ولما اعتزل مباريات البروز المحترفين، بدأ يلاحظ ذلك التحول في سلوكه، وكان هذا عندما اكتشف أنه مصاب بذاك الشيء المسمى اضطراب الهوية التفارقي، شخصيات متعددة». وأشار مثلما يشير السيد دومينجيز في دورة تعليم القيادة، وقال: «عليكِ الدخول إلى الحارة اليسرى».

بدلت الحارات، ووقفت عند الإشارة.

- ستنعطفين إلى اليسار إلى هيلكريست عند ضوء الإشارة التالي.

رأيت الخريطة في عقلي، حيي القديم. لقد عَرَفتُ كل شارع فيه في السنة التي حصلتُ فيها على دراجتي الأولى. كنت أنطلق وأركبها في سائر أنحاء الحي، وكانت أمي تجري حذوي ضاحكة، وتقول: «ليبي، أنتِ سريعة للغاية». رغم أني لم أكن كذلك. إلا إني أتذكر الشعور الذي جعلتني أشعر به، كأن بمقدوري الذهاب إلى أي مكان وفعل أي شيء.

قال جاك: «لذا، بعد تلك السنوات كلها من عمل هرشل بجد وعدم الاستسلام، يبدو أن الضغط قد أرهقه. ولمَّا سُئل عن اضطراب الهوية التفارقي، قارنه بالقبعات. تعرفين كيف أننا نعتمر قبعات في الأوضاع المختلفة؟ واحدة للعائلة، وواحدة للمدرسة، وواحدة للعمل. إلا إنه مع اضطراب الهوية التفارقي، يبدو أن القبعات تختلط. لذا فأنت تعتمرين قبعة كرة القدم في المنزل، وقبعة العائلة في العمل...».

علقت: «الكثير من القبعات». وقلت في نفسي: *أعرف كيف يبدو هذا.*

- وبعد فترة، غدا من الصعب التفريق بينها بوضوح.

---

(1) جائزة سنوية تُمنح للطالب الجامعي المتفوق في كرة القدم الأمريكية. (المترجمة)

وتساءلت إذا كان مدار حديثنا لا يزال عن هرشل ووكر، أو إذا كان مدار حديثنا الآن عن جاك.

قال: «أظن أننا أشبه كثيرًا بهرشل ووكر أكثر من ماري كاثرين بلاكوود. ولا أظن في الحقيقة أننا نشبهها إلى أي حد».

شعرت به ينظر نحوي، إلا إني أبقيتُ ناظرَيَّ على الطريق.

قال: «شكرًا لمساعدتي الليلة».

- أفضل التفكير في الأمر على أنه إنقاذ للحياة.

رد: «حسنًا، شكرًا لإنقاذ حياتي». والآن، لم أغالب رغبتي في النظر إليه، فابتسم. كانت ابتسامته بطيئة في البداية، وراحت تتسلل إلى كل وجهه كشعاع شمس، حتى أضاءت فجأة كالوقت الأكثر حرارة من اليوم. لم أُقدِم على فعل أي شيء حتى لا أغض الطرف، وهو ما كنت أريد فعله.

بادلته الابتسام.

وبقيت أعيننا تنظر بثبات بعضها إلى بعض.

ولم يُشِح أحدنا بنظره، ولم أرد في الحقيقة، حتى عندما ذكرت نفسي أنني أقود. *مرحبًا!*

أبعدت عيني، ونظرت خارج الزجاج الأمامي، إلا إن كل شيء كان مغبشًا. وشعرت به ينظر إليَّ.

عليكِ التزام الهدوء يا فتاة. هدئِي.. من.. روعكِ.

اصطدمنا بحفرة في الشارع، وصدر من اللاندروفر صوت كأنها ستنهار.

فقال جاك: «يا الله، هذه السيارة بالية».

***

انعطفنا إلى شارعي القديم، كابري لاين. لم أعد إلى هنا منذ ذاك اليوم الذي حملوني فيه إلى المستشفى. أخذ جاك يتحدث، إلا إني لم أكن أستمع، لأني بدأت أسترجع كل شيء: أمي، وفكرة انحباسي هناك، وشعوري بانقطاع النفس مني، والاعتقاد أن تلك كانت النهاية، والاعتقاد أني كنت أحتضر، وفكرة إنقاذي.

عندما استيقظت في المستشفى، كان كل شيء أبيض، وأزرق، ورماديًا، وأسود، وأبيض، كأنها الألوان الوحيدة في العالم. قال أبي: «لقد أُصِبتِ بنوبة هلع. ستكونين بخير، إلا إننا نحتاج إلى التأكد من عدم تكرار ذلك».

كنا نقترب من منزلي، وأراه آتيًا نحوي، إلا إنه لا شيء منه يشبه ما كان عليه، لأنهم بالطبع اضطروا إلى هدم المنزل، أليس كذلك؟ حتى رغم أنه كان آخر مكان أرى فيه أمي على قيد الحياة. حتى رغم أن ذكرياتي عنها كانت على كل جدار وأرضية.

توقعت أن أقود السيارة مرورًا به، إلا إن جاك قال: «توقفي هنا». وتساءلت في البداية إذا كان يمزح مزحة غير مضحكة، ولكن كلا، كان يلَوِّحُ تجاه المنزل المؤلف من طابقين في الجانب المقابل من الشارع، وقال: «لِنرَ إذا ما كان أخي بالداخل. وإذا كان كذلك، فبوسعه إيصالكِ إلى المنزل». وخرج من اللاندروفر، وشرع يقطع الممشى.

لم أبرح مكاني.

وبعدها، بطريقة ما، فتحت الباب. ووضعت قدمًا واحدة على الأرض. ثم سحبت نفسي إلى الخارج، ووضعت الأخرى على الأرض. ووقفت بكلي هناك.

سألت: «أهذا منزلك؟».

التفت وقال: «أسرعي». ثم تخطاني بنظره إلى المكان الذي كنت أعيش فيه، وخلا وجهه من كل تعبير، كما لو أنه كان يرى شبحًا.

سألت: «منذ متى وأنت تعيش هناك؟». كان هذا ما في وسعي من كلمات حتى أنطق به.

لم يُجِبني، وبدا كأنه مصاب بسكتة دماغية.

- جاك؟ منذ متى وأنت تعيش هناك؟ في ذاك المنزل؟

صمت.

- أجبني.

- عمري كله.

وتوقف...

العالم...

فحسب.

- *أبوسعكِ إخباري ما الذي حدث يا لبس؟ ما الذي أصابكِ بالهلع الشديد؟*

«الأمر كله». تلك كانت إجابتي، رغم معرفتي أن أبي كان يتوقع شيئًا أكثر دقة. «كل شيء. كان أنت. أنا. تمدد الأوعية الدموية. الموت. السرطان. القتل. الجريمة. الحقراء. البغضاء. المنافقون. التنمر. الكوارث الطبيعية. أصابني العالم بالهلع. العالم فعل هذا. لا سيما بالطريقة التي يمنحك بها أُناسًا تحبهم، ثم يسلبك إياهم». إلا إن الإجابة كانت غاية في البساطة. لقد قررت أن أخاف.

ولا أعرف كم استغرق مني الأمر حتى أقوى على الحديث. وفي الأخير قلت: «لقد كنت أعيش هناك». وأشرت إلى المنزل الجديد، الذي كان كبيرًا بَرَّاقًا، ومتكامل الأركان بصورة مثالية، الذي كان قائمًا فوق أطلال منزلي القديم. فلم يكن المنزل الجديد يشبه بأي شكل سابقه.

- أعرف.

رددت: «كيف تعرف؟». والآن، رحت أنتظر الإجابة. أردت أن أسمعه يقولها فحسب.

- لأني كنت هناك في اليوم الذي أخرجوكِ فيه من المنزل.

جاك

كان أخي ماركوس يقود السيارة، وكنت أجلس في الخلف. كان أخي غاضبًا من فكرة اضطراره إلى الخروج من المنزل، والآن راح يرمقني بنظرات غاضبة تنم عن ضيقه عبر مرآة الرؤية الخلفية. ولم يشغل الراديو حتى. كان هذا مدى سوء الوضع. وكنا ثلاثتنا نركب السيارة في صمتٍ تام، إلا من قول ليبي: «انعطف هنا»، و«اسلك الاتجاه اليمين هناك». وكان صوتها يبدو كأنه باردٌ كأنه أُصيبَ بلسعة صقيع. والآن، بما أني لا أفعل شيئًا إلا الجلوس، فقد أثَقَلَت الخمر رأسي بالنعاس.

كان الجو في السيارة دافئًا وهادئًا، هدوءًا تامًّا. لا بد أنني غفوت فترةً قصيرة، لأني لَمَّا طَنَّ هاتفي جفلت. أخرجته من جيبي، وكانت ثمة رسالة نصية من كام.

«هل أنت بخير يا رجل؟».

رددت: «بخير».

«ذكر سيث شيئًا ما حول إصابتك بالعمى؟».

حدقت إلى الشاشة، وإلى مؤخرة رأس ليبي. وأغلقت الهاتف، ثم فتحته ثانية. وكتبت: **«أنا مصاب بعمى الوجوه. عمى التعرف على الوجوه. إنه شيء جديد. لقد شُخِّصتُ مؤخرًا به».**

ولَمَّا لم يرد، دفعت الهاتف إلى جيبي. واعترتني تلك الحاجة المُلِحَّة إلى الصراخ في الصمت، إلا إني لم أفعل. وفي غضون دقائق بسيطة، طَنَّ هاتفي ثانية، فلم أهتم بتفقده.

***

وصلنا أخيرًا إلى حَيِّها، وأبطأ ماركوس السيارة للغاية، وراح يتحرك ببطءٍ حثيث وهو ينظر من النافذة. وكان بعضٌ مني يأمل ألا نجد منزلها أبدًا، حتى يمكنني تصحيح الوضع، وبعضٌ آخر كان قد اكتفى، اكتفى منها، اكتفى من كل شيء.

لا مفر، وصلنا إلى هناك، وأصابني الذهول ثانيةً من مدى التشابه التام لمنزلها مع المنازل الأخرى، فلو كنت مُصَمِّمًا منزلًا لليبي ستراوت، كنت سأجعله استثنائيًّا. وكنت سأجعله فريدًا من نوعه. وكنت سأطليه بلون أحمر زاهٍ. له سطح من الصفيح، ويكون مؤلفًا من طابقين على الأقل، وعلى الأرجح له محطة طقس حديثة، وأبراج صغيرة كثيرة. وكذا برج كبير، ولكن ليس لحَبسِها، بل برج لتجلس فيه وتتطلع إلى إطلالة المدينة، وأبعد من المدينة، على بُعد الأفق، أو ربما أبعد منه.

قال ماركوس: «وصلنا».

شكرته ليبي، ودفعت بنفسها خارج السيارة. ولأني دائمًا ما أنسى مدى سرعتها، كانت قد وصلت إلى عتبة بيتها عندما تمكنتُ أنا من الوصول إلى الممشى.

التفتت سريعًا حتى تكون وجهًا لوجه معي، وقالت: «ماذا؟ ما الأمر يا جاك؟ ماذا؟ ماذا؟».

- آسف لأني لم أذكر أي شيء. ولكني لم أرد أن أسبب لكِ إحراجًا أكثر مما قد سَبَّبت.

- كان بوسعك ذكر الأمر.

رددت: «كان بوسعي ذكر ذلك. ولو كان هذا سيمنحكِ بعض الراحة، فسأكتب لكِ رسالة اعتذار». وابتسمت لها ابتسامةً تنم عن الأمل، إلا إنها أشاحت بيدها في وجهي كأنها تبدد هذه الابتسامة.

- لا، احتفظ بهذه لنفسك. أتفهمني يا جاك ماسيلين؟ ولتَزوِ هذه الابتسامة جانبًا، فهي لا تُجدي معي. أنت قلق جدًّا لدرجة أنك يتعذر عليك الاقتراب قربًا كافيًا من أي أحد. ولكن اللوم لا يُلقَى على عمى الوجوه، إنه أنت. كل ذاك الابتسام، والتزييف، والادِّعاء أنك ما تظن أن الناس يريدونك عليه هو ما يبقيك منعزلًا. هذا ما يفسد عليك حياتك. عليك أن تحاول أن تكون شخصًا حقيقيًّا.

توقفت عن الابتسام.

- إن أسوأ لحظة في حياتي إلى جانب موت أمي كانت إخراجي من منزلي. أتعلم أنها كانت تصل إليَّ رسائل كراهية عبر البريد الإلكتروني؟ وأن كل شخص كان في جعبته شيء يقوله حول ما حدث؟ حول كم كنت بدينة، وعن أبي. فقد أرادوا التأكد من معرفتي كَمْ كانوا متقززين من حالي، وكم كنتُ مقززة، فقد أرسلوها إلى المستشفى، وأرسلوها إلى هنا. وقد وجدوا عنوان بريدي الإلكتروني، وأرسلوها إليه مباشرة. ما أعنيه، من يفعل هذا؟ من يرى قصة مثل هذه في الأخبار ويقول: *سأكتب إليها رسالة أعبر لها فيها عن رأيي. أتساءل إذا كان ينبغي لي إرسالها بالبريد إلى المستشفى، أو تسليمها باليد.* هل كان الأمر مسليًا ومضحكًا لك أنت وأخَوَيك.

كانت عيناها متوقدتين. إنها تتحداني لأجيبها بـ: نعم، *هذا ما كان عليه الأمر تمامًا. لقد ضحكنا إلى أن تكسرت ضلوعنا. فإننا نحب رؤية الناس يموتون.*

بدلًا من ذلك قلت: «أنا آسف».

وأردت في تلك اللحظة أن أكتب مئات من رسائل الاعتذار، وليس واحدة فحسب؛ واحدة عن كل بغيض فعل أو قال أي شيء حقير لها.

- ما كان أحد ليفعل هذا لو عَرَفَكِ. ولعلمكِ، لم يكن يُضمِرُ لكِ الجميع الأذى، بل كنا نقدم لكِ خالص دعمنا. كنتُ أقدم لكِ خالص دعمي.

- ماذا قلت؟

- كنت أقدم لكِ خالص دعمي.

ارتسم شيء ما على وجهها، وأمكنني رؤيته، فقد عرفت أني كنت مرسل الكتاب إليها.

ليبي

كان أبي يجلس أمام الحاسوب. وقد هَبَّ واقفًا في اللحظة التي سمعني أدخل فيها إلى المنزل، وأخذ يشير إلى الساعة ويقول: «ما الذي حدث؟».

أخبرته، لأني كنت متعبة أكثر من أن أتظاهر بأن كل شيء على ما يُرام. وفي الحقيقة، كان عليه أن يقلق عليَّ، فليس بمقدوري حمايته من القلق إلى الأبد. ومن ثم فقد أخبرته بكل شيء، بدءًا من مايك القادم من كوبنهاجن، والعِراك، وموسيز هانت، وإيصال جاك إلى المنزل، ومعرفة أنه كان موجودًا في اليوم الذي هدموا فيه منزلنا، واكتشاف أن طوال الوقت كان هو دين من بين الإخوة دين وسام وكاستيل. ثم أخبرته الأمور الأخرى التي توقفت عن إخباره بها منذ فترة: عن الرسائل، وفريق الفتيات الاستعراضي، وملابس السباحة الأرجوانية. كنت قلقة، وغاضبة، وحزينة، ومفطورة القلب، وخاوية، وأكثر من كل شيء، أريد النوم. ولكن أبي هو كل ما تبقى لي.

راح يمشي في المكان جيئة وذهابًا بينما أتكلم. وبمجرد أن انتهيت من الكلام، توقف عن الحركة، وقال: «أحتاج إلى معرفة أنكِ بخير. أحتاج إلى معرفة إذا كان عليَّ الذهاب إلى منزل آل هانت ولكم هذا الصبي بنفسي».

كان ناقمًا على العالم القابع خارج هذا المنزل، مما زاد من حبي له.

- أنا بخير يا أبي.

قال: «ستخبرينني. (كان سؤالًا). ستخبرينني؟».

أجبت: «سأفعل، دومًا، من الآن فصاعدًا». ثم قلت: «آسفة، على كل شيء قاسَيتَه بسببي».

وأشعر أنه يعرف أني أتحدث عن كل شيء، ليس عن الليلة فحسب.

- أنا آسف كذلك يا لبس.

ولطمني على وجهي كل الحزن الذي لاقاه أبي وتجرعه، أو حَمَلَه، ليس خسارة أمي فحسب، بل فقدان التعاطف من الناس الذين لاموه على ما حدث لي. ولم أرَه حال غضبه قط، بل كان يمضي قدمًا فحسب، ويتأكد أني أتناول طعامًا صحيًّا، ويحاول أن يبقيني بأمان، ويمنحني الحب.

وبعدها، ربما ليثبت لي أنها لا توجد أسرار بيننا، أخبرني عن المرأة التي كان يلتقيها على فترات منذ مدة. اسمها كيري، وهي تُدَرِّسُ الرياضيات في إحدى المدارس الإعدادية. كانت من عمره، وتزوجت مرة، وليس لها أبناء. ولم يُرِد إخباري لأنه لم يكن متأكدًا من مآل الأمر، أو ما تعنيه علاقتهما، فقد أراد توخي الحذر معي، ومعها. ولكني أظن في الحقيقة أنه لم يُرِد فقط أن أشعر بالسوء حيال كوني الوحيدة في العالم التي لم تتخطَّ الأمر.

قلت هذا له الآن، وأمسك بيدي، وقال: «ليس تَخَطِّيًا يا لبس. إنه تَخَطٍّ بطريقة مختلفة. هذا كل ما في الأمر: حياة مختلفة، عالم مختلف، قواعد مختلفة. فلا نهجر أبدًا ذاك العالم القديم، بل نخلق عالمًا جديدًا».

عدت أنا وماركوس إلى البيت بعد الواحدة بعد منتصف الليل. ووقفت أمام الثلاجة ما لا يقل عن خمس دقائق، أو يزيد، وبي أمل أن يظهر لي شيء طيب: بيتزا، دجاجة كاملة، شريحة لحم كبيرة، صفٌّ من الضلوع. ولمّا لم يحدث، جلبت مياه غازية ونوعًا من صوص تغميس خليط من الجواكمولي، والسبانخ، والجبن، وأحضرت بعض الرقائق من مخزن الأطعمة، وجلست في المطبخ المظلم لأهنئ نفسي بوليمة.

كنت قد أكلت نصف الرقائق عندما أضاء هاتفي من الطرف الآخر للغرفة حيث تركته. فنهضت، في حال لو كانت ليبي، رغم أني أعرف أنها لن تكون كذلك. كان كام. كتب:

«تبًّا، إن عمى التعرف على الوجوه هذا مهلوس لعين. ولكن يا رجل، جميعنا يقاسي أمرًا ما. وجميعنا غريبون ومحطمون بطرائقنا الخاصة. فأنت لست الوحيد».

قرأتها ثلاث مرات. وصدقًا، ذهلت. وربما سيتحول ديف كامينسكي إلى أحد الصالحين قبل تمام مرحلة الرشد.

وَرَدَت رسالة نصية أخرى: «**نذل**».

رددت: «**حقير**».

ثم تركت كل شيء وصعدت الدرج إلى غرفة أبي وأمي. طرقت الباب، وشددت في الطرق، حتى فُتِحَ بابٌ آخر. وهتف ذاك الطفل النحيف ذو الأذنين الكبيرتين: «جاك؟».

- آسف لإيقاظك يا صاح. هل يمكنك مناداة ماركوس؟

- مؤكد.

فُتِحَ باب غرفة أبي وأمي، وكانت المرأة التي أجابتني يغلبها النعاس. وكان شعرها هائشًا، وعين من عينيها مغمضة. ثم قالت عند رؤيتي: «جاك؟». واتسعت عيناها عن آخرهما، وراحت تمد يدها تجاه وجهي وصدري، وقالت: «يا إلهي، ماذا حدث لك؟». وتذكرت. *أوه، أجل، الإخوة هانت أبرحوني ضربًا.*

قلت: «لا شيء، أنا بخير. اسمعي، أحتاج إلى التحدث معكِ أنتِ وأبي». ثم نظرتُ خلفها، إلا إن الغرفة كانت فارغة. وأتى من ورائي صوت باب يُفتَح، وظهر الرجل الذي لا بد أنه أبي من غرفة الضيوف.

***

جلس خمستنا على سرير أبي وأمي، وكأنها ليلة الكريسماس، وكأننا صرنا أطفالًا ثانيةً. لم ينبس ماركوس ببنت شفة، بل راح يحدق إليَّ من تحت كل ذاك الشعر.

قلت لهم: «إنه اضطرابٌ عصبيٌّ نادر».

راحت أمي تبحث في محرك البحث جوجل بينما أتحدث.

أبي: «هل تعاني مشكلات في الرؤية؟ أو صداعًا؟».

داستي: «ربما ارتجاجًا».

- ليست مشكلة في الرؤية، ولا ارتجاجًا.

أبي: «تلتبس عليَّ الأمور أحيانًا كذلك، فأنسى الأسماء طوال الوقت، ولا أستطيع تذكر الناس حتى بعد كل تلك السنوات في المتجر».

- ليس الأمر ذاته. ثمة جزء في عقولنا يُسَمَّى التلفيف المغزلي الثاني عشر، الذي يحدد الوجوه ويتعرف عليها. ولسبب ما، ذاك الجزء عندي إما غير موجود، وإما تالف.

أراد داستي أن يعرف أين هو، وأشرت له. ثم وجَدَتْ أمي رسمًا تمثيليًا للمخ، فمالوا جميعًا إلى الأمام، حتى ماركوس. وقرأت أمي: «يعاني المصابون

بعمى التعرف على الوجوه صعوبة كبيرة في تمييز الوجوه، وقد لا يتعرفون على الأشخاص الذين التقوهم مرات عدة ويعرفونهم جيدًا، حتى العائلة». رَفَعَتْ عينيها إليَّ كأنها تقول: *أهذا* حقيقي؟ فأومأتُ. وتابَعَتْ: «ينجم عمى التعرف على الوجوه عن مشكلة في معالجة المعلومات البصرية في الدماغ، التي قد تكون موجودة منذ الميلاد، أو تتطور فيما بعد بسبب إصابة في الدماغ».

عَلَّق ماركوس: «مثلما سقطت من فوق السطح».

أخبرتهم أني خضعت للاختبار، وساوَرَتهم الكثير من الأسئلة، فأجبت عنها بأفضل ما عندي. وفي لحظة من اللحظات، قالت أمي: «أريدك أن تتذكر، لا يمكنك الشعور بالمسؤولية تجاه كل شيء. إننا أبَوَيك، وسنعمل على حَلٍّ مشكلاتنا. كل ما تحتاج إلى فِعلِه... أي أحد منكم... (ونظرت إلى أخوَيَّ) هو أن تكون ابننا في الوقت الحالي وتدعنا نساندك».

قال داستي: «جميعنا؟ حتى أولئك الذين لا يعانون اضطرابات عصبية؟».

- جميعكم.

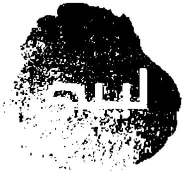

لطالما ظننت أن بوسع المرء إيقاف الزمن. بتلك الطريقة يمكن للمرء ضغط زر الإيقاف المؤقت في وقت ما من أطيب أوقات عمره حتى لا يتغير أي شيء. تَدَبَّر الأمر: الأحباء لا يموتون، لا يشيخ المرء، يأوي المرء إلى فراشه ويستيقظ في اليوم التالي ليجد كل شيء كما تركه، فلا وجود للمفاجآت.

لو كانت لي القدرة على إيقاف الزمن، لكانت تلك اللحظة التي سأختارها: كنت أنام على كتف أبي وجورج في حجري، كأني بنت الأعوام الثمانية ثانية.

هذا ما أعرفه عن الخسارة:

- لا تتحسن، بل تتكيف معها. (بطريقة ما).
- شوق المرء للراحلين لا ينطفئ أبدًا.
- فقدان شيء وعدم وجوده بعد الآن حِملٌ ثقيل.

بحلول الوقت الذي بدأتُ فيه الأكل -الأكل بشراهة- كانت الخسارة كبيرة جدًّا بالفعل، كانت كأني أحمل العالم على عاتقي. لذا لم يكن حمل الوزن أثقل من هذا بكثير، بل كان الأمر كمحاولة حَمِل كلا الحملين الثقيلين: الوزن، وفقدان الأحبة. وهو ما يُحَتِّمُ على المرء أحيانًا أن يضع بعضه عن عاتقه، فليس يقوى على حمله كله إلى الأبد.

جاك

كنا عند مطلع الفجر حين أويت إلى فراشي واستلقيتُ فوق البطانية، يجافيني النوم، ومُنتَعِلًا حذائي، ومرتديًا ملابسي، ومُحَدِّقًا إلى السقف. كان يملؤني شعور بالزخم، وكذا كنت أشعر بالخواء. ولكن ليس على نحو سيئ. ربما خاوٍ ليست الكلمة الدقيقة. كنت أشعر بالخفة.

ربما أحب ليبي ستراوت.

ليس فقط مثل «معجب بها».

الحب.

بل كما في «أحبها».

أحب ضحكتها المفعمة بالحيوية، والبحَّة التي تضفي على صوتها نبرة كأنها مصابة بنزلة برد. وأحب الطريقة التي تختال بها كأنها على منصة عرض الأزياء. أحب عِظَمَ ذاتها، ولا أقصد وزنها البدني الفعلي.

ثم أخذت أفكر في عينيها. وإذا سألني سائل كيف تبدو عينا كارولاين، فلا يمكنني وصفهما. رغم أنه يمكنني وصفهما بنظري المباشر إليهما، فلا يمكنني وصفهما وكارولاين ليست أمامي.

إلا إني يمكنني إخباركم بوصف عينَي ليبي.

إنهما مثل الاستلقاء على عشب تحت صفحة السماء في يومٍ صيفي. ويعميك ضوء الشمس، لكن تشعر بالأرض من تحتك. وقدر ما تشعر أنك ستنطلق مُحَلِّقًا، تعرف أنك لن تفعل. ويسري الدفء فيك قلبًا وقالبًا، ويصحبك الشعور بالدفء في ثنايا جسدك، حتى عندما تمشي مبتعدًا.

يمكنني أن أخبركم بأشياء أخرى كذلك.

1. لديها كوكبة من النمش على وجهها تذكرني بكوكبة الفرس المُجَنَّح (الخد الأيسر)، وكوكبة الطائر (الخد الأيمن).
2. رمشاها طويلان للغاية، وحين تتغزل، ترمش تلك الرَّمشة المتعمدة البطيئة التي تأسرني.
3. وابتسامتها. دعوني أخبركم، إنها رائعة، كأنها نابعة من جزء من أعماق نفسها، جزء نُسِجَ من السماوات الزرقاء وشعاع الشمس.

وكنت كمن يقول: *تمهل.*

نهضت، ومَسَّدتُ رأسي. ربما تأثير الخمر. ولكن...

متى غَدَوتُ قادرًا على تذكر وجهها؟

ثم اعتراني شعور *الحاسة السادسة* التام بينما يعرج عقلي رجوعًا على الأسابيع التي عرفتها فيها. وراجَعتُ كل وقت قضيته معها، كل لحظة كنت فيها قادرًا على تمييزها من بين الحشد، أو التعرف عليها في وضعٍ خارجٍ عن المألوف. رحت أختبر نفسي.

تخيل حاجِبَيها.

مقوسان قليلًا، كأنها يعتريها الذهول دومًا.

تخيل أنفها.

الطريقة التي يتجعد بها عندما تضحك.

تخيل فمها.

ليس حُمرَة شفتيها فحسب، لكن الطريقة التي يرتفع بها جانبا فمها، كما لو أنها تبتسم، حتى لو لم تكن كذلك.

تخيل كل الملامح معًا.

الطريقة التي يتقوس بها خَدَّاها إلى الخارج، ويتقوس الذقن إلى الداخل، أشبه ما يكون بالقلب. ما لها من الشراسة، والرقة، والتوهج، ما يجعلها مفعمة بالحَياة.

طوال هذا الوقت ظَنَنتُ أن وزنها هو ما يجعلني أراها.

ولكن لم يكن وزنها قط.

بل كانت هي.

ليبي

استيقظتُ مبكرًا، رغم أنه كان يوم الأحد. وتركت لأبي رسالةً قصيرةً ثم خرجت من المنزل، متدثرةً بمعطف ووشاح. بعدما تخطيتُ بناية، كانت يداي تتجمدان، فدَسَستُهما عميقًا في جَيبَي معطفي. كنت على موعد مع ريتشل في المتنزه لأن لدي شيئًا أخبرها به. *أعرف لِمَ لَكَمتُ جاك ماسيلين.*

***

كانت ثمة لسعة برد في الهواء تمنح المرء إحساسًا بالشتاء، أو على الأقل بحلوله. إنه آخر الأوقات المفضلة عندي في العام، لأن كل شيء يموت، أو يدخل في سبات، وينتشر الموت والركود، وتكتسي السماء بلون رمادي فترةً طويلة، حتى إن المرء يعتقد أن زرقتها لن تعود إليها مجددًا. وفي الوقت الحالي، بدا أن السماء لم تَخلُص إلى لون واحد بعد، فقد كانت زرقاء في رُقَع، ورمادية في رُقَع أخرى، وتنتشر فيها بُقَع بيضاء، كأنها لحاف باهت.

أحضرت لنا ريتشل عصير التفاح الساخن من المقهى المجاور لمنزلها. وجلسنا نتطلع إلى ملعب الجولف، ورحنا ننفخ في مَشروبَينا حتى يبردا. حكيت لها القليل عن مايك القادم من كوبنهاجن، وموسيز هانت، وإيصال جاك إلى المنزل.

- جاك كما في «جاك»؟
- جاك كما في جاك.

وقبل أن تستطرد في سؤالي عنه، أخبرتها عن فريق الرقص الذي نؤسسه أنا وبايلي وجايفي وآيريس. والميزة الأفضل هي أنه بإمكان أي أحد الانضمام، فلا قيود على الوزن، أو الطول، أو السن، أو الجنس. لا توجد قيود مطلقًا. لو

أن بمقدورك الرقص، ولو حتى قليلًا، فأنت ضمن الفريق. ونرقص لمتعة الرقص فحسب، متى وأينما نريد.

- أيمكنني الانضمام؟
- بالطبع.
- هل سيكون هناك دوران؟
- بالطبع.
- وأزياء رسمية؟
- أجل، ولكن كل واحد سيكون مختلفًا.

وأخبرتني عن صديقتها الجديدة إيلينا، مصممة جرافيك التقتها عند مخبز وينكلر. قالت إن بينهما الكثير من الأشياء المسلية المشتركة، وكذلك الأشياء الحقيقية، مثل أن لهما العمر نفسه. ونَفَخَتْ في مشروبها، وارتشفت منه رشفة، ثم حدقت إليَّ من فوق كوبها وقالت: «أتعرفين؟ هذا ما كُنتِ تفعلينه طوال الوقت بطريقة ما، الخروج. الخروج من غرفتكِ. الخروج من منزلكِ. الخروج من قوقعتكِ».

رددت: «أظن أني كذلك». ورحت أفكر في جاك وهو وحيد بذاته بينما كنت في غرفتي طوال تلك السنوات.

وسَألَت كأنها تقرأ أفكاري: «إذن لِمَ فَعَلتِها؟ لِمَ ضَرَبتِه؟».

- لأنه بعد كل ما قاسيته، شعرت كأنه يحاول أن يمسك بي باجتهاد منه وحده، ويحشرني في ذاك المنزل مجددًا، ويحبسني فيه. كأنه كان يقول لي إني محقة في فزعي وخوفي.
- لا يمكن لأحد أن يحبسكِ مجددًا يا ليبي، فأنتِ من تختارين السماح لهم بذلك أو عدمه.
- أعرف هذا الآن، كأني أعرفه عن ظهر قلب. وقد ظننت أني أعرف هذا حينها، ولكني لم أكن كذلك.
- إذن هل أنتما صديقين؟
- لقد كذب علي.
- أو ربما كان يحاول حمايتكِ. وأنا لا أدافع عنه. ربما كان يظن أنه يفعل الشيء الصحيح.

قلت: «ربما». ثم أخبرتها عن الرسائل.

وضعت مشروبها، وقالت: «متى كانت آخر مرة وصلت إليكِ فيها واحدة؟».

- منذ فترة، من قبل أن أرتدي ملابس السباحة الأرجوانية.
- هل عَرَفتِ كاتبها؟
- لا، إلا إني متيقنة أني أعرفها. وأشعر بالأسف على حالها، لأن هذا الشخص لن يفصح أبدًا عن هويته. إذ تُبقي على هويتها حبيسةً حيث لا يمكن لأحد إيجادها، ولا تستطيع هي إيجاد نفسها.

أمسكت ريتشل مشروبها ثانيةً، وقالت: «في صحة ليبي ستراوت، أعقل وأكبر شخص عرفته، ولا أعني من الخارج».

وضربنا كوبينا الورقيين ببعضهما.

- وفي صحة ريتشل ميندز، من أجل حبكِ لي حتى مع عدم اضطراركِ إلى ذلك.

وكدت أقول: *ولإنقاذ حياتي*. لأنه لسبب ما رحت أفكر في نفسي في سن الحادية عشرة، ثم بعدها في سن الثالثة عشرة. بدت تلك الفتاة مختلفة، فتاة من زمن غابر، فتاة لا علاقة لها بي الآن. عدا أني أعرف أني لم أكن لأصير أنا من دونها. لم أكن لأصير ليبي ستراوت، طالبة الصف الثالث الثانوي، وأحظى بمجموعة الأصدقاء ذاتها. ولم أكن لأرقص، أو أدور، أو أؤدي تجارب الأداء لفريق الفتيات الاستعراضي. لم أكن لأساند نفسي، أو أرتدي ملابس السباحة الأرجوانية. ولم أكن لأذهب إلى بلومنجتون أو كلارا مع فتًى أُعجِبتُ به. أُعجِبتُ به *حقًا*. لم يكن ليُفطَرَ قلبي لأن الخوف تملكني. ومع أن ألم انفطار قلبي يؤلمني جدًا، فإنه أفضل من انعدام الشعور بأي شيء.

وشيء آخر لم أكن لأفعله: الجلوس على هذا المقعد، والبرد يلسع خَدَّيَّ وأنفي، وأنا أشرب عصير التفاح الساخن مع صديقةٍ عزيزة. ورغم أني لم أعرف أن لحظة الانكشاف هذه موجودة، فإني أردت أن أكون هنا في العالم الخارجي لأكون شاهدة عليها.

***

بعدما رحلت ريتشل، تركت نسختي –المعهودة– من «لطالما عشنا في حصن» على المقعد مع هذه الرسالة القصيرة:

صديقي العزيز،

أنت لست غريبًا، أنت مرغوب. وأنت مهم. وثمة فرد واحد منك فحسب. فلا تخف من مغادرة الحصن، فثمة عالم كبير بالخارج.

خالص حبي، رفيقك في القراءة.

أخبرني والدها أنها مع صديقة في المتنزه، فكانت هذه وجهتي. رَنَّ هاتفي، وكان هذا كام، إلا إني لم أُجِبْ.

إذن ماذا لو أن الطبيبة كلاين اتصلت لتقول بأنها مخطئة، وإنه يوجد علاج؟ *ماذا سأفعل؟ هل سأغير رأيي لو كان دلالة هذا أني سأتعرف على الناس بالطريقة التي يفعل بها الجميع؟*

هل سأفعل؟

تَفَكَّرتُ كثيرًا في هذه الفكرة، محاولًا تخيلها، ومحاولًا رسم صورة لكيف لها أن تُغيرني.

لن أكون ذاتي بعد الآن. هل سأكون كذلك؟ لأنه قدر ما تسعفني ذاكرتي، تلك طريقتي في إيجاد الناس: أتمعن فيهم، وأعرف تفاصيلهم.

ولكن مكمن الأمر هو أني لا أعرف كيف أرى العالم كما يراه الآخرون. ربما لا أتعرف على نفسي في المرآة، وربما لا أجزم لكم كيف هو مظهري، ولكني لا أعتقد أني كنت سأعرف نفسي بالطريقة التي أعرفها بها دون عمى التعرف على الوجوه. والشيء نفسه ينطبق على أبي، وأمي، وأَخَوَيَّ، وأصدقائي، وليبي. فأنا أتحدث عن التفاصيل التي تجعلهم مَنْ هم عليه. فهم ينظرون بعضهم إلى بعض ويرون الشيء نفسه، ولكن عليَّ العمل بجد أكبر لرؤية ما وراء الوجه، فالأمر أشبه عندي بتفكيك الشخص ثم إعادة تركيبه ثانيةً، فأنا أعيد بناءه بالطريقة نفسها التي أبني بها شيتكيكر من أجل داستي.

هذا أنا.

هل يُشعِرُني هذا بالتميز؟ قليلًا. عليَّ العمل بكد وجد لأعرف الجميع، وحتى لو كان لون البشرة ولون الشعر هما ما يساعدني على التعرف على الناس، فهذا ليس ما يمثلهم عندي، لا يكمن الأمر في هذا، بل في الأشياء المهمة، مثل إشراقة وجوههم عند الضحك، أو الطريقة التي يمشون بها نحوك، أو الطريقة التي تخلق بها نقاط نمشهم خريطة للنجوم.

ليبي

كنت أقف على الحافة متدثرة بمعطفي، ووشاحي مرفوعٌ إلى ذقني، عندما أتت سيارة لاند روفر يلوح منها لون الصدأ تقطع الطريق. وتوقفت فجأة في منتصف الطريق، وكان المحرك قيد التشغيل، ثم خرج منها جاك ماسيلين، ومشى بتبختر نحوي.

- ما الذي تفعله هنا؟
- قال أبوكِ إنكِ كنتِ هنا. يا إلهي، إن الجوَّ بارد. هل سترجعين إلى منزلك؟

سألت بنبرة أبطأ وأعلى: «ما.. الذي.. تفعله.. هنا؟».

- انظري، آسف لأني لم أخبركِ بالمكان الذي كنت أعيش فيه، وأني رأيتكِ اليوم الذي أنقذوكِ فيه. كان ينبغي لي إخباركِ، ولكِ كل الحق في الغضب مني.
- أجل، كان يجب عليك.
- أعرف، لقد جانَبَني الصواب. ولكن إنْ كنتِ لا تمانعين، فلديَّ شيء آخر أود قوله الآن. ويمكننا الرجوع إلى ذلك فيما بعد، ويمكنكِ أن تغضبي عليَّ قدر ما تشائين عن كل ما تريدين.
- ماذا يا جاك؟
- أنتِ الوحيدة التي أراها.
- ماذا؟
- أنتِ الوحيدة التي أراها يا ليبي ستراوت. أنتِ.
- ما قصدك؟

- أراكِ، وأتذكركِ، وأتعرف عليكِ.

أشرتُ تجاه جسدي، وقلت: «ليس الأمر كأنك تعاني عمى البُدُن».

- يا إلهي يا امرأة. فلتركزي معي.

- إذن ماذا؟ أنت تستخدم السِّمات المُميِّزة لمعرفة الناس، والوزن هو سِمَتي.

- سِمَتُكِ المُميِّزة هو أنتِ، فأنا أتذكر عينيكِ، وفمكِ، والنمش على خديكِ، الذي يبدو ككويكبات النجوم. وأعرف ابتساماتكِ، ثلاثًا منها على الأقل، وثمانيةً من التعبيرات التي ترتسم على وجهكِ، خصوصًا تلك التي ترسمينها بعينيكِ. ولو كنت أستطيع الرسم، لرسمتكِ، ولن تكون بي حاجة إلى النظر إليكِ لفعل ذلك، لأن وجهكِ محفورٌ في عقلي.

ثم أغمض عينيه، ووصف هيئتي بشكل لم يسبق لي سماعه. وبينما أصيخ له سمعي، راحت نبضات قلبي تتسارع، وعرفت أن هذا شيء لن أنساه، ولا حتى بعد خمسين سنة من الآن.

ثم فتح عينيه، وقال: «أعرف الطريقة التي تتحركين بها، وأعرف الطريقة التي تنظرين بها إليَّ. أراكِ وأنتِ تنظرين إليَّ، وأنتِ الوحيدة التي تطالعني بتلك الطريقة. سواء كنتُ معكِ أو بعيدًا عنكِ، فلا يتعين عليَّ التفكير في الأمر، أو ترتيب قطع الأحجية معًا. إنها أنتِ فحسب. هذا ما أعرفه».

- وهذا لا يستلزم بالضرورة أنك تحبني. لمجرد أنك تراني.

ارتفع حاجباه سريعًا، وأخذ يضحك، وقال: «مَن ذكر سيرة الحب؟».

اعترتني رغبة ملحة في الاختفاء التام.

- إذا أحببتكِ، افتراضيًّا، غير أن منبع هذا الحب ليس لأني أراكِ، وكذلك ليس كأني أقول: *أوه حسنًا، على الأقل يمكنني رؤيتها، لذا يمكنني كذلك أن أحبها*. فأنا على يقين أني *أراكِ* لأني *أحبكِ*. وأجل، أظن أني أحبكِ لأني أراكِ، كما بالمعنى الحرفي في «*أراكِ يا ليبي*». كما في أراكِ كلكِ، كما في «أرى كافة الأشياء المدهشة».

انتظرته أن يكرر *افتراضيًّا*، إلا إنه لم يقل.

وبدلًا من ذلك، نَظَر إليَّ.

وبادلته النظر.

كنا نحظى بلحظة انسجام وتناغم.

وقد استمرت ثواني، أو ربما دقائق.

سحبتُ الوشاح إلى أعلى أنفي، وأردت أن أسحبه على وجهي كله.

- إليكِ.

وناولني شيئًا ما، فقَلَّبته في راحة يدي. وكانت لوحة مغناطيسية تقول: «أوهايو ترحب بكم».

لم أعرف في البداية لِمَ يعطيني هذه، فلم نذهب إلى أوهايو معًا من قبل. لقد ذهبت إلى أوهايو مرة واحدة.

منذ سنوات.

مع أبي وأمي.

وفجأة، أُخِذتُ إلى منزلي، إلى اليوم الذي ألصقت أمي فيه هذه اللوحة أول مرة على الثلاجة. قالت أمي: *«سنغطي هذه كلها بلوحات مغناطيسية لكل الأماكن التي سنذهب إليها. وقد لا تبدو أوهايو بلدًا أجنبيًا، إلا إنه في يوم ما، عندما نغطي هذا الباب بأكمله، ستتذكرانها وتقولان في نفسيكما: تلك اللوحة هي التي بدأتها جميعًا».*

قال: «لم يكن عليَّ أخذُها».

- أخذُها؟

- من منزلكِ. رجعت في ذاك اليوم لأرى ما الذي بوسعي معرفته عنكِ. وكان عليَّ إخبار حارس الأمن بالانتباه حتى لا يجري نهبكم.

- بعدما نَهَبتَ هذا.

- أجل، وكتابكِ، ذاك الذي أرسلته إليكِ.

- ما الذي جعلك تحتفظ باللوحة المغناطيسية؟

- إنها تذكرني بكِ.

- عجبًا، مفرط المشاعر.

فضحك، ومَسَّدَ فكَّه، وقال: «على ما يبدو».

قلت وكان صوتي مكتومًا بفعل الوشاح: «حسنًا». وأطبقت بيدي على اللوحة. بدا الأمر سخيفًا، إلا إنني لم أغالب التفكير: *لقد أمسَكتْ بهذه. جزءٌ منها لا يزال باقيًا هنا.*

- أنا سعيدة لأنك أخذتها.

«تلك اللوحة هي التي بدأتها جميعًا».

قال: «ليبي ستراوت». وكانت عيناه وفمه ينمون عن جدية حديثه، ولم أرَه يتحدث بتلك الجدية من قبل. «أنتِ مرغوبة».

ثم سحب الوشاح بعيدًا.

وأمسك بوجهي بين يديه، بحرصٍ وبعناية، كأنه جوهرة نفيسة ونادرة.

ثم لثم ثغري.

كانت أجمل قبلة في حياتي، وهو ما أدركت به أن هذا لم يكن مميزًا إلا لقلة تجاربي. غير أنها واحدة من تلك التي يتسع فيها العالم، التي أقارنها بأي واحدة أخرى، وقعت أو ستقع لأي أحد في أي مكان. كان كأنه يتنفس لي، أو ربما نتنفس واحدنا للآخر. وكنت أذوب فيه، وهو يذوب فيَّ، فلم تعد أطرافي أطرافًا. ثم ذابت عظامي، ثم عضلاتي، وجلدي، حتى ما بَقِيَ إلا الكهرباء. وتحولت سماء الصباح المبكر الملبدة بالضباب المكتسية باللون الرمادي إلى سماء ليلية، وتناثرت النجوم في كل مكان، وكانت دانيةً للغاية، حتى إني أحسستُ أنه يمكنني جمعها واصطحابها إلى المنزل، أو ربما أضعها في شعري.

لم أعرف من ابتعد أولًا، ربما هو، ربما أنا. إلا إننا كنا واقِفَين ورأسانا يتلامسان. وكنت ممتنة لهذا الشعور، لأنه كان ثمة جزء مني يصرخ في مكنوني: *يا إلهي، إنه جاك ماسيلين!* ولم أكن أشعر بالانبهار، بل بالإحراج، لأني كنت أعرف هذا الفتى بطريقة لا يعرفه بها الآخرون، وهو يعرفني.

في نهاية المطاف، اعتدل رأسانا ثانيةً، ورفعنا أعيننا للنظر أحدنا إلى الآخر. ولم يتعين عليَّ التساؤل حول كيف أبدو له، لأنه يمكنني رؤية نفسي هناك، في انعكاس بؤبؤي عينيه، كما لو كان قد أبقى عليَّ في مكان ما بعيد، وراح يحملني معه في كل مكان.

قال: «هاه». ثم زَفَرَ كأنه كان يحبس نفسه طوال هذا الوقت.

رددت: «أجل». وحاولتُ أن أتحلى بحس مرح، لأن هذا العالم كان لا يزال جديدًا عليَّ، وما زلت أتحسس فيه خُطاي. فقلت: «أقصد، لم تكن مؤثرة للغاية». وسرت في صوتي ارتجافة، مسحة بسيطة.

ولكن بالتأكيد كانت كذلك. لقد كانت مؤثرة جدًّا.

إننا نفعلها. إن هذا يحدث. إننا نلتقي، ونغير العالم: عالمه، وعالمي.

كان جسدي كله كأنه نهاية عصبية واحدة، من رأسي حتى أخمص قدمي. كان كل شيء يبدو كأنه حي ومتأجج. وكان قلبي ينفتح، مثل قلب ابنة راباتشيني، بياتريس، عندما قابلت الشاب جيوفاني، بعدما تجول في حديقتها. وفي أثناء وقوفي هناك، أحسست به يكاد يتفتح، بتلةً ببتلة، نبضةً بنبضة.

جاك

قلت: «أحبكِ».

رَدَّتْ: «أحبك أيضًا». ثم ضَحِكَت. وقالت: «إنه جنونيٌّ نوعًا ما. أعني.. أنت».

- أعرف. ما الخطب؟

غَطَّت فمها بإحدى يديها، إلا إن عينيها كانتا تلمعان. ورحت أفكر في حقلٍ عُشبيٍّ في يومٍ صَيفيٍّ. وكنت أفكر في الشمس، وفي إحساس الدفء الذي انتشر داخلي، وفي الدفء الذي طَوَّقَني من الخارج.

أمسكت بيدها تحت صفحة السماء المختلطة بين الرمادي والأزرق، وحينها صِرتُ في وطني.

مكتبة
t.me/soramnqraa

شكر

تنبع «حمل ثقل الكون» من قلبي، وكذا من خساراتي، وخوفي، وألمي، ومن الأشخاص الحقيقين الأعزاء عليَّ. وقد ساعدني هؤلاء الأشخاص -إلى جانب آخرين كثيرين- على احتمال ثقل عالمي، فلم أكن لأكتب هذا الكتاب لولاهم.

وبادئ ذي بدء، أشكر قرائي حول العالم، الذين أصبحوا عائلتي. (ReadersAreLife#) أحبكم من قلبي، وإلى الأبد.

شكرًا لمكاني البَرَّاق، والمشرق بلا شبيه، الوكيلة كيري سباركس، أذكى، وأعقل، وأبهج إنسانة على وجه البسيطة، التي تتعهدني بالعناية بكل شكل دومًا. وشكرًا كذلك لكامل الفريق في وكالة ليفين جرينبيرج روستان الأدبية. لقد حولتم عالمي من أبيض وأسود إلى مُفعَمٍ بالألوان.

شكرًا لمحررتي الجميلة والمحبوبة أليسون وورتشي، ولكل موهبة من مواهبها التي لا غبار عليها. فهي لا تتصيد الأخطاء بقلم أحمر، بل عصا سحرية لها مفعول السحر. وشكرًا للمحرر في المملكة المتحدة الرائع بن هورسلن، على عبقريته ونبوغه الفَذَّين.

شكرًا لجميع من في Knopf، وRandom House Children's Books، وPenguin UK، على لطفهم، ودعمهم، وإيمانهم البالغ بي، ولكونهم المتميزين في مجالهم. وأوصل شكرًا لا نهاية له لبارا ماركوس، وجيني براون، وميلاني نولان، ودومينيك سيمينا، وجيليان فاندال، وكارين جرينبيرج، وكيم لاوبر، ولورا أنتوناتشي، وبام وايت، وجوسلين لانج، وزاك أوبراين، وباربرا بيريس، وأليسون إمبي، وستيفاني موس، وروزاموند هوتشيسون، وكلير كيلي. وأشكر ديفيد دروموند على الغلاف المذهل.

وشكرًا جزيلًا لمساعدتي المتألقة بريانا بيلي، لشخصها، ولما تفعله. وإلى شيلبي بادجيت، الرائعة (التي أقسم إنها شبه ساحرة)، ولارا يعقوبيان، من رابطة الملاكمة العالمية، إلى الأبد. والشكر موصول أيضًا إلى ليتي لوبيز، وجميع محرري مجلة *Germ Magazine*، ورؤسائها، وكُتَّابها، والمُسهِمين فيها، بتقدير ومودة بالغين، لبريانا، وشيلبي، وجوردان جريبنوالدت. أنتن تُشعِرنني بالحب، وتجعلنني أفخر بكل ما فعلناه، أو بالأحرى ما فَعَلتُنَّه.

لم أتعرض للإنقاذ من المنزل كحال ليبي، إلا إني عانيتُ مشكلات تتعلق بالوزن والقلق على مدار السنوات –لا سيما حين كنت في عمر ليبي–، وأعرف شعور أن يتعرض المرء للتنمر. وبالإضافة إلى تجربتي، نهلت من تجارب عائلتي، وأصدقائي، الذين وَعوا في المقام الأول ما قاسَته ليبي.

لَستُ مُصابَةً على المستوى الشخصي بعمى التعرف على الوجوه، إلا إن لديَّ أفرادًا في عائلتي مصابين به، فقد تعلم ابن أخي المراهق أن يتعرف على الناس في حياته، ليس عن طريق الوجوه، لكن بالأشياء المهمة، مثل «مدى لطفهم، وكم يمتلكون من نقاط النمش». شكرًا له أن جعلني أرى بعينيه.

وكثير شكري لجيكوب هودز، الرائع –والمصاب بعمى التعرف على الوجوه– الذي ألقى على الكتاب نظرة متفحصة، وأعطاني ملاحظات مهمة عَمَّا يصح وما لا يصح، إضافة إلى الاقتراحات القَيِّمة لجعل رحلة جاك حقيقية ومتأصلة قدر الإمكان.

وشكرًا للمراكز البحثية لعمى التعرف على الوجوه، والطبيب براد دوشاين، من قسم علم النفس وعلوم الدماغ في كلية دارتموث، على عونه وكرمه، فقد أجاب هو والدكتور إيرفينغ بيدرمان، أستاذ علم الأعصاب وعلم النفس في جامعة جنوب كاليفورنيا، بصبر عن أسئلتي المتعددة.

كما أُقِرُّ بالعرفان لتشاك كلوز، وأوليفر ساكس، اللذين أمدتني كتبهما بالإلهام والمعلومات، وأعضاء مجموعة –Yahoo Face Blindness Prosopagnosia، الذين أمدوني بالرؤي المستنيرة والمذهلة.

كما أشكر الطبيب ويليام رايس الثالث، من مركز ويك فورست بابتيست الطبي، على خبرته الطبية. وابنة عمي الحبيبة ليرين فون سبريكين، المُفعَمَة بالنشاط كالمحرك الهندسي، التي ساعدتني أنا وجاك في مشاريعه المذهلة.

وشكرًا جزيلًا كذلك لـ:

قُرَّائي الأوائل: لويس كابيليريس، وآنجيلو سورميلس، وجارين توماس، ونيك ستون، وبيكي ألبيرتالي، ومعجبة كتاب *كل الأماكن المشرقة* المخلصة، مارجريت هاريسون، التي سيأتي تعريفها في كتاب *حمل ثقل الكون* كالتالي: «من باب الأمانة، بعد *قراءة كل الأماكن المشرقة*، كنت شبه منتظرة أن تضرب الشاحنة أحدهم، أو وجود مفاجأة في الصفحة الأخيرة. وأنا سعيدة لأن الشاحنة لم تصدم أحدهم». والشكر كذلك لرفيقتي مؤلفة أدب اليافعين، والبطلة والصديقة، كيري كليتر. فليست كاتبة ذات فيض غزير فقط، بل ومحررة كذلك. لقد تمركزت في أكثر لحظة محورية من حياة هذا الكتاب، وساندتني طوال كتابته، وقدمت الحب، والدعم الذي كنت في أمس الحاجة إليه، ولعمليات التحرير الذكية التي استمرت إحدى عشرة ساعة، التي قد يتمناها أي كاتب متعب. سأحبك دومًا على ما مَنَحتِ جاك وليبي ومَنَحتِني إياه.

ولأصدقائي الآخرين من مؤلفي أدب اليافعين، على روح الصداقة التي بيننا، وإلهامهم المتواصل، ولكل بائعي الكتب، وأمناء المكتبات، والمعلمين، والمدونين، الذين التقيتهم على مدار العامين الماضيين. أنتم أبطال مذهلون، ولا يوفيكم شكري على ما فعلتموه معي.

ولفرقة جاكسون 5، لمرافقتي وأُنسي وأنا أكتب، ولسام، ودين، و*للخارق للطبيعة*، لمساعدتي في الاسترخاء في نهاية يومٍ شاق، ولجاك روبنسون، غزير الإنتاج الموهوب، لكتابته الأغنية التي أصبحتْ واحدة من أفضل الأغنيات في حياتي (I Love to Love)، والسماح لي برحابة صدر باقتباس كلمات أغنيته.

وعائلتي، وأصدقائي، القريبين والبعيدين، خاصة موطن قلبي، لويس، وآنجيلو، وإد باران، وقططي واسعة الاطلاع. لولاكم لم أكن لأنجز هذا على مدار العامين الماضيين.

وهذا الكتاب لأبي، المَرِح، الرصين، الذكي، الذي كان يطلب مني دومًا أن أخفض صوت الموسيقى. (إلا إنه هو من أنشأ لي أفضل –وأكبر– نظامٍ صوتيٍّ في العالم).

ولأمي، التي أعطتني حذاء رقص، والكلمات التي ترافقه. التي علمتني أن أمشي متلبسةً جلد الآخرين، وأن أعرف قدرتي على أن أغدو أي شيء أريده، وأن أفعل ما أشاء، وهي لم تُنسني قط أني مرغوبة. *حمل ثقل الكون* هو أول كتابٍ أكتبه لن تقرأه أمي، إلا إنكم قد قرأتموه، وامتناني لهذا يعجز عنه وصفي.

"تتمحور حَمل ثقل الكون حول حاجة المرء لمَن يفهمه، حاجته لأن يكون مرغوبًا. وهذا ما يجعلها تجربة قراءة مميزة".

- TEENVOGUE.COM

"مكتوبة بأسلوب بديع وتثير في النفس شعورًا عميقًا".

-نيكولا يون، المؤلفة رقم واحد في قائمة نيويورك تايمز للأعلى مبيعًا صاحبة كتابي كل شيء، كل شيء والشمس كذلك نجم.

"تجربة قراءة ممتعة".

- New York Times

"قصة لا تُفوّت".

-BuzzFeed.com

"رواية عن الحب وأهمية أن يُعرف المرء على حقيقته".

- PopSugar.com

"مفعمة بالخسارة والحب... وقبل كل شيء الأمل".

- Nerdy Book Club

"قصة رومانسية تخطف الأنفاس".

- Publishers Weekly

جينيفير نيفين

هي مؤلفة الكتابين الأعلى مبيعًا في قائمة نيويورك تايمز وفي جميع أنحاء العالم؛ كل الأماكن المشرقة وحَمل ثقل الكون. ترعرعت الكاتبة في إنديانا وتعيش الآن في لوس آنجلوس.

حملُ ثقلِ الكون

من مؤلفة كل الأماكن المشرقة تأتيكم قصة حب تُسري عن النفس، التي تطرح سؤال: قدر ما يكون خوف المرء من السعي وراء أحلامه، ألا يكون الخوف أشدّ لو لم يسعَ وراءها؟

تعيش ليبي ستراوت في عالمها الخاص حيث حازت لقب أسمن مراهقة في أمريكا وتواجه صعوبة تخطي موت أمها المفاجئ والتعامل مع أبيها منكسر القلب، وتحاول جاهدة الخروج من هذا العالم والتغلب على نظرة المجتمع لها إلى عالم تجد فيه الأصدقاء والحب وتَقبل الجميع.

ويعيش جاك ماسيلين في عالمه الخاص هو الآخر، حيث يعاني مرضًا نادرًا يُسمَّى عمَى الوجوه يعوقه عن رؤية عائلته وأصدقائه، دون علمهم بمرضه، ويحاول التغلب دائمًا على ذلك بالتكيف مع كل ما حوله وإرضاء الجميع حتى لا يخسر محبيه وأصدقاءه، غير أنه لا يستطيع مواكبة حالته المرضية أكثر من ذلك.

تلتقي ليبي بجاك في المدرسة الثانوية بعد أن يخضع كلاهما لعقاب تأديبي ثم يلتقي عالمها بعالمه ويقتربان من بعضهما ويعرف كلٌّ منهما حقيقة الآخر وتختفي الحواجز التي بينهما، ثم يمتزج عالمهما ويصبحان عالماً واحدًا.

telegram @soramnqraa

غلاف: عبد الرحمن الصواف

9 789776 972698

www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb